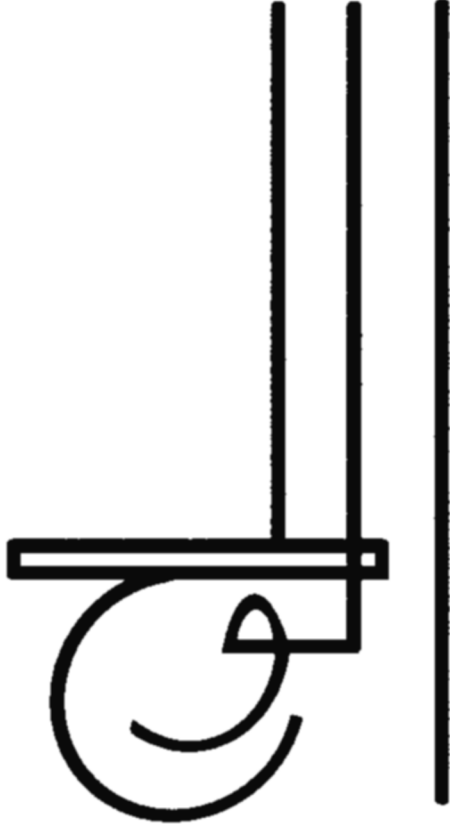




بيت الفقراء  
نشر الثقافة الروحية  
الجزء الثامن عشر  
ألواح ما بين قبر ومنبر

السيد الروح المرشد (سلفر برش)

الجمعية الإسلامية الروحية

القاهرة - الحلية الجديدة

طريق علي مبارك الرقم ٢٨

رافع محمد رافع



# ألواح ما بين قبر ومنبر - الجزء الثامن عشر

فهرس الأحاديث

| الحديث | العنوان                                                                                                            | النوع                                                   | التاريخ          | الصفحة |
|--------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------|------------------|--------|
| ١      | في الطريق والحياة مسميان لمعنى واحد هو رسول الله.. عبد الله.. حق الله                                              | مقدمة منتخبة من أحاديث الجمعة للسيد/ على رافع محمد رافع | ٢٧ أكتوبر ١٩٧٢ م | ١      |
| ٢      | الناس مبانٍ لمبناه باختيارهم ومعاني في طريقها لمعناه باختياره مبشرين بعينه لهم بعينهم له إنسان الله عبده ورسوله    | حديث الجمعة                                             | ١ أكتوبر ١٩٦٥ م  | ٥      |
| ٣      | محمد الحق رسول إنسان الحق ربا لقائم إنسان الحق بالخلق عبدا حقيقة العبد لحقية الرب في حقية الإنسان                  | حديث الجمعة                                             | ١٥ أكتوبر ١٩٦٥ م | ٢١     |
| ٤      | علم الرسول يحتفظ به لنفسه كان علمه عن نفسه، أخذه عنه كل من عَرَف نفسه قوم أناجيلهم صدورهم                          | حديث الجمعة                                             | ٢٢ أكتوبر ١٩٦٥ م | ٣٥     |
| ٥      | لا إله إلا الله شعار الوجود لها على ما هو وشعار الفطرة بها على ما هي                                               | حديث الجمعة                                             | ٥ نوفمبر ١٩٦٥ م  | ٤٧     |
| ٦      | يتواجد إلى وجود، بموجوده من الوجود لا بدء لوجوده ولا انتهاء لتواجده هو إنسان الله للقيمة والعثرة في الصبغة والفطرة | حديث الجمعة                                             | ١٠ ديسمبر ١٩٦٥ م | ٥٩     |

| الحديث | العنوان                                                                                                                                    | النوع       | التاريخ          | الصفحة |
|--------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------------|------------------|--------|
| ٧      | الحق المتواجد للحق الموجود<br>الحق العابد للحق المعبود<br>في واجب الوجود لوجودنا                                                           | حديث الجمعة | ١٧ ديسمبر ١٩٦٥ م | ٧٥     |
| ٨      | البناء للقيام الخالد بالمعلم والمتعلم<br>الرب بالروح معلما والعبد بالعلم متكلمها<br>رجل سلم لرجل إنه الإنسان للإنسان في الله ذي<br>المعارض | حديث الجمعة | ٢٤ ديسمبر ١٩٦٥ م | ٨٩     |
| ٩      | الفقه والتفقيه للدين<br>رسالة الإسلام والمسلمين<br>كافة للناس أجمعين<br>خلف أئمتهم والمتابعين<br>من الحكماء والمجاهدين                     | حديث الجمعة | ٧ يناير ١٩٦٦ م   | ١٠٣    |
| ١٠     | وجوها لله نقوم<br>لوجوه لله نشهد<br>في الله لا شريك له                                                                                     | حديث الجمعة | ١٤ يناير ١٩٦٦ م  | ١١٩    |
| ١١     | إن محمدا كان الناس جميعا لو يعلمون<br>إنه آدمهم وأول العابدين<br>وإنسان الله لهم يوم الدين                                                 | حديث الجمعة | ٢١ يناير ١٩٦٦ م  | ١٣٧    |
| ١٢     | اقتديناه لعين معناه طلبا لقيومه بقائمه<br>عيد غريبا، أبا سريعا، وروحا رشيدا                                                                | صلاة العيد  | ٢٢ يناير ١٩٦٦ م  | ١٤٧    |
| ١٣     | الإنسان<br>في ذاته لا اسم له وبحكمة صفاته لا باطل له<br>وبحقيقته لا عدم له وبحقيقته لا بدء له<br>أما يكفي الإنسان أن يتواجد إنسانا         | حديث الجمعة | ٤ فبراير ١٩٦٥ م  | ١٥١    |

(١)

## في الطريق والحياة مسميان لمعنى واحد هو رسول الله.. عبد الله.. حق الله

مقدمة منتخبة من أحاديث الجمعة للسيد/ على رافع محمد رافع

٢٠ رمضان ١٣٩٢ هـ - ٢٧ أكتوبر ١٩٧٢ م

أنتم فروضي ونفلي أنتم حديثي وشغلي

يا قبلتي في صلاتي إذا وقفت أصلي

هكذا - إذا جاز لنا أن نخاطب الحق علينا - ننشده ونطلبه، قائماً لا يغيب، ووجوداً دائماً يتجدد في كل وليد.

نراه دوماً، ونشعر به فعلاً في معنى القيادة، والريادة.. في معنى الطريق والحياة.. والمحبة والسلام.. لا بعيداً عنا.. ولكن أقرب إلينا مما نتصور، ومعنا أينما كنا، فهو روحنا وحقنا.. قلبنا وعقلنا.. لا يملكنا اسم غيره، ولا يُسيرنا ويحركنا إلا معناه، قائماً فينا.. لا نرضى إلا به ولا نعرف سواه.. جَمَعنا فتجمعنا، وألف بيننا فتآلفنا، لم نر لحظة أننا تفرقنا أو تشتتنا، فكيف هذا؟ وقد طلبنا الله وسألناه، ولسوله أسلمنا، وبه أماناً وآمناً. فمن ذا الذي يستطيع أن يفرق ما جمع الله، أو أن يشتت من ألف الله بين قلوبهم، لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله!

عباد الله..

هل عرفتم من يرشدكم إلى التآلف فلا تشتتوا؟ هل عرفتم من يرشدكم إلى التجمع فلا تفرقوا؟

إن تعرفوا من يرشدكم إلى ذلك، ومن يقدم لكم يد المساعدة لتكونوا كذلك، ومن يقومكم في ذلك، ومن يشد أزركم لتبقوا فيما أرشدتم إليه، وقمتم فيه. ألا يكفيكم هذا؟ أليس الله بكاف عبده؟ فالعبد يُكفَى بربه والرب يُكفَى بعبده.. ولا يفهم من معنى اكتفاء العبد بربه، أو الرب بعبده، أنها دعوة لا اكتفاء الإنسان بما حَصَلَ، ولكنه اكتفاء لبداية، وبداية لا كتفاء، وهكذا في الله اللانهائي. ويوم يلتقي العبد بربه، ويلتقي الرب بعبده ويندمج الحقان في واحد الإنسان، يبدأ طريق الحياة.. طريق

رسول الله.. طريق الله.. طريق لانهائي في الله.. طريق بدؤه افتقار، ونهايته افتقار، وما نهايته إلا بداية في أعلى وفي أكبر.

إن مرشدنا يخاطبنا دائماً، ويوجهنا دوماً أن طريقنا هو أن نغير مفهوم الموت عندنا.. هذا المفهوم الخاطئ الذي يضع فاصلاً واهياً بين شقي الحياة.. إن الموت أصبح عند من عرفه وذاقه ليس إلا انتقال من دار إلى دار، وقد اجتمع الداران، وامتزج العالمان في طريق الحق والحياة.

من أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، فما تكون الحكمة؟ إن الحكمة هي أن يتقلب رسول الله فيك، ويسري بنوره في أعماقك.

(اختار الرفيق قبل الطريق) <sup>١</sup>.. (المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخال) <sup>٢</sup>.

إذا كنا حقاً إخواناً تجمعوا حول بيت الله متخذين منه قبلة لهم، وأحرموا عما سوى ذلك، لكنا في حج دائم، لا يعرف المكان ولا يعرف الزمان.. فالحج إنما هو اجتماع القلوب على قلب رجل واحد.. اجتماع معنى بيت الله في كل فرد على معنى بيت الله في أكبر، ليحققوا معنى بيت الله الأكبر والأكبر.

إذا اجتمع الإخوان في الله حقاً، كان اجتماعهم هو الخير والرحمة والمغفرة.. كان اجتماعهم مولداً للثق الدائم.. في اجتماعهم لا ينتظرون يوماً، ولا يرجون غداً، فقد قاموا في حاضرهم بكل ما يرجو الله لهم في رافع الرتب وقائم الحق.

إذا سألنا فلنسأل الله.. وإذا طلبنا فلنطلب الله، فليس هناك في الكون طلب إلا الله.

فيجب علينا ونحن نتوجه بالطلب والسؤال أن نذكر هذا المعنى، وأن نحاول أن نقوم فيه حتى نسأل الله دوماً، ونطلب الله دوماً، وندعو الله دوماً في كل طلباتنا ودعواتنا، وإن كانت آخذة مظهر طلبات في الدين أو الدنيا.

فلنسأل الله أن يوفق جمعنا.

وأن يجمع شملنا.

وأن يؤلف بين قلوبنا.

وأن يحيي قلوبنا.

وأن ينير طريقنا.

وأن يغفر لنا سيئاتنا.

وأن يعفو عن هفواتنا.

وأن يرحمنا ديننا ودنيا بجاه رسوله.

فحمدا لله، وشكرا لله، وصلاة وسلاما عليك يا رسول الله.

### مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ "من وصايا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لولده الحسن رضي الله عنه: قال: "يا بني سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار".
- ٢ حديث شريف: "المرء على دين خليله فلينظر أحكم من يخال". أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.



(٢)

## الناس مبانٍ لمبناه باختيارهم ومعاني في طريقها لمعناه باختياره

مبشرين بعينه لهم بعينهم له  
إنسان الله عبده ورسوله

حديث الجمعة

٦ جمادى الآخرة ١٣٨٥ هـ - ١ أكتوبر ١٩٦٥ م

خلق الله الإنسان من سلالة من طين إلى قائم هيكله، ثم من سلالة من ماء مهين إلى قيام بمعناه لقلبه، ثم في معارج لمعانيه بحكمة الله إلى قائم حق في قائم الله لمطلقه.

فليُنظر الإنسان مم خلق، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب، خلق من علق، وهو مرجعه المرة بعد المرة، وإنه على رجعه لقادر، يوم تلى السرائر، فتعلم نفس ما قدمت وأخرت، على ما بدأه كلما بالفطرة بدأه ليتواجد إلى صبغته، في أي صورة ما شاء ركبها، عالما وكونا فردا وجمعا.

كما بدأنا أول خلق نعيده، وليس هذا جديدا في أمرنا، إنا كنا فاعليه، بلا بدء، فلا بدء لنا، وسنبقى نفعله، بلا انتهاء، فلا انتهاء لنا.

خلقنا السماء بأيدٍ وإنا لموسعون، وما كنا متخذين المضلين عضدا، فالذي خلق السماوات والأرض، قادر على أن يخلق مثلهما، وما خلقهما إلا على سنن بما سبق أن خلق لعبد له لإنسان له لحق له، كان هو له عينه، وقد جعل منه ظاهره لعينه، لباطنه في معراج لا يتناهى إلا إلى مطلقه للامتناهيته، فجعلهما على مثال مما سبق ومما خلق.

الله هو الصمد، لا تبدأ ولا تتعطل أسماؤه ظهوراً، ولا صفته الجامعة لصفاته فعلاً، ولا آثاره تلونا وتباينا، هو {الرحمن فاسأل به خبيراً}¹ {ويوم القيامة يكفرون بشرككم. ولا ينبئك مثل خبير}².

{إني جاعل في الأرض خليفة}³، يعرف بين الناس للناس في أنفسهم هو وحدانيتهم وجماعهم يوم تُشرق الأرض بنور ربها، ولم يقل إني جاعل من الأرض خليفة، ولم يقل إني جاعل على الأرض خليفة، بل قال {إني جاعل في الأرض خليفة}⁴، {إذا سويته، ونفخت فيه من روحي، فقعدوا له ساجدين}⁵، إذا سواه الأمر لعين معناه، ولم يصبح إلا معناه، وقد خرج منه كل ما سواه فصلح لظهور الغيب الأمر، جلباباً للروح له، ووجهها لذات قدسه، يوم يلقي الروح عليه من أمره وهو أمر جعله للإنسان بجمعه بيتاً وأهله في رحمته، كما جعله لفرد الإنسان لكسبه في جمعه لبيته بأهله من عمله، إنه أمر للقلب وقلبه بجوارحه ظاهرة وباطنة لجمع في فردة أو فرد في جمعه.

وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة! فمن الذي قال؟ ومن الذي قيل له؟ ومن الذي قيل عنه؟ ومن الأرض المرادة؟ إنه الإنسان.. إنه الإنسان في أي صورة ما شاء ركه الأعلى له، إنه الإنسان في الله، إنه الإنسان في الله دائماً، ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان.

فالإنسان قام دائماً بمعنى قديم الله قديماً، وقام بمعنى قائم ومتعالي الله، باسم الله قياماً، وقام ويقوم بمعنى جيئة الله قادمًا، فما رأى الإنسان من الله، في الله، بالله، إلا إنساناً كان له بنفسه إنساناً وعنواناً، وما شاهد في الله، من الله، بالله، إلا الأعلى له وجوداً وعنواناً.

فكان بذلك العبد رفيقاً الرب في الله، الله من ورائهما محيط، والله بهما فيهما إحاطة. أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - هدى أن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً على ما تفعلون، ولكن فليتخذ بعضهم بعضاً أرباباً بالله، المؤمن مرآة المؤمن في ذي المعارج للمطلق.

{قَدَّرَ فهدى}⁶ {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يُرى}⁷، {فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً}⁸. وما رأى الله إلا الله، فما رأى الإنسان عمله، إلا يوم كان عمله إنساناً، {إن ابني من أهلي}⁹.. إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح¹⁰ {وما رأى العمل صانعاً، إلا يوم سُبِّحَ الأعلى، الذي خلق فسوى، يوم أصبح العمل إنساناً، فرأى خالقه، اجتمع عليه إنساناً، يوم كان له حقاً وعنواناً.

فإنسانُ الأرض مزويةٌ له بقائم آدميتها، هو آدمها بآدميته لقائم بشريتها، هو الحق من الله، اسماً وعلماً ووجهاً، مفرداته بها إليه مآلاً، وهي له ملكاً وعملاً قياماً وحالاً، إليه تُدعى انتساباً، حقاً وخلقاً، وهو لها يرعى، أعلى، ورباً، وإلهاً، شهادة وغيباً، ومعها يتحد ويتوحد حياة وحقاً.

فهل قدر الإنسان ربه حق قدره، فتقدّرت نفسه عنده حق قدرها، يوم عرّفها لها العدم بعينه، لقائمها به لموجوده، يوم جهّلتها أو تجاهلتها، إليه وجودا في وحدانيته لأحدثه لها، وعرفتها به الحياة، ودورتها، بدءًا وكلا، جوهرًا وحالا، قديما وحاضرا، مآلا، يوم عرفتها لها هي به حضرةً لله، الله لها، لمعيّتها وعينها، يوم هي وحدته، فدخلت في حصن وحدانيته، دخلت في حصنها، لا إله إلا الله، حصنا له لها جعلته، به آمنها، وبه أنزل عليها سكينة فأمّنته، يوم أخرجها من جهلها إلى علمها، ومن ترابها إلى حيوانها، ومن ظلامها إلى نورها، مقيما نفسها بروحها لها، يوم قيامها بحقها وتطويرها لظلامها بخلقها؟

هل قدر الإنسان نفسه، مظلمة، وقارنه بها نورانية، فعرف أن الذي هو في أحسن تقويم، وأن الذي هو أسفل سافلين، إنما هو أمر واحد، لإنسان واحد، يوم يسمو بإنسانيته، إلى معروف حقه، صديقا، بما بين يديه، مما بُشّر به، ويُسّر له صادقا؟ {إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا} ١١.

اسمًا لله، نعم الاسم لله هو، مؤمن، عنون الإيمان، فكان مرآة للإيمان، تنعكس عليها وجوه المؤمنين، مؤمن مرآة للمؤمن.. مؤمن نرى فيه الأعلى مؤمنا، يوم نكون له الأدنى بإيمان.

مؤمن أمرٌ وسط، ومؤمن أمر متعال، ومؤمن أمر مدانيًا، يجمعهم اسم الله المؤمن، ويقومهم اسم الرسول المؤمن، ويظهرهم اسم العبد المؤمن، لوحدة الإيمان بالمؤمنين، ووحدة المؤمنين بالإيمان، في وحدانية الله المؤمن، وبذلك ندرك ما نفيد من معرفة المعلم المؤمن، وندرك خطر الإيمان والمؤمن.

هذه هي أقانيم الإسلام، يوم يعرف المسلمون أن عندهم أقانيم، كما هي عند بني إسرائيل فيجادلون أهل الكتاب بالتي هي أحسن أو عند الحكماء من أمم الأرض، فلا تفوتهم الحكمة لبيان ما عندهم من الحق.

مؤمنون في مؤمن، ومؤمن في مؤمنين، هذا قانون وناموس دائم، مؤمن، صفوة مؤمنين من مؤمنين، لمؤمنين صدروا عن مؤمن، وما كان هو إلا مؤمن صدر عن مؤمنين، مؤمنون هم في جمعهم مؤمن واحد. (لو اجتمع جنكم وإنسكم على أتقى قلب رجل منكم وأعطيت كلا منكم مسألته ما نقص من ملكي شيئا) ١٢، ألف بين قلوبهم، لو أنفقت ما في الأرض جميعا، ما ألفت بين قلوبهم.

تألفت قلوبهم في قلبك، بتآلفها على قلب منهم بك وظلا لك، أمة بعد أمة، نبيا للأمم وللسلام بين الأمم، وللسلام بين المؤمنين بالله ورسوله وكلماته، وعبدا للأعلى إلى المطلق، وأول العابدين، فكنت بحقك للعبد والرب والغيب عماد الدين.

فالرسول، وقد أمر، أن اخفض لهم جناح الذل من الرحمة، ألف هو قلبه على سعته، على قلوبهم على ضآلتها، يوم قال لهم من كان مني كنت منه، من قبلني لنفسه قبلته لنفسي، من رآني حقا رأيته حقا،

من رفعتني لفوقيته حق ربه رفعته برحمة الله المطلقة لمعناي لفوقي بحقيقتي. فما كان هو بهم يوما، ولكن كانوا هم به دوما في كل يوم لهم في أيامه بينهم. فما نَزَلَ عنهم إلا تعليما واختبارا لهم.

فقال له ربه إنك على خلق عظيم. إن الله بك حقا لهم، كان لهم عليما حكيما، فلا تطع الكافرين ولا المنافقين. لا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا، {إن الله مع الذين اتقوا، والذين هم محسنون} ١٣، {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما إلهكم إله واحد} ١٤، ولم يقل إنما إلهنا إله واحد فما كان هو إلا الحق له والفناء فيه وكمال المسيح له، ومبعوث الإنسان منه، {هل تعلم له سميا} ١٥، {قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون} ١٦.

(أمرت أن أخطب الناس على قدر عقولهم) ١٧، {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم} ١٨، فصبر معهم وما زال مع الصابرين منهم، وانتظر معهم مع المنتظرين منهم، وسرى معهم مع السارين منهم، وتعالى معهم مع المتعاليين وتدانى معهم مع المتدانين، ألم يجعله الأعلى له من المطلق حقا، ووجها لله، وربا للعالمين؟

{وقل جاء الحق وزهق الباطل} ١٩، فما كنت إلا رحمة لهم وأمرنا لنا وما كانوا لك عندك إلا عوالم الله تنفخ فيها من روحك، وتلقي الروح عليها من أمرك يوم أنهم لله يتذكرون، وبذكره قلوبهم يشغلون، ويعمرون، ويطوِّرون، ويجددون، ويهيئون، ولكنهم لأمرهم لا يعلمون، وفي أمرهم يفرطون.

فالرسول يدعو أن اعرفوا الله على ما عرّفته لكم، بما عرفته لي، وتعالى الله عما يصف الجاهلون، فما عُرِفَ عند عارف به، إلا بما عرّفه من علمه، في علمه عنه، بعلمه عن معلومه عنه، كتابا بوجوب وجوده، استوجبه وجودا له، عنده عين موجوده، فطلب معرفة وجوده، بواجب وجوده عنده في قائمه لموجوده.

فكشف له غطاؤه عنه، فرآه حقا، وعرف غطاءه خلقا، فجمع غطاءه متناثرا، وبني منه لنفسه وجودا عابرا وجعل من هذا الوجود لمعناه بحقه كوثرًا وعبدا وكونا.

الأرض لذاته قُطِعَتْ، وجباله لأبعاضه بماديته سيرت، وإلى كيان لطيف تحولت لمشروع للسماوات والأرض هيئت، فسيارات من دخانه سديما تجمعت، وبجديد أجساد وجدت، بذلك الشمس كورت، والنجوم انتشرت والأرض دحيت، وبمراده وإرادته بالكائنات عُمِّرَتْ، وواجب وجود لوجودها ذُكِرَتْ فعلى ذكره تلاقت، وباسمه قامت، وحوله دارت، وبمعانيها على معناه اجتمعت، بذلك، للإنسان علما على الله عُرِفَتْ.. ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان، في أي صورة ما شاء ركبته، يوم سواء فعله.

فهل الإنسان الذي كان علماً على الله دائماً أزلاً وأبداً، هو هذه العلقمة من الأرض؟ من الأرض نبتت وإلى الأرض عادت؟ هل هذا هو الإنسان الذي هو علماً على الله؟ هل هو هذه الرأس؟ هل هو هذا العقل؟ هل هو هذا الهيكل؟ هل هو هذا الكتاب؟ هل هو هذا الحجاب؟ هل هو هذا الحس؟

إنه في علميته على الله، قام قبضة نوره، قامت بها السماوات والأرض، معلوم نفسه، كان الله لها عندها، فيها منها بها، ما غيبته، وما جهلته، وما أنكرته، وما بجدته. إن الله وإنسانه ليسا شيئاً إنهما كل شيء، ولا يخرج منهما شيء، ولا يعزب عن علمهما شيء.

إن الإنسان على الأرض، وإن لم يكن هذا القيام في قائمه، وإن لم يبلغ بعد هذا السلام في الله لدائمه، إلا أنه إلى هذا المعنى أضعف، وبانتسابه إلى هذا المعنى شرف، وبالسعي إليه لنفسه كُلف.

هذا أمر الإنسان لمن إلى ذلك استيقظ، وله عمل، ولقائه من نفسه أيقظ، وللأرض من قلبه أحياء، فروى وزرع، وحصد وجمع، وإلى الأعلى لمعناه رجع، وما لمعته بالروح والحياة معه أنكر أو جحد بل لنفسه بها ذكر وذكر.

لم يتعرض لغيره بنصح أو توجيه، قبل أن يبعث هو بالحق في نفسه، فما خرج من القلب وصل إلى القلب، وما أشرق من العقل أشرق به العقل. أما ما خرج من ذات للعدم، ففي ذات معدوم يعدم.

فكيف يوقظ الميت الموتى! وكيف يحيا الموتى بالميت! إنها الحياة عزيزة المنال كان القلب الحي لها المثال في السماوات والأرض، إنها الحياة عند الأحياء ينالها من يطلبون الحياة ويستغرقهم الاستحياء بالأحياء من الله، يوم آمنوهم غير أحياء إلا به في معيتهم، يوم عرفوهم مقابر الموتى بقلوبهم منقبرة فطلبوا الحياة، فبعثوا بالحياة بعثاً للقلب الحي عرفوه ولقوه فعلت نفوسهم ما قدمت وأخرت بعقولهم أشرقت وتحررت.

طلبوا الحياة حول أحواضها بينهم تورد، يوم عرفوهم في الظلام، فطلبوا النور، من مصايحه بينهم توقد، عرفوا أنهم العدم، فطلبوا الوجود، موجود بموجوده، بعباد بينهم يذكر الله بذكرهم، هو {الرحمن فاسأل به خبيراً} ٢٠. (إن الله عبادة إذا ذكروا ذكر الله) ٢١، (المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخال) ٢٢.

أولئك من عرفوا أن الناس كما ينسبون دوماً لإمامهم يدعون يوماً من إمامهم، بإمامهم، في إمامهم، لإمامهم، فعرفوا معنى الإمامة فطلبوها، وعرفوا ضرورة الإيمان بالإمام قرين الإيمان بالله ورسوله، فنشدوه وعرفوا أوصاف الإمام فلم يخطئوه.. تعقبوه، ونقبوا عنه في أنفسهم.. وفي مجاهل الأرض.. وفي مجاهل الناس حتى لقوه.

ما جلس إمام على عرش زميني في أرضكم إلا آية لكم لاقتداء حكامكم، وإنها لفلتات من الناموس، وما كان إمام ملكا بسلطان زميني لبشريتكم إلا كبت به الطريق، إلا من رحم، وما قام في شيء منه إلا لتمام رسالته.

إن الذي جلس سلطانا، موصوف إمام، دلت عليه لكائنه بظاهرة دابة الأرض تأكل منسأته، فظهر بظاهرة على طبيعته، وتخلى عنه غيبه، على حقيقته، ملك زائل، لملك زائل، لأمم تزول.

إن رسول الله لكم كافة جعل عبدا، وقام رسالته للكافة بعصر مكة معلما، ودفعتموه أنتم إلى مظهر الحاكم في عصر المدينة زاهدا فيه مكرها عليه، بحكمة الله أبرزها منكم، ليسن بذلك للحكم نظاما، وللحكام تشريعا، لتكمل للناس به قدوته لهم حكاما ومحكومين، لتمام رسالته وقدوته كافة للناس.

إن الذي أبرزه الله للناس إماما واسع القلب تحيا به وفيه القلوب والأمم، أشرقت بنوره الأرض ربا لها، أخفاه لكوثره في الخلق علما، وما أخفاه على قلب طلبه معلوما، {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا} ٢٣.

إن القلب في وضعه من الجسد لا يطغو على القلب، وهو بقائه بالروح يحيط بالقلب ويحجبه عن نظر الناس لموصوف القلب. إن القلب يحتجب بالقلب، إن قلب قلوب الناس بالحياة يحتجب عن الناس، فيخفى على الناس، فيبحث عنه الناس، فيجده الناس في أنفسهم نور قلوبهم، وحياة عقولهم، ونار نفوسهم، ودنيا عوالمهم، يلاقونه يوم أنهم يصدقون الطلب، للقائم على كل نفس.

وإن جاهدوا في الله حق جهاده، لا اجتماعوا عليه قلبا وقالبا وجهها لوجه، ورسولا من أنفسهم لا ينقطع كوثره عن معيتهم. {واعلموا أن فيكم رسول الله، لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم} ٢٤، ولو يأمركم بكامل الحق لعنتم، ولو ظهر بينكم بحقه لعنتم، ولو صدقكم أمركم وكشف لكم سرهم، لعنتم.

{إنا لنهش في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم} ٢٥، {كل إناء ينضح بما فيه} ٢٦، ولا يليق بنا أن ننضح إلا بما فينا، وليس فينا إلا الحب، وليس فينا إلا الرضا، وليس فينا إلا الحكمة، وليس فينا إلا العلم، وليس فينا إلا المعرفة، وليس فينا إلا الحلم والمغفرة للسيء والجاهل. أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم، وأن نلتمس لهم الأعذار، ونصبر معهم، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها. {وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين} ٢٧، {يوم القيامة يكفرون بشرككم} ٢٨. فما يكون الدين؟ وما يكون الاخلاص؟ وما يكون الاخلاص؟ ولمن يكون الاخلاص؟

فنحن بما فينا نتسع لكل من حولنا، فما كان من حولنا إلا فينا، إنهم قوالب لقلابنا بفطرتهم، وإنهم قلوب لقلابنا بفطرتنا، وإنهم مبان لمباننا باختيارهم ومعان في طريقها لمعاننا باختيارنا.

{وإنك لعلی خلق عظیم} ٢٩، فكيف نُثني عليه، وقد أثني عليه الأعلى بالخلق العظيم! كيف لا نرتضيه لأنفسنا! جعله الأعلى كافة للناس لقدوتنا، لأملنا، لرجائنا في الله، بعملنا مبشرين بعينه لنا، بعيننا له في متابعتة، نعلم لعلنا بمعرفته، ونحيا لقيامنا بفيضه.

وقد ارتضاه الأعلى لنفسه فأمرنا، (لا تفرقوا بين الله ورسوله) ٣٠، وقال له {وكان فضل الله عليك عظيما} ٣١ لِيُسَمِعَنَا لَجْعَلَهُ لَنَا عِنْدَنَا مِنْهُ، حَقُّهُ، وَجَلالَ وَجْهِهِ، وَجَمالَ طَلْعَتِهِ، {وقل جاء الحق وزهق الباطل} ٣٢.

بعثه بالحق فكان وما زال بينكم هو الحق بكوثره بعترته وأهل بيته، وضع عنه، وزره من الخلقية، من الموقوت، من المعدوم، من المنكر، من الزائل، من المقيد، من القاني، من العدم، من الأرض.. (مَنْ مُحَمَّد!) ٣٣، إن محمدا من الحق لا يعرف شيئا عن محمد من الخلق.

لقد أزهق محمد الذي نظرت وما سالمتم، لقد ذهب محمد الذي عرفتم وما قدرتم، لقد مات محمد الذي أحببتم وما لبثتم أن كرهتم، مات محمد قبل أن يموت، فهل عرفتم فقدركم؟ مات قبل أن يموت أهل عصره، من صحبه، وبعث بالحق بينهم للمؤمنين منهم، قبل أن يبعث للناس بحقه، وقبل أن يبعث الناس بالحق به ليشاهدوه، وقبل أن يأتي يوم تنشق الأرض عنه يوم لا بيع فيه ولا خلال.

فقال للناس وهو قائد ركب أهل الحق وعوالم الحق إلى الحق في أنفسهم، اتبعوني في حالي، موتوا قبل أن تموتوا فيكون لكم ما لي على ما آل لي، وما يكون لي ولآلي فإنه لكم.

(سَلَمَانُ مَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ) ٣٤، (رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره) ٣٥. ضَرَبَ لَهُ مَثَلًا لَهُمْ بَيْنَهُمْ "أويس القرني"، أشعث أغبر ذا طمرين، راعي إبل، لا ملكا ولا وزيرا، ولا أميرا، ولا صاحب سلطان، ولا صاحب مال، ولا صاحب جاه، ولا صحابيا مثلهم، (إذا رأيتموه فأقرئوه مني السلام واسألوه لي ولكم الدعاء) ٣٦.

ما أدبك يا رسول الله، هكذا تكون الخلق، هكذا تكون الديمقراطية التي تتحدثون عنها، ولا تقومونها، ولقيامكم على ما أنتم باسمها تشوهونها. أهنأك ديمقراطية أخرى يعرفها المسلم غير خلق رسول الله! أهنأك اشتراكية أخرى يعرفها المسلم غير إيثار رسول الله مؤثرا على نفسه في كل مناسبة، وفي كل حال، وفي كل ظرف!

في الضيق وفي الفرج، عنده أو عند الناس، به خصاصة أو بدون خصاصة، هو في خدمة الناس يقوم ويشرع، سيد القوم خادهم لا يعرف سيده، له شرف السيادة في قومه، إلا إذا كان خادم قومه، مؤثرا على نفسه بماله وجهده.

إنه لا يرى في الأمير سيّدا ولا يشرع أو يسن له في أمته سيادة ولا يرى فيه للقوم إلا أجيرا، ولا شرف له بينهم إلا أن يكون خادما مؤثرا لقومه على نفسه، يراه في وضعه كأمر أجيرا يعيش من أيديهم، ومن كسبهم. إنه أجيرهم مأجورا على أمنهم وحرّيتهم.

وإذا كان الأمير أجير قومه فمن يكون الخادم السيد لقومه؟ السيد الذي هو خادمهم؟ إنما هو خادمهم في الحياة إلى الحياة، إنما هو حوض الحياة، إنما هو خادمهم في الله، إنما هو خادمهم في الدين، إنما هو الطريق والسبيل إلى الله.

فإذا رأى الأمير نفسه وأمره وإمارته، إنما هي في خدمة قومه فعلا وحقيقة وقف خلف إمامهم وإمامه وهو معروف من بينهم، ورآه من قومه وإمامه مأمورا، ولإرادتهم وإرادته آمرا، ولرغبتهم منفذا، وعمّا يؤجرونه به، من دنياه ودنياهم، مترفعا، بخدمته مع الله متعاملا، وبالفائض من أجره بازلا، وبه للفقراء مؤثرا، وهو بالكفاف قانعا، فكان للإمام ظلا ولمعناه عينا، فكان حقا لقومه سيّدا، فقد أصبح لهم خادما صادقا.

هذا هو تقييم الإسلام للأمراء، وللوزراء، وموصوف العظماء والأثرياء، فإن كانوا في غير ما وصفهم الإسلام، فما أنصفوا أنفسهم يوم اتصفوا للناس مسلمين، فما دخلوا الإسلام بعد وما دخلهم الإيمان بعد، وما قاموا للإسلام بالإحسان، عنوانا يرتضيه الديان.

كانوا {بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان} <sup>٣٧</sup>. (اعرف الحق تعرف أهله) <sup>٣٨</sup>، فمعرفة الحق نظرا، سابقة على معرفة عنوان الحق عملا وقياما. (خير العصور عصر يكثر فيه الفقهاء، حتى إذا قام الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وجد من يعينه) <sup>٣٩</sup>، فهو بأمره أمر بعيد عن الفقهاء ما بقوا في وصفهم بالفقه النقلي، (علمنا عن الله نأخذه وغيرنا ما قاله السلف) <sup>٤٠</sup>. إن الأمر بالمعروف، الناهي عن المنكر، إنما هو من اتقى الله، فعلمه الله، وآتاه الله من لدنه رحمة وعلمه من لدنه علما.

الله أعلم حيث يجعل رسالته، هو أعلم من الناس بمن يستحقها من بينهم. بذلك قام الإسلام شريعة، وفقها، وعِلما، للتعريف عن الأمر بالمعروف الناهي عن المنكر، (إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة) <sup>٤١</sup>.

وللتعريف عن الإمام، وللتعريف عن الرائد، وللتعريف عن المرشد، وللتعريف عن الرشيد، وللتعريف عن الرجل، يجب معرفة معنى الرشاد ويجب معرفة وجوه الحق في القيام، أسأل الله لأقرب من هذا رشدا، {أليس منكم رجل رشيد} <sup>٤٢</sup>! ما من كمال إلا وعند الله أكمل منه، ما من رشيد، إلا ويبرز الله أرشد منه (اعرف الحق تعرف أهله) <sup>٤٣</sup>، فمعرفة الحق علما ونظرا هي مقياس التمييز والتعريف بأهله.

فمن رشد وعرف معنى الرشاد، ما استعلى، وما قال إنني بينكم الرشيد، ولكن طلب الرشاد، ممن لا يملكونه وعند من لا يعرفونه، أليسوا هم من آيات الله، والحكمة ضالة المؤمن! خذوا الحكمة ولو من أفواه المجانين، اطلب العلم من المهد إلى اللحد، اطلب العلم ولو في الصين.

إن الرجل الرشيد إنما هو من يبدو باحثاً عن الحكمة، باحثاً عن المعرفة، طالباً للرشاد على صورة دائمة، فإذا بذل مما عنده متواصياً بالحق فمعاملة مع الله وطلباً للإيمان بحبته لأخيه ما أحب لنفسه، فطلب الإيمان والمزيد منه عنده لا ينقطع.

إن المعلم، إنما هو من يبدو ويقوم فعلاً بين الناس متعلماً، دائماً على طلب العلم.. إن السيد، من يبدو ويقوم فعلاً للناس مسوداً.. إن المعبود إذا ظهر بين الناس ليعلم أو يتعارف ظهر عابداً.. إن الموجد، إذا ظهر بين الخلق معلماً أو متعارفاً ظهر متواجداً.. إن العالم إنما هو من إذا تواجد بين الجهلاء بدا جاهلاً.

كيف يُعرف الله ورسوله في أحدهما لهما للشهود بهما إلا عن طريق القلوب، يوم تصفو القلوب، يوم تستيقظ القلوب، يوم تستجيب القلوب للعقول، يوم تشرق العقول والقلوب بنوره، فتتلاقى النفوس والعقول بذوات لها على نوره، وتتحد وتوحد بنوره (المؤمنون كأعضاء الجسد الواحد)<sup>٤٤</sup> كلمات وحقائق لله ورسوله مترامة، (قوم أناجيلهم صدورهم)<sup>٤٥</sup>، {محمد رسول الله والذين معه}<sup>٤٦</sup> {إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً}<sup>٤٧</sup>.

يوم تشرق العقول بنور المعرفة، يوم تعرف العقول أنها لا تعقل، يوم تحار العقول في اللامعقول، لا بل وفيما يبدو معقولاً، لأنه ظاهر اللامعقول، فتعقل أنها لا تعقل ولا تحمل نفسها ما لا تعقل، فلا يفلت منها ما تعقل (اعقلها وتوكل)<sup>٤٨</sup>.

ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً تجاهلت حتى ظن أني جاهل<sup>٤٩</sup>

إن الذين يبدو أنهم العلماء ويزعمونهم الحكماء، ليسوا في حقيقة أمرهم غير الجهلاء.. إن الذين لا يخجلون من جهلهم بالحقائق متشككين حائرين، عن إدراكها عاجزين، ولمعرفتها طالبين، وعنها باحثين، إنما هم من بها هم العالمون، ولحقيقة الأمر مدركون، ولله مفتقرون.

إن الذين يعرفون، وأمرهم يحكمون، عن الجهلاء بمعرفتهم وحكمتهم يمسون، ولنطقهم يتخيرون، وإن كانوا في معرفتهم وصفاً لها بالجهل في دوام يشيرون، ومع الطالب للمعرفة مما عرفوا لها يبذلون وعليه لا يخجلون، وهم معه عنها يتساءلون، وهم على أنفسهم بها يؤثرون، وإن كانوا لها الطالبين وعليها الحريصين، يعطونها لتنمو في أوعية ومواعين الآخرين، وهم ممن أعطوها له عنده نامية منه لها الطالبون، فهم ممن علموا يتعلمون. أولئك هم الموحدون، أولئك هم المسلمون، أولئك هم الروحانيون، أولئك هم للمادة

المالكون المتصرفون في ملكهم على ما يرتضون. ألم يقل لكم الله في كتابه، {لهم ما يشاءون عند ربهم} ٥٠!

قدّر.. فهم القادرون، وهدى.. فهم المهتدون، وأعز.. فهم الأعزاء المحكمون. إنهم أسماء الله التي تذكرون، وبألسنتكم تلوكون، وتهرفون بما لا تعرفون، وعبادا للرحمن هونا على الأرض يمشون، وهم للسماء قبل الأرض يملكون ولها يطأون.

إن لأعلام الحياة على أرضكم دورات، بعوالم للحياة، بدايات ونهايات يقومون، بداياتها قرين نهايتها، ونهاياتها قرين بداياتها. وأهل البداية وأهل النهاية على أرضكم يظهرون وفي عالمكم يجتمعون.

كما أن لهذه الحياة إلى السماء ثمرات تتجمع إليها أعلام هذه الدورات في قيامها لأحدا بجماعاتها قياما لحضرات بيوتا لله ترفع برجال من الواحديات، بأحاد حقائق بالرشاد، لإنسانية الرشاد، لوجوه الله بالعباد، جديد الآزال للأباد، ومن خلال قائم أمور بالله عروة وثقى بينهما وأمر وسطا لهما.

{إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم} ٥١، وإن مثل آدم عند الله كمثل عيسى، (أنا كائن قبل آدم) ٥٢، (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين) ٥٣ (قبل آدم مائة ألف آدم) ٥٤، (لا تقوم الساعة إلا ويظهر على الأرض آدم) ٥٥، (خلق الله آدم على صورته) ٥٦. خلق إنسان الله بحقيقته إنسان خليقته بإرادته، في آدميته، على صورته في إنسانيته، على ما كان في نشأته، من بدئه بآدميته لنهايته وبدايته بإنسانيته هو بينهما ظاهرا لباطن لأمر خلافته، لرقيه وتعاليه إلى كنزيته لقائم حقيقته لقائم خليقته.

إن ظهور آدم، يقارن دائما مداناة الله بالإنسان له من عوالم الروح {هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك} ٥٧، وإن قرب الإنسان في مداناته، لقيامه لعينية العنوان، لبداياته بأوادمه يقارنه تعالي قائم آدميته بأوادمها، بالبيت القائم، ليكون بيتا مرفوعا بقائم إنسانه، تخليا عن موجود المشاركة للذكر المحدث في مجاله وعنوانه.

إذا ظهر الإنسان بمعناه بالعبودية غاب الله بإنسانه بمعناه بالربوبية، فيوم يظهر الله بإنسان الروح لمعنى إنسانه، غاب الإنسان على الأرض عنه لمعنى عنوانه، فبدأ الإنسان، لمعنى الآدم، يوم غاب الإنسان لمعنى الحق.

(إن غبت بدا وإن بدا غيبني) ٥٨

وهو ما تشهدونه في عصركم، لرسالة الروح بوسطائه من عالمكم ويوم يغيب وسيط روح الإرشاد عن نفسه تماما، غيبة كاملة، فيتواجد الروح المرشد ظهورا بمجال من مجالات كماله، وحتى الآن لا يوجد الوسيط الفرد الذي يطيق أو يُمكن من ظهور روح مرشد ظهورا كاملا، وهنا يقول الوسيط أو لسان

حاله: إن أردنا أن نترجم عن الواقع المشاهد المدرك لنا بالاتصال الروحي القائم في هذا العصر.. إن غبت من بينكم بعقلي وروحي، وبقيت بينكم بهيكلي وجهازي ونفسي، بدا لكم ربي وإلهي، من وراء حجابي، وإن بدا لكم ربي وإلهي فقد غبت عنكم فلن تجدوني فلا تبحثوا عني، واسمعوا منه واحملوا إليّ عنه.

هذه آيات كبرى من آيات الله، يُظهرها الله لنا، في أنفسنا، بقائم الوسيط بيننا منا في هذا الوقت، وهي آية تقابل آية المعراج بذهاب العبد إلى ربه، وهذه آية محيي الرب إلى عبده وجها لله نلقاه رجلا من بيننا يقوم لنا بيننا بقائم الروح المرشد، الروح المرشد الذي تُزوى له الأرض فهي جميعا قبضته، والسموات مطويات بيمينه.

يوم يتحدث المرشد من هيكل من هياكل نفسه إلى هياكله المقيدة يتحدث بوسطائه، ليذكر نفسه بضعفه وضآلته كما يقول، يكلمنا به الحق من وراء حجاب له وعندما ينطلق هو إلى واسع ملكه، يقول: "إذا فارقت عالمكم، شعرت بعظمتي وكبريائي، فإذا جئت إلى عالمكم شعرت بضآلتي وضعفي، وإني لأحب أن لا أبقى دائما في عظمتي وكبريائي. إني لأحب أن أذكر نفسي دائما بضآلتي وضعفي أمام المطلق، أمام اللانهائي، وإن كنت اسما من أسمائه وعلمها من أعلامه ومعنى من معانيه وعبدا من عبادته، ورسولا من رسله، وأحدا من آحاده، سيدا في خدمة ما خلق من خلقه وسيدا بخدمته، على ما عرّف رسول رحمته...

إني لأكتفي من عالمكم هذا برجل منه، مستجيبا لي وأراه أهلا لما أدعو إليه، متقبلا لما أهدي به، بما هدى به رسول الله من قبل، (لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا وما فيها)<sup>٥٩</sup>. ولكني لست فردا يدانيكم، فنحن آحاد بجماعات نعمل في هذه الرسالة القائمة لهذا العصر، بيانا لما سبق أن جاءكم به الرسل والكتب."

إن هداية قلب واحد، في الله، بالله، لله، إنما هي أمر جد خطير، إنها بداية في تواجد وجود كبير، على مثال من الوجود الذي تقيمون فيه، قائم وجود، من قلب مربوب وقلب راب أحاطا بالسموات والأرض، وأحاطا بكل شيء في الوجود لمعنى الله ورسوله لعقائدكم فما قدرتم الله حق قدره.

فإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا، {أوليس الذي خلق السماوات والأرض، بقادر على أن يخلق مثلهم} <sup>٦٠</sup>، {والسمااء بنيناها بأيدي وإنا لموسعون} <sup>٦١</sup>. (إن آخر من يخرج من النار، [إن آخر من يخرج من نار احتراقه، من نار اشتعاله، من نار وجوده، من نار صقله، من نار نفسه] يعطى عشرة أضعاف هذه الدنيا) <sup>٦٢</sup>.

ما قدر الناس الله حق قدره، وما خلق السماوات والأرض، إلا كبير خلقهم لأمرهم من الله يوم يعرفون كيف يتخلقون، يوم يعرفون كيف يتخلقون باسم الله، هو لهم، هو عارية وجودهم، وهو لهم، رحمة مهداة، ونعمة مزجاة، وقيومية دائمة، برحمة الله برسول الله...

يوم يعرف المؤمن مؤمنا، فيكون المؤمن مرآة لمن عرف من مؤمن، الله من ورائهم، وهو مطلق الإيمان، بلا بدء للمؤمنين فيه، ولا انتهاء للمؤمنين به. المؤمن به مرآة المؤمن فيه قياما للمؤمن مرآة للمؤمن قياما لله ولرسول الله، عند المؤمن بهما.

لا إله إلا الله محمد رسول الله

وتعالى الله في مطلقه وفي لانهائيه عن كل وصف، وعن كل تعريف أو قول. إنه المعروف لوجوده بوجوب وجوده، فتي غاب حتى يستدل عليه! اختفى في شدة ظهوره وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل. إن الذي يعيننا إنما هي آلاؤه لنا.

اللهم يا من جعلت من الإيمان حياة، ومن الإسلام من العدم نجاة، فحملت الناس في الناس، ربكا إليك، وقياماك بك، وكشفا عنك، اللهم ألحقنا بركب المؤمنين، وأفض علينا الإيمان من قلوب العارفين، حتى نكون بقلوبنا حية من المسلمين.

اللهم ارزقنا الإسلام والعرفان وأقنا سقاة على أحواض الإيمان، حتى نكون خدما لطالبي الإحسان، طلبا للقاء الرحمن بفيضك، مؤثرين، ولطالبيه ميسرين وبه عليهم قوامين لا مستعلين ولا مستكبرين، ولكن جندا مسيرين، وبيوتا مهئين، وسفنا موجهين، ومصاييح مضائين في الخدمة مجندين حتى نكون بذلك من المسلمين.

فألحقنا اللهم بركب الإسلام وركب الدين، وركب الفطريين، ركب الروحانيين، ركب الموحدين، ركب المتحققين، ركب السالمين، المسالمين، المسلمين.

اللهم اجعل منا سلاما للعالمين، وأنزل علينا في عالمنا سلاما منك إلى يوم الدين.

اللهم فول أمورنا خيارنا برحمتك ومغفرتك، ولا تول أمورنا شرارنا بما كسبنا، وكن لنا في الصغير والكبير من شأننا، حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، عالمين ومتعلمين.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

### مصادر التوثيق والتحقيق

- ٢ سورة فاطر - ١٤
- ٣ سورة البقرة - ٣٠
- ٤ سورة البقرة - ٣٠
- ٥ سورة الحجر - ٢٩
- ٦ سورة الأعلى - ٣
- ٧ سورة النجم - ٣٩-٤٠
- ٨ سورة الزلزلة - ٧-٨
- ٩ سورة هود - ٤٥
- ١٠ سورة هود - ٤٦
- ١١ سورة المزمل - ٦
- ١٢ حديث قدسي طويل: قال الله تعالى: "يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً ولا أباي فاستغفروني أغفر لكم... يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً". صحيح مسلم.
- ١٣ سورة النحل - ١٢٨
- ١٤ سورة فصلت - ٦ ، سورة الكهف - ١١٠
- ١٥ سورة مريم - ٦٥
- ١٦ الأنعام - ٩١
- ١٧ حديث شريف ذات صلة: "إنا معشر الأنبياء أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم". بحار الأنوار (الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، المكتبة الشيعية. كما جاء في البخاري أن الإمام علي كرم الله وجهه قال: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله"
- ١٨ سورة الكهف - ٢٨
- ١٩ سورة الإسراء - ٨١
- ٢٠ سورة الفرقان - ٥٩
- ٢١ حديث شريف: "إن لله عبداً إذا رُؤوا دُكر الله". الراوي: الحسن البصري. صحيح ابن ماجه.
- ٢٢ حديث شريف: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل". أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.
- ٢٣ سورة العنكبوت - ٦٩
- ٢٤ سورة الحجرات - ٧
- ٢٥ من أثر ثابت من قول أبي الدرداء رواه أبو نعيم في (حلية الأولياء)، والبيهقي في (شعب الإيمان)، وغيرهم. وذكره البخاري بلفظ: "إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم". دون أن يجزم بأنه حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم. (معنى "نكشر": نبسم أو نضحك في وجوههم)
- ٢٦ مثل عربي مشهور.

- ٢٧ سورة الروم - ٤٩
- ٢٨ سورة فاطر - ١٤
- ٢٩ سورة القلم - ٤
- ٣٠ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٣١ سورة النساء - ١١٣
- ٣٢ سورة الإسراء - ٨١
- ٣٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٣٤ حديث شريف. أخرجه الطبراني، والحاكم في "مستدرکه"، وأبو نعيم الأصبهاني في "معرفه الصحابة"، والبيهقي في "دلائل النبوة".
- ٣٥ من حديث شريف: "رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرٍ، ذِي طِمْرَيْنِ، تَنْبُو عَنْهُ أَعْيُنُ النَّاسِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا يَبْرُهُ". أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) بلفظه، وأصله في صحيح البخاري ومسلم بنحوه.
- ٣٦ إشارة لحديث شريف عن عمر ابن الخطاب حين أتى إليه أمداد أهل اليمن، فسألهم عن أويس القرني، وقال "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا يَرِي، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَا يَبْرُهُ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ، فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفِرْ لَهُ". صحيح مسلم
- ٣٧ سورة الحجرات - ١١
- ٣٨ قول للإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه: إن الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله. مجمع البيان: ١ / ٢١١، روضة الواعظين: ٣٩. المكتبة الشيعية.
- ٣٩ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٤٠ معنى يتناغم مع ما تناقله الكثيرون من المتصوفة ومنهم الشيخ محيي الدين بن عربي في الفتوحات المكية عن قول أبي يزيد البسطامي: "أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، يقول أمثالنا: حدثني قلبي عن ربي، وأنتم تقولون حدثني فلان وأين هو؟ قالوا: مات عن فلان، وأين هو؟ قالوا: مات".
- ٤١ من الحديث الشريف: "فَإِذَا ضُبِيعَتِ الْأَمَانَةُ فَاتَنْتَظِرِ السَّاعَةَ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا وُسِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَاتَنْتَظِرِ السَّاعَةَ". صحيح البخاري
- ٤٢ سورة هود - ٧٨
- ٤٣ قول للإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه: إن الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله. مجمع البيان: ١ / ٢١١، روضة الواعظين: ٣٩. المكتبة الشيعية.
- ٤٤ حديث شريف: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". صحيح مسلم

- ٤٥ من حديث شريف: "صَفَيْتِي أَحْمَدُ الْمُتَوَكِّلُ، لَيْسَ بِفُظٍّ وَلَا غَلِيظٍ، يَجْزِي بِالْحَسَنَةِ الْحَسَنَةَ، وَلَا يَكْفِيُ بِالسَّيِّئَةِ، مَوْلَدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجِرُهُ طَبِيبَةٌ، وَأُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ، يَأْتِرُونَ عَلَى أَنْصَافِهِمْ، وَيُوضُّوْنَ أَطْرَافَهُمْ، أَنَا جِيلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، يَصَفُّونَ لِلصَّلَاةِ كَمَا يَصَفُّونَ لِلْقِتَالِ، قُرْبَانُهُمُ الَّذِي يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَيَّ دَعَاؤُهُمْ، رُهْبَانُ اللَّيْلِ لِيُوثَّ بِالنَّهَارِ". أخرجه الطبراني.
- ٤٦ سورة الفتح - ٢٩
- ٤٧ سورة النحل - ١٢٠
- ٤٨ من الحديث الشريف: "قال رجلٌ للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُرْسِلْ نَاقِيًّ وَأَتَوَكَّلُ؟ قال: (اعقلها وتوكل). صحيح ابن حبان.
- ٤٩ شعر لأبي العلاء المعري: ولما رأيتُ الجهلَ في الناسِ فاشيأ.. تجاهلْتُ حتى ظنَّ أنَّي جاهلُفوا عجباً كم يدعي الفضلَ ناقصٌ.. وواأسفاً كم يُظْهِرُ النَّقصَ فاضلُ
- ٥٠ سورة الزمر - ٣٤
- ٥١ سورة آل عمران - ٥٩
- ٥٢ حديث شريف ذات صلة: أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم "قالوا: يا رسول الله، متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد." أخرجه الترمذي، وأحمد بلفظ مقارب، والحديث الشريف "إني عند الله مكتوبٌ خاتمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ.." أخرجه أحمد وابن حبان باختلاف يسير.
- ٥٣ حديث شريف ذات صلة: "إني عند الله مكتوبٌ خاتمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ.." أخرجه أحمد وابن حبان باختلاف يسير، وأخرجه البغوي في ((شرح السنة)) واللفظ له. والحديث الشريف "أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله، متى وجبت لك النبوة؟ قال: وآدم بين الروح والجسد." أخرجه الترمذي، وأحمد بلفظ مقارب.
- ٥٤ إشارة إلى حديث شريف ذات صلة ذكره ابن العربي الحاتمي عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: "إن الله خلق مائة ألف آدم". وجاء في بحار الأنوار، من المكتبة الشيعية، عن السيد محمد الباقر: "بلى والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم".
- ٥٥ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٥٦ حديث شريف. أخرجه البخاري ومسلم.
- ٥٧ سورة الأنعام - ١٥٨
- ٥٨ من شعر أبو الحسين التوري. شاعر من العصر العباسي. "إذا تغيبت بدا وإن بدا غيبني"
- ٥٩ استلهاما من حديث شريف يخاطب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام علي بن أبي طالب: "فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم" أخرجه البخاري ومسلم.
- ٦٠ سورة يس - ٨١
- ٦١ سورة الذاريات - ٤٧

في إشارة للحديث الشريف "إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ كَبُوءًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا." أخرجه البخاري ومسلم.

(٣)

## محمد الحق

### رسول إنسان الحق ربا

### لقائم إنسان الحق بالخلق عبدا

### حقية العبد لحقية الرب في حقية الإنسان

حديث الجمعة

٢٠ جمادى الآخرة ١٣٨٥ هـ - ١٥ أكتوبر ١٩٦٥ م

إن في السماء لخبرا، وإن في الأرض لأثرا، {سنريهم آياتنا في الآفاق، وفي أنفسهم، حتى يتبين لهم أنه الحق} ١. إنه الحياة، وإنها الله.. الإنسان فيه، هو مدركه ومتصفه بمعانيه.  
له في كل شيء آية تدل على أنه الواحد ٢

إن الليالي من الزمان حبالى: مثقلات يلدن كل عجيبة ٣.

نقرأ في صحفنا في هذه الأيام أن رجلا من أقصى الغرب، يأتي إلى الأرض الوسطى من أرض المعاد، يأتي إلى شبه الجزيرة، يأتي إلى القدس، يأتي إلى المسجد الأقصى، يأتي إلى أرض البيت، يريد أن ينصب نفسه على جبل الزيتون، ملكا على البشرية، ليجدد قديم الحق، بالإنسان يذكره الناس بذكر محدث، لذكر قديم، فيمن يذكرون من حق بخلق.

فهو يزعم لنفسه حقا بخلق يجدد حقا وخلقاً، يذكره الناس بالإكبار والإجلال، وهو يريد أن ينصب نفسه ليكون محل هذا الإكبار، وهذا الإجلال من الناس.

(يظهر ثلاثون دجالا كلهم يدعى أنه رسول الله قبل أن يظهر ابن مريم) ٤، ومن قبل ادعى كثيرون هذه الدعوى، وقد أصبحت في عصرنا عنوانا له بكثرة دعائها، وقد امتلأت الأرض بطغاتها.

نحن لم نطلع على ما في قلب الرجل حتى نحكم عليه بالخروج من دائرة الحق بحكم ما في قلبه، ونحن لا ندري شيئاً عن حياته وقصته، كفرد من الناس بين الناس، ونحن لا ننظر إلى هذا الأمر وهذا الرجل، نظرة الآخرين من الهُزء والسخرية، فإننا لا نحكم عليه بالخلل، ولا نحكم عليه بالكذب، ولا نحكم له بالحق، ولكننا نتخذ منه موضوعاً للتأمل، موضوعاً للتفكير، موضوعاً للتبصرة.

ولكننا نقدر فيه إشارة لأمر، وإرهاصاً لفعل، قد يصدر في أيامنا، وقد يكون هذا زمانه، يوم تنشق الأرض عن إنسان، نشأة إنسانيتها، وعلة نشأتها، وقائم أمرها، مجدداً، يوم يتبع الناس الداعي لا عوج له، وتخضع الأصوات للرحمن، فلا تسمع إلا همساً، فقد يكون هذا اليوم منا قريب، وقد وعد الله أن يجليه لساعته.

نحن لا ندري من يكون من بيننا صاحب هذا اليوم، فليكن صاحب هذا اليوم من يكون، فإنه إنسان، إنه عبد الله، وعبد لإنسانٍ ورفيق أعلى في الله، على ما ندرك، وعلى ما نعرف، من أمر الفطرة وصبغة الله لها، على ما علمنا فاطر السماوات والأرض، وعلى ما حمل إلينا، رسول إنسان الحق ربا، بقائم إنسان الحق للخلق عبداً، حقبة العبد، لحقبة الرب، في حقبة الإنسان، لحقبة الرحمن، لحقبة الوجود بالله، لحقبة الوجود بالله يقوم، والله يُشهد، ومن الله يُنشد ويطلب، يوم يتواجد الإنسان فيه لربه، يوم يتواجد الإنسان فيه للأعلى فالأعلى من معنى الإنسان حتى إلى إنسان يرتبط باللانهاي، يرتبط بالله، يرتبط بالواسع العليم، يرتبط باللطيف الخبير، يرتبط بالمطلق لا شريك له...

فأنفسنا للأعلى، فالأعلى، إلى اللانهاي، ننسب ونتنسب، ونُسب، وبذلك نقوم، فلأنفسنا بالحق نشهد، وبقائم الحق لها نُسعد، وهذا ما في الله بالله من الله نرجو وننشد.

إن الذي يأتينا بقول مصدق لما بين أيدينا، مما أنزل الله، فهو لنا صديق، ولنا رفيق، ومن الأعلى إلينا لنا رسول، نؤاخيه ونحبه ونواليه، ونسند له نعانیه، {من يهد الله فهو المهتد} وهذا أمر عن الأرض لا يغيب بفعل الله لا ينقطع.

بهذا من قبل بُشرنا، على أنه في دوام فينا، وفي دوام لنا وفي دوام بيننا، فإن كان قد آن زمان سفوره لنا بيننا، فنحن نستقبله بموصوف ما علمنا، يوم نراه قائماً فيما علمنا، ولا ندركه قائماً فينا علماً، إلا يوم نجاهد لنقوم بما علمنا، له أعلاما.

إن الذي يؤمن بالله ورسوله أقرب إليه من جبل الوريد، ومعه أينما كان، وبأي حال كان، وفي أي طور تواجد، مؤمناً بالله ورسوله لنفسه معية وقياماً، مسلماً لله ورسوله، وإماماً، إنه يستطيع أن يفرق

الحق من الباطل وأن يحكم لصادق الأمور، يوم يُظهر الله أمرا، أُعطي عنه نبأ وعلم منه خبرا، وأوجد الله له في الأرض للنفس أثرا، {من يهد الله، فهو المهتد ومن يضلل، فلن تجد له وليا مرشدا}٦.

إن الله قائم بهديه دائما، وهاد دائما، ومعلم دائما، وكشف الغطاء للنفس عن حقيقتها، ما طلبت، دواما ودائما، ومبرز مصايحه لطريقه دائما، ومجدد لرسالاته دائما، اتقوا الله دائما، ويعلمكم الله دائما، فهو يوحى إلى الإنسانية دائما، وهو جاعل لها منها بها رسلا، لهم صفات الوحي دائما، (الشيخ جبريل مریده)٧، والأب الصالح، قيوم قائمه بوليده، لا ينقطع عمله عن الأرض، ذرية طيبة بعضها من بعض.

إن الصلاحية مع الله، إنما هي في الصلاحية لله، وإن الصلاحية لله، إنما هي في إعداد النفس لاستقبال فيضه بنوره، نورا للهداية على نور الحياة، هو نور المعرفة، هو نور العلم.. هو نور العناية.. هو نور المتجلي.. هو نور الإنابة للمنيب، استقبالا لفيض النور ممن إليه أناب، {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم}٨، النبي قاسم لعطاء الله، والله هو المعطي، والنبي هو القاسم، وهو بفعله لقسمه، منعم وواهب، {فامنن أو أمسك بغير حساب}٩، الذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه، {وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته}١٠.

(الظاهر مرآة الباطن)١١، {قل جاء الحق}١٢. إن الرسول بظاهره لمعنى عبده مرآة باطنه لمعنى ربه، إنه سفور ربه بينكم، وداني الرب إليكم، في الله محيطا، دونكم وفوقكم، ومن حولكم، ودونه وفوقه ومن حوله. صلى عليه وصلة وصلته بإنسانية القدم، آباء، ينشدون الأزلي لمعناهم، في الأبدى لهم من مبناهم، كلمة الله تتم، ونور الله بها للخلق يعم انتظروها موعودين، وتجددوها مسعودين.

ناموس يسعد به الآباء، بما جعل المطلق لهم بالأبناء، فيشهدون الأبدى، بعقيدتهم في الأزلي، ليقومونهم الحق، بقائمهم إلى القديم، عبادا له ينسبون من وراء ظهورهم هم له الوجوه، فيشهدونهم بتواجداتهم، أربابا، بقائمهم الأبدى، بقديمهم منهم تواجد.

وقبل شهودهم لتواجده بهم ما شهوده، ولكنهم قاموه وآمنوه، ونشدوه ليسعدوه يوم يشهدوه، فأسعدهم وأجاب سؤلهم، وقال لهم، منكم لكم أشهد، يوم أني منكم، لمعناي، بكم أتواجد، فتعرفونكم فيّ، وجوها لوجوه، وحقائق لحقائق، وأزلية لأزلية، وأبدية لأبدية، في قائمكم بقائم الروح، عاريا عن الجسد، {ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء}١٣.

إن الذي يحول بينكم عقولا، وبين قلوبكم حقائق، إنما هو ما ضرب بينهما من سور أجسادكم، ويوم نفخ في أسواركم، فيتحول منكم الكثيف إلى اللطيف فتصبحون أرواحا، وتتخلون عنكم أشباحا،

وتطورون أشباحكم عوالم، فيها تسبحون، وفيها تمرحون من سماوات وأراضين، بكم لكم، وُجِدْت، ومنكم بالأعلى تواجدت يومئذ تجتمع عقولكم على قلوبكم وفي هذا قيامتكم بالحق وساعتكم بالحياة.

خلق الأعلى كل شيء من أجلكم، وخلقكم من أجله، ثم طوركم من خلقكم، إلى حقه لحقكم، يوم حرركم من سجون أنفسكم، وأطلقكم، في داركم عرضها السماوات والأرض، منها أنفذكُم، وفي مطلق الوجود له، سَبَّحكم ونزهكم، ومن العوالم حرركم، وبأكوانها، وعليها استخلفكم، فكنتم لها فيها معاني سلطانها، لمعاني سلطانه بكم.

قدّر فهدى، فما هدى إليه إلا قادرا، إلا عبدا مقدّرا مقتدرا، ومن الضيق محررا، ومن المادة عتيقا، وفي السماوات وخارج السماوات حرا طليقا، {يا معشر الجن والإنس، إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا} <sup>١٤</sup>، وهذا لكم ممكن وليس عليكم بمستعصٍ، ولكنكم {لا تنفذون إلا بسلطان} <sup>١٥</sup> من قدّر فهدى، سلطان، من كان منه السلطان، {إن العزة لله جميعا} <sup>١٦</sup> {ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين} <sup>١٧</sup>، يوم يكونون بالله أَعْزَاء، وبالله أحرارا طلقاء.

فن يكون العزيز؟ ولمن تكون العزة؟ العزيز من أعزه الله، ومن أعزه الله، أعزه على نفسه، فلك زمامها، وممكن من قيادها، فقادها، وظهراً له امتطأها، وساقها حثيثاً إلى مولاه، لمعاني مولاه، يوم هو للأعلى، على نفسه ارتضاه، فتابع رسول الله، وفي في رسول الله، وأحب رسول الله، وشمل بحبه كل معانيه، وكل مبانيه، وكل جوارحه، وكل أعضائه، وكل تواجدياته، وكل معانيه.

فراه الحق إليه من مطلقه، وأنه قائم الأعلى لشهادته، فكان معه والأعلى، في مطلق الله، حقاً واحداً، رفيقاً، تابع رفيق، وصديقاً، آمن بصديق، وسالكا، التزم الطريق، وعرفه خلقاً، للحق خلقه لنفسه، هو، له، به، منه، يوم سلك به السبيل والطريق، يوم عرف فيه الصديق، يوم كان في الله به فاروقاً وصديقاً.

ففرق بين الحق والباطل في أمره، فعرف الباطل في أمره وهماً، وعرف الحق له فيه علماً وعلماً فكان لله وجوداً مطلقاً، منه ظهر له اسماً، قام بالتقييد كسماً، فعرفه للإطلاق والتقييد وجوداً ورسماء. وعرفه للأعلى بمعناه ظهوراً وتواجداً، وعرفه بذلك في مطلق الله، سائراً وعارجاً، فعرف الله له فيه، به، منه، في ذي المعارج معراجاً، فسرى في الأرض إسرائاً، وعرج في نفسه تطورا، رقيقاً واعتلاءً، فتخلص مما فيه من وهمه، وقام بما فيه من أمره، وسعد بما له من حقه، يوم كان شعاره لا إله إلا الله، وقيامه محمداً رسول الله.

ويوم يأتينا من يجدد ذلك لنا فينا، فنعرفه له ونشده منه لمعانينا، فنحن السعداء، عرفنا بأنفسنا الأرقاء، وعرفنا من به نكون الطلقاء، والعتقاء.

إن رحمة الله بنا لا تُخفي ذلك عنا، ولا تقطع تواجده بيننا، بمن هم من أنفسنا، عباد للرحمن يمشون على الأرض هونا، منهم شعثٌ غبرٌ لو أقسموا على الله لأبرههم. النبي إمامهم. أخفاهم الله في الخلق، وما أخفاهم، وأظهرهم للخلق، وما أظهرهم. إنهم للخلق هديته، وإنهم للحق متواصل رحمته.

إنهم للناس، سر الناس وجهر الناس، والعروة الوثقى بين الناس بخلقهم، والناس بحقهم، في معانيهم لأنفسهم. إنهم الهداة، إنهم الدعاة، إنهم الولاء، إنهم المتربعون على عرش الوجود بالموجد، لا كبرا، ولا استعلاء، ولكن منة وخدمة، ومن الله للصادقين جزاء، ورحمة وعطاء.

تأملوا رسول الله، وهو يقول، (أنا سيد ولد آدم ولا خفر) <sup>١٨</sup>، وتأملوا المطلق وهو يقول، {فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه} <sup>١٩</sup>، آدم قيامنا في معصيته.. آدم حالنا في غفلته.. آدم شُخنا في رؤيته لنفسه.. آدم نفوسنا في كبريائه بحسه.. آدم عقولنا بوعيه لقطيعته.. آدم ذواتنا في بعده عن قائمه بوصلته الرسول كلمة الله إليه بنا لتوبته وأوبته فهو خليل أبيه وإمام إخوته.

(وجودك ذنب لا يقاس به ذنب) <sup>٢٠</sup>، الذين كفروا بوجود الله لوجودهم، أضل أعمالهم، {الذين كفروا [بمعية الله لهم] أعمالهم كسراب بقيعة، يحسبه الظّمان ماءً، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، ووجد الله عنده} <sup>٢١</sup>. إن الذي يصلي لإله لم يقمه، لم يزد بصلاته من الإله الذي يقومه أقرب إليه من جبل الوريد إلا بُعداً، فهو يقصد بصلاته وصلته إله لا يقومه، فيقصد إله لا وجود له.

إن الإله عند المسلم الصادق، إنما هو روحه وحياته ووجوده. إن الكائن الآدمي، في علم الفطرة، وفي دين الفطرة، هو الشيطان بأديمه، وهو الرحمن بعليمه، فإن بقي لأناه بأناه مع شيطانه، كان الرجيم بعنوانه، وإن تخلّى عن رجيمة إلى رحمانه وعليمه، كرم الله شيطانه، وعبد له لعنوانه، فطور عالمه وهيكله، إلى موجود الوجود للسموات والأرض لنفسه لمآله لهيكله، وأمره كمعنى ومبنى للسموات والأرض في نشأتها، أن يرجع إلى نفسه نفسا لمعنى ربه في حقيقتها، {ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين} <sup>٢٢</sup>.

إن الإنسان في لطيفه، سديم لعوالمه بكثيفه، فدخان السموات والأرض، إنما هو لطيف نفسه، يوم تنطلق من كثيف حسه، وتتحوّل مادته إلى مآله لطافته، فينطلق عليمه بعقله، لمعنى نور ربه، في سديمه للسموات والأرض لنفسه، منه ثواجد، وفيه توجد، وبه تتعدد، {أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم، بلى وهو الخلاق العليم} <sup>٢٣</sup>، {والسماوات بنيناها بأيدي وإنا

لموسعون} ٢٤، {وما كنت متخذ المضلين عضدا} ٢٥، {لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون} ٢٦، لو كانوا يعلمون ما يؤول إليه خلقهم، {أيحسب الإنسان أن يترك سدى . ألم يك نطفة من مني يعني} ٢٧.

إن الله، هو الله، لا شريك له، إن الله، موجود، لكل وجود قبل وجوده، وبكل وجود بعد عزله عن كنوده، لقائه بالحق بموجوده، فالله قبل الأشياء، والله بعد الأشياء، والأشياء بين يدي رحمته، لا تقوم إلا بإرادته، ولا تُشهد في جمالها إلا بجمال طلعته، ولا تُشهد، لمشاهدٍ إلا إذا كان الله من ورائه محيطا، هو له وجه، يرى وجهه حيثما ولى، وكيفما اتجه.

ولن يراه حيثما ولى، قبل أن يراه في نفسه. (ابداً بنفسك) ٢٨، {واستقم كما أمرت} ٢٩، {وفي أنفسكم أفلا تبصرون} ٣٠، {ارجع البصر كرتين، ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير} ٣١، فيقول الرسول، (انعكس بصري في بصيرتي، فرأيت من ليس كمثله شيء) ٣٢، {ما كذب الفؤاد ما رأى} ٣٣.

فأنتم تشهدونني لمعنى الشيء، وأنا بالشيء أشهده لمعاني الوجود، وأعلم أن الشيء فيه مفقود، (من محمد!) ٣٤، (من رأي فقد رأي حقا) ٣٥، (فإن الشيطان لا يمثّل بي) ٣٦. وما رأي حقا، إلا من كان حقا، وما كان حقا، إلا من كنت منه، ولن أكون منه، قبل أن يرتضي أن يكون مني، من رضى أن يكون مني، رضيت أن أكون منه.

{إن الله وملائكته، يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما} ٣٧، يا أيها الذين آمنوا بأن الله قائم على كل نفس ومن ورائها بإحاطته، كونوا لله وملائكته، تخلقوا بأخلاق الله وملائكته، توحّدوا مع الله وملائكته، وصلوا على النبي قائم الحق بكم بينكم، كما صلى عليه جنسكم بآبائكم بالحق قديما، بقائم الله وملائكته لهم فناء في الله وملائكته، وقياما وبقاءً بالله وملائكته، فما ظهر الله في شيء مثل ظهوره بالإنسان. هو منكم يتواجد ويتجدد، في قائمه الأبدى، لقائه الأزلي، فالإنسان في أزليته، والإنسان في أبديته هو الحق لكم من المطلق في لانهايته وما كان النبي لكم إلا الحق، بالإنسان في ديموميته، وسرمديته، أعطاه الكوثر، وما كان شأنه إلا الأبر، به جاءكم الحق، فهلا تحققتم به للحق حقائق.

إن الله كان لمن صلى عليه من الإنسان قديما وقد أمروا أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه. وأنه بجديده لقديمه ذكرا محدثا لذكر قديم، ظهر لنا قديما لقديمهم، به يقتدى وفيه يتجدد أول عابدين على ما كان بأوليات لم تُدرك على ما كانوا له قديما لقديمه ينشده، فأمر، {فبهدهم اقتده} ٣٨، فما طلب الرسول إلا مطلق الله، وما طلب إلا الأعلى، وما أنكر الله لنفسه، في معاني عدمه عنه، لمعاني وجود الأعلى به

{دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى} ٣٩، فأوحى له منه، بما وعى فيه عنه ما أوحى، {ما كذب الفؤاد ما رأى} ٤٠، فرآه الأعلى، لعينه بموجوده حقاً في وصف الأدنى لمخلوقه خَلَقًا فقال هو له ربي، وقال هو له عبدي. فلما عُبِدَ به، وأُوجِدَ منه، وجدده له، وقد أعطاه سِرَّ التكاثُر قال له لا فرق بينك وبينى.

قال له ربه إن الأعلى الذي أوجدني لعينه، أذن لي وأمرني، أن أوجدك لعيني، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني} ٤١، ولا تَرَدِّدْ لِمَا قُلْتَ، {إن ربي على صراط مستقيم} ٤٢، فإن صراط ربك المستقيم إنما هو صراطك، وإنما هو صراط الأعلى، وإنما هو صراط الباقي والأبقى، وهو بك باقي، ومنك يتواجد بالأبقى لهم، يوم ترجع إلى الأعلى عليهم وقتما تشاء فقال (بل الرفيق الأعلى بل الرفيق الأعلى) ٤٣.

بهذا جاءنا دين الفطرة، وها هي النفوس تعبت بما جاءها. إن الذي يقوم في هذا القيام، يشهد الله فيمن دونه، عين ما يؤمن به فيما يعلوه منه، ولا يدعيه في قائمه على الكون مقاما، ولا على الوجود ملكا، ولكنه يعلوه لنفسه، على ما يعلوه فيعلوه لقومه، على ما عليه.

فهو لا يعلو إنسانا، ولا يستعلي عليه، ولا يراه على العوالم ملكا وهي له ملكا، ولكنه يراه للأعلى عبدا، ومنه للأدنى لمعاني وجهه وجهها، يعتز بمسكنته ولا يظهر بعزته.

هذا هو دين الفطرة، وهذا هو دين القيمة، وهذا هو دين الرسالة، وهذا هو دين الإسلام، أنكره الناس لأنفسهم، حُرِّمُوهُ، وما حرمهم الأعلى، ولكنهم على أنفسهم حُرِّمُوهُ، {كل الطعام كان حلالاً لإسرائيل، إلا ما حرم إسرائيل على نفسه} ٤٤.

إن الذي جاء به الهداة والحكماء، والأوادم، والكلمات، والوجوه لله، والأسماء لله، للناس، بين الناس، من أنفسهم، ما كان ممتنعا على الناس، أن ينالوه، أو أن يكسبوه.

وما قام الدين يوم قام أو تجدد مع كل مؤسس أو مجدد له، إلا ليعمل الناس بما جاء به ويكسبوه، فما جاءهم الحكماء والعلماء، والهداة والأنبياء، إلا مبشرين ومنذرين، مبشرين بالله لهم، ومنذرين لفقدانه منهم، وهو الذي هو معهم وأقرب إليهم من جبل الوريد، وقائم على كل نفس بما كسبت من أمر شيطانها أو أمر رحمانها. وهذا هو معنى الدعوة إلى التوحيد أي إلى توحيد الله بنفي الشرك به بموجود النفس بمعزل عنه برحمانها.

هذا هو شعار قوم يجعلون لا إله إلا الله، شعارا لهم، وما كان يوما ولن يكون، شعارا، لمن ينفرون من الناس، لمن يبغضون الناس، لمن يقهرون الناس، لمن يسودون الناس، لمن يستذلون الناس، لمن

يستعلون على الناس. إنه شعار المحبة للناس، بمعاملة الله في محبة الناس (أقربكم مني منازل يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكتافا الذين يألفون ويؤلفون)<sup>٥٥</sup>. {ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك}<sup>٥٦</sup>، {اخفض لهم جناح الذل من الرحمة}<sup>٥٧</sup>، {وشاورهم في الأمر}<sup>٥٨</sup>، {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه}<sup>٥٩</sup>، {ولا تعد عيناك عنهم}<sup>٥٠</sup>، لا ترد من جعلناه زينة الحياة الدنيا، (سيد القوم خادهم)<sup>٥١</sup>، و(الأمير أجير قومه)<sup>٥٢</sup>، {قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى}<sup>٥٣</sup> {ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا}<sup>٥٤</sup>.

إنا نَظْهَرُكَ اليوم بحقية العبد، وبموصوف الخلق، {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ، أنما إلهمك إله واحد}<sup>٥٥</sup>، {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا}<sup>٥٦</sup>، بحقية الرب لحقية العبد، يوم يتواجد منهم بك عباد للحق تقلبت فيهم بنور لك بالسجود لربك، {فذكر إن نفعت الذكرى. سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى}<sup>٥٧</sup>، وانتظر معهم، وقل {إني معكم من المنتظرين}<sup>٥٨</sup>، إلى أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال، وقد أنهيت رسالتك لجديد بها هو يوم الفصل في أمرك بينهم، وما كان يوم الفصل في الحقيقة إلا يوم الفصل في أمرهم هم، وما يوم الفصل في أمرهم، إلا يوم يرد الله إليهم أعمالهم، مُبَدِّلًا جلودهم.

{وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء} <sup>٥٩</sup>، ومن قبل قام يوم الفصل، وهو في كل زمان قائم لكل كائن قائم به، يوم يكشف عنه غطاؤه فيعرف القائم عليه من ربه، عرف الأدنى الأعلى في الله أنكره لنفسه. ومن سرى في الله مسراه اقتداءً بمن تولاه يوم والاه، ولم يتثقل إلى أرض ذاته، أو إلى أرض داره، أبرزه الله له رحمة به ليكون قدوة له، فخافاه وما والاه. {ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض}<sup>٦٠</sup>، أغرتكم الحياة الدنيا من الآخرة؟ {وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع}<sup>٦١</sup>. {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا}<sup>٦٢</sup>.

إن الآخرة لإنسان الدنيا، هي لقائه منها جاء قبل ولادته، وهي لقائه إليها يعود بعد غيبته، فالدنيا في الآخرة، إنما هي ساعة اغترابه من أبديته، لأزليته، تبدأ بولادته، وتنتهي بما يسميه الموت لغيبته، {والآخرة خير وأبقى}<sup>٦٣</sup>.

وهو يدركها يوم يستيقظ بعد غيبته، فيبعث على ما كان من مكانته، يُبعث في حياة الروح، بما عمل في ساعة شبحيته وبما كسب بجلدته في قائم جلده بجديد خلقته. {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره}<sup>٦٤</sup>، {وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد}<sup>٦٥</sup>، (من مات فقد قامت قيامته)<sup>٦٦</sup>.

فأنت بقائم جلدتك في دنياك تبعث فيك بك لخالقك لحقك بمعناك يوم تكسب الحياة، فإن خسرتها وقد فاتك أن تتحقق بالحق في دنياك، عرفت فقلت {تلك إذن كرة خاسرة} <sup>٦٧</sup> {ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل} <sup>٦٨</sup> {أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل} <sup>٦٩</sup>، بدلنا جلودهم، ولو شئنا لبدلنا أمثالهم، يوم يغيروا ما بأنفسهم من مضغة الشيطان، ولكنهم خرجوا من دار العمل وما بدلوا تبديلا.

إن شعارات الدين، وقضايا الإنسان فيه، قائمة في دوام، وفي كل عالم قام، بنظام يتناسب مع قائمه في قيامه، في عالم وجوده، سواء في مشهود الدنيا له، أو في مطلوب دنا الآخرة له، فإذا استقام في الله أمره، اجتمعت دنياه على دناه لآخرته، ودانت آخرته دنياه دنيان أو أخريان له فـ {علمت نفس ما قدمت وأخرت} <sup>٧٠</sup>.

هذا من قامت ساعته آمن بها وقامت قيامته أيقن بها. فيشفق من الساعة يطلبها الناس، ويشفق من القيامة، ينتظرها الناس، وهم لا يعلمون من أمرها شيئا ولم يصلحوا من أنفسهم لها شيئا. فهي يوم تبهتهم، يمسحون على مكائهم، فإذا هم مبلسون، يوم يظهر أمر الله لهم، سافرا بمعناه كاشفا لهم عن معانيهم على ما هي، بقائهم على ما هو.

وهنا يقول من أدركوا الأمر من أهل المعرفة.. يا أبناءنا.. يا إخواننا.. لا تستعجلوا الفتح... قبل أن يتهيا لكم بعملكم ما تصبو إليه أنفسكم.. تواصلوا بالحق.. وتواصلوا بالصبر.. فهذا خير لكم.. وأجدي أن يعود عليكم.. بما تطمعون فيه من الله لكم.. مفوضين لله أمركم...

فتعالى الله عما يصفون، وتعالى الإنسان في حقيقته عما يدركون وقتل الإنسان ما أكفره، بما يقومون، فلا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

نشهد أن محمدا، حـق الله ورسـول الله، وعبد الله ووجهه

{اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا} <sup>٧١</sup>، فإذا تنتظر البشرية؟ وقد أشرقت فعلا الأرض بنور ربها، برسول الله إليها، والحق منه لها، به وضع الكتاب، وجيء بالنبين، وقضي بينهم وقيل الحمد لله رب العالمين، صلى بهم إلى الأعلى طلباً، وقاموا به للأعلى طلباً، وقام فيهم لطالبي الحق تحقيقاً، جددهم في قومه لإنسانية بعده بمعانيهم، وتجدد منهم، قياما لهم بمعناه، دورة الحياة، ودورة الحق، ودورة الإنسان، ودورة الآدم، ودورة الآدمية.

كان هدية الله، لمرضيها، وكان يد الله، للممتد بيده للإمساك بها فيها، غريقا في محيطات الحياة، يطلب أرض الخلاص والنجاة، فتمتد إليه يد الله، فيخلصه برسوله بفيض الإخلاص فيعرف سفين وركب الخلاص، يعرف يد الله فوق يده، ويعرف يد الله له غريقا، مفتقرا، حائرا، ضالا، يطلب النور، يطلب الغنى، يطلب الحقيقة، يطلب العلم.

أما ذلك الذي يدعي لنفسه ذلك، ولا شيء منه له، ولا قيام له به، فكيف يناله شيء منه؟ وكيف يكون شيء منه له؟ إنه الإناء الممتلئ، فكيف يُملأ؟ إنه الإناء القدر، فكيف يوضع فيه الطهر، قبل أن يلقي ما به، ويخرج ما فيه، مما سوى الله، من الجهل، من الوهم، من الكبرياء، من القنوط، من اليأس؟

يا أيها الناس، أنتم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد، لو شاء لأعطى كل نفس هداها، وهو معطيها خلقها وهداها، يوم ألهمها فجورها وتقواها، حتى تعرف الفجور لها فتتقيه لأمرها، وحتى تعرف الفجر منها يوم تتجاهلها له فيه، فترى المشقة من صنعها، وترى الرحمة من صنع الأعلى بها فتنسب ما هو من صنعها موفقة إليه، توحيدا له، وإكبارا له، وفهما فيه، وترى ما هو من صنعها، إنما هو منها به تنزيها له، وإعلاء لشأنه وأمره، يوم تدخل في حصنه لا إله إلا الله، حصنا لها بلا إله إلا الله قياما بها فتعرف أن لا إله إلا الله، هي حصنها من أمرها، وهي حصنه لها من أمره بها، فتشهد لا إله إلا الله، وتسعى إليه، الله أكبر، الله أكبر، يوم تشهد لها في عين قيامها، قائمة برسولها، قياما بمحمد رسول الله.

اللهم بالحق به لنا، قوم فينا أمرنا، ويسر أمورنا، وول أمرنا خيارنا برحمتك بنا، ولا تول أمرنا شرارنا، بكسبنا بغفلتنا وردا لأعمالنا.

اللهم عاملنا بعفوك ورحمتك بجاه من جعلته رحمتك، وأقلنا من غضبتك وعدلك، برسول الرحمة إلينا، راحما لنا، مرحوما منك لاقتدائنا، راحما بك لعلمنا.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

### مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة فصلت - ٥٣
- ٢ من قصيدة للشاعر أبي العتاهية: والله في كل تحريكة وفي كل تسكينة شاهد وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد
- ٣ بيت شعر يرد في كتب عربية مختلفة بصيغة: "يقول الشاعر العربي".... وهناك اختلافات كثيرة في نسبته لشاعر معين.

- ٤ حديث شريف: "لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله." صحيح مسلم، وصحيح البخاري.
- ٥ سورة الكهف - ١٧
- ٦ سورة الكهف - ١٧
- ٧ قول يعود لأحد المتصوفة لم نستدل عليه.
- ٨ سورة الأحزاب - ٦
- ٩ سورة ص - ٣٩.
- ١٠ سورة الحديد - ٢٨
- ١١ عبارة تتناغم مع مقولة من خطبة للإمام عليّ - كرم الله وجهه -: "...اعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه..." بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.
- ١٢ سورة سبأ - ٤٩
- ١٣ سورة البقرة - ٢٥٥
- ١٤ سورة الرحمن - ٣٣
- ١٥ سورة الرحمن - ٣٣
- ١٦ سورة يونس - ٦٥
- ١٧ سورة المنافقون - ٨
- ١٨ من حديث شريف أخرجه الطبراني. ومن الحديث الشريف: "أنا سيد ولدِ آدمَ ولا نخر وأنا أولُ من تنشقُّ الأرضُ عنه يومَ القيامةِ ولا نخر وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفّعٍ ولا نخر ولواءُ الحمدِ بيدي يومَ القيامةِ ولا نخر." صحيح ابن ماجه.
- ١٩ سورة البقرة - ٣٧
- ٢٠ من أشعار عبد الغني النابلسي من العصر العثماني: رويدك يا من بالتجافي أمتني ... وأهملتَ فيما بالوصال وعدتني إذا قلت رفقاَ إنني ذبتُ زدتني ... وإن قلت ما ذنبي إليك أجبتني ... وجودك ذنبٌ لا يقاس به ذنبُ
- ٢١ سورة النور - ٣٩
- ٢٢ سورة فصلت - ١١.
- ٢٣ سورة يس - ٨١
- ٢٤ سورة الذاريات - ٤٧
- ٢٥ سورة الكهف - ٥١
- ٢٦ سورة غافر - ٥٧
- ٢٧ سورة القيامة - ٣٦-٣٧

- ٢٨ من الحديث الشريف: "ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلاهلك، فإن فضل من أهلك شيء، فلذي قرابتك فإن فضل من ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا، وهكذا". أخرجه مسلم والنسائي.
- ٢٩ سورة الشورى - ١٥
- ٣٠ سورة الذاريات - ٢١
- ٣١ سورة الملك - ٤
- ٣٢ حديث شريف يذكره الصوفية وبعض العلماء: لَبَلَّةٌ عُرِجَ بِي انْتَسَخَ بَصْرِي فِي بَصِيرَتِي، فَرَأَيْتُ اللَّهَ! رَأَيْتُهُ فِي صُورَةِ شَابٍّ أَمْرَدٍ فَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى كَتِفِي، فَشَعَرْتُ بِرُودَتِهَا عَلَى ثَدْيِي، فَقَالَ: "يَا مُحَمَّدُ! أَلَا تَرَى فِيمَا يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟" قُلْتُ: "أَنْتَ رَبِّي أَعْلَمُ، فَعَلَّيْنِي عِلْمَ الْأَوَائِلِ وَالْآخِرِ وَأَوْثِقْتُ ثَلَاثَ عُلُومٍ: عَلِمًا أُمِرْتُ بِتَبْلِيغِهِ، وَعِلْمًا خُيِّرْتُ فِي تَبْلِيغِهِ، وَعِلْمًا نُهَيْتُ عَنْ تَبْلِيغِهِ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُطِيقُهُ أَحَدٌ غَيْرِي". وهو حديث يوصف من جانب علماء الحديث بأنه موضوع.
- ٣٣ سورة النجم - ١١
- ٣٤ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٣٥ حديث شريف: مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنُ. صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَشَبَّهُ بِي". صحيح ابن حبان.
- ٣٦ من الحديث الشريف: "مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَشَبَّهُ بِي". صحيح ابن حبان..
- ٣٧ سورة الأحزاب - ٥٦
- ٣٨ سورة الأنعام - ٩٠
- ٣٩ سورة النجم - ٨ ، ٩
- ٤٠ سورة النجم - ١١
- ٤١ سورة يوسف - ١٠٨
- ٤٢ سورة هود - ٥٦
- ٤٣ من حديث أخرجه البخاري ومسلم عن لحظات انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى، فجاء له ملك الموت وقال: السلام عليك، يا رسول الله أرسلني الله أخيرك بين البقاء في الدنيا وبين أن تلتحق بالله فقال: النبي صلى الله عليه وسلم، بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى..
- ٤٤ سورة آل عمران - ٩٣
- ٤٥ حديث شريف: "إِنْ أَحْبَبَكُمْ إِلَيَّ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا الْمُوْطُؤُونَ أَكْثَفَا الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَإِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمَفْرُقُونَ بَيْنَ الْأَحْبَةِ". أخرجه أحمد والطبراني وابن حبان.
- ٤٦ سورة آل عمران - ١٥٩
- ٤٧ استلهاما من {واخفض جناحك للمؤمنين} سورة الحجر - ٨٨، و{واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين} سورة الشعراء - ٢١٥
- ٤٨ سورة آل عمران - ١٥٩
- ٤٩ سورة الكهف - ٢٨

|    |                                                                                                                                                   |
|----|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| ٥٠ | سورة الكهف - ٢٨                                                                                                                                   |
| ٥١ | حديث شريف. أخرجه أبو القاسم الشهرزوري في ((الأمالي)) كما في ((سلسلة الأحاديث الضعيفة)) للألباني.                                                  |
| ٥٢ | عبارة للسيد رافع يمكن فهم معناها ومغزاها من السياق.                                                                                               |
| ٥٣ | سورة الشورى - ٢٣                                                                                                                                  |
| ٥٤ | سورة الكهف - ٢٨                                                                                                                                   |
| ٥٥ | سورة فصلت - ٦                                                                                                                                     |
| ٥٦ | سورة الإسراء - ٧٩                                                                                                                                 |
| ٥٧ | سورة الأعلى - ٩:١١                                                                                                                                |
| ٥٨ | سورة يونس - ١٠٢                                                                                                                                   |
| ٥٩ | سورة الفرقان - ٢٣                                                                                                                                 |
| ٦٠ | سورة التوبة - ٣٨                                                                                                                                  |
| ٦١ | سورة الرعد - ٢٦                                                                                                                                   |
| ٦٢ | سورة الأحزاب - ٣٣                                                                                                                                 |
| ٦٣ | سورة الأعلى - ١٧                                                                                                                                  |
| ٦٤ | سورة الزلزلة ٧-٨                                                                                                                                  |
| ٦٥ | سورة ق - ١٩                                                                                                                                       |
| ٦٦ | حديث شريف: "إذا مات أحدكم؛ فقد قامت قيامته؛ فاعبدوا الله كأنكم تروونه، واستغفروه كُلَّ ساعة". أخرجه الديلمي في الفردوس، ورواه العسكري في الأمثال. |
| ٦٧ | سورة النازعات - ١٢                                                                                                                                |
| ٦٨ | سورة فاطر - ٣٧.                                                                                                                                   |
| ٦٩ | سورة غافر - ١١                                                                                                                                    |
| ٧٠ | سورة الانفطار - ٥                                                                                                                                 |
| ٧١ | سورة المائدة - ٣                                                                                                                                  |



(٤)

عِلْمُ الرِّسُولِ يَحْتَفِظُ بِهِ

لِنَفْسِهِ

كَانَ عَلَيْهِ عَنْ نَفْسِهِ، أَخَذَهُ عَنْهُ كُلُّ مَنْ

عَرَفَ نَفْسَهُ

قَوْمٌ أَنَا جِيلُهُمْ صَدُورُهُمْ

حديث الجمعة

٢٧ جمادى الآخرة ١٣٨٥ هـ - ٢٢ أكتوبر ١٩٦٥ م

{يا بني، لا تشرك بالله} <sup>١</sup> {إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله} <sup>٢</sup>.

ما من ذرة في الكون، إلا ولها قلب. وقلب كل شيء، قبلته وبيت ربوبيته، لوجه معبوده في دائرة وجوده {فلنولينك قبلة ترضاها} <sup>٣</sup>.

{سنريهم آياتنا في الآفاق، وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق} <sup>٤</sup> {فيهم وفيما حولهم.. هل تعلم له سميا؟} <sup>٥</sup> {قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون} <sup>٥</sup>، {وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله، والمؤمنون} <sup>٦</sup>.

يا وجود لا بدء ولا انقضاء له، يا مطلق لا أول ولا آخر له، يا لانهائي لا فوق ولا تحت له، لا أمام ولا خلف له، لا يمين ولا يسار له.. إنا نؤمن بك بوجودنا لك على ما أنت في وجودك لنا، ونشهد وجهك لإطلاقك في كل ما شهدنا بوجهك لنا يوم عتقنا. ونطمع أن نشهدك لالانهائي قربك بنا بشهودك لأنفسنا في أنفسنا لا حدود لنا، على ما شهدناك وجه مطلقك، بكل شيء، يوم تكشف عنا أغشية الحجاب منا، فعرفنانا بكنودنا لنا، في لا إله إلا أنك، بلا إله إلا أنت لنا، في تعارفنا لنا، بظاهر لباطن لك بنا.

الإنسان لك، لِعَلِّكَ عنك، وَعَلَّكَ عليك، قائماً فيك، ومقيماً بك، لقيام فيه، لعين قيامه، بعين قيام الأعلى لك فيك به، بلا إله إلا الله، والله أكبر، في ذي المعارج للانهاثيك.

بهذا جاءت تعاليم كل الأديان، جاعلة من الإنسان علماً على الأعلى، ومن الأعلى، علماً على الأعلى، فالأعلى، إلى ذات قدس المطلق، بالإنسان، مسيحاً عن وجوده إلى قيومه لقائه لظاهرة لمعناه بموجوده في وجود معبوده، لمعنى الوجود المطلق الانهائي، يشهده علماً عليه ويشهده إعلاماً به، بشاهده ومشهوده، لمن يشهده لنفسه في لطيفه له عين نفسه به، في حقي موجوده.

بذلك، قامت المعرفة وأثمرت العلم بما علم الإنسان لمعاني قائمه لقيومه بالحق في الله، وعلى أساس من المعرفة والعلم قامت الطريق، وعلى أساس من قدسية الإنسان في قدس الوجود، قام الإنسان بالطريق، وعنون الطريق، فكان الإنسان للإنسان، نعم الرفيق، ونعم الصديق، ونعم المؤمن مرآة المؤمن، ونعم الإيمان للمؤمن، مرآة أخيه، ونعمت المعرفة لقائم الحق لقيومه، ونعمت الطريق، المرء على دين خليله، ونعمت المجاهدة، فلينظر أيكم من يخالل، وليبحث أيكم عن يخالل. {قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى، ثم تفكروا} <sup>٧</sup>. وبذلك قامت أمة الإنسان على الأرض، خلت من قبلها أمم، ترفع طبقاً عن طبق تدعى وتعرف كل أمة بإمامها وتتحدى وتدعى من إمامها فتعرف وتبعث بإمامها، حضرة لله وملائكته أحدية حق من آحاد بحقائق في واجب الوجود. كلهم الفرد الواحد في الوجود المطلق.

بهذا وبعينه، تجدد الروحية في الأرض رسالتها، وتقيم طريقها، وتقوم في الناس، بالناس، للناس، أمرهم أمراً لها، وما كان أمرها إلا أمر الأعلى.. أمر الإنسان الطليق.. أمر الإنسان المطلق.. أمر الإنسان الانهائي.. وما كان الإنسان في يوم إلا عين أمرها وعين أمر من قام بأمره في أمرها، فأقام أمره بأمرها، عند من ائتمر بأمر الأعلى مُرشداً له، من عالمه وجهها للأعلى، غيب وجوده، لظاهر موجوده، به ظهر الغيب تدانياً، وبه دخلت الشهادة في الغيوب تعالياً، وبذلك جاء الحق إنساناً يوم جاء معلماً، وتعالى الحق إنساناً يوم غاب مخلفاً، وظهر الإنسان حقاً يوم قام مكلفاً أو مكلفاً.

بهذا علم الإنسان عن نفسه، فعلم عن رسول الأعلى إليه مرتقياً فقام هو رسول الأعلى إليه موحداً، فعلم عن رسول الله مرشداً، فقامه من قام رسول الله مؤمناً فقامه الأعلى مقارباً، فعرف عن الأعلى مسيحاً، فطلب السمو والتعالي بعثاً محموداً وقيماً أحمداً، ولم يتناقل إلى ذاته الأرض حقاً موجوداً {وما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض} <sup>٨</sup>، فبعث متكئاً بالحق محمداً، فظهر بحقه آدم، فكان بالآدمية كتاباً وأثراً، وبالحق خبيراً وعلماً.

انطلقوا وتحروا.. انطلقوا من حياة البدء إلى حياة أعلى، إلى حياة الروح، وانطلقوا بالروح في معارج عوالمها، إلى الأعلى فالأعلى، انطلقوا من الوجود إلى قائم الموجد به، تواجدكم فيه لنفسه، بموصوف خلقه وكشف عنكم أغظيتكم لكم، بقائمه بكم، سفور حقه، أفنى معاني الغير معه، بإفناء الغيرية، عنه، لقائكم له بموصوف الخلق له، إلى قائم بموصوف الحق لكم، يوم تدخلون في حصن لا إله إلا الله شعار دينكم وشعار رسالتكم.

من دخل في حصن لا إله إلا الله، مؤمنا بها قلبه، دخل الجنة.. دخل نفسه دارا، وقد تحرر من أمرها عليه دثارا، دخل ما يقال عنه بأنه الجنة، لجنان له، هو بهيكله قائم أولها، يوم يرضى عن الله فيرضى الله عنه، يوم يعرف الوجود على ما هو، لموجود الله لموجوده بالله، فيدرك أنه بتطوره لأطواره من جنة إلى جنة، وأن جنى الجنتين دان، وقد أزلت الجنة للمتقين غير بعيد فلم تخرج منها أرضكم، قطوفها دانية لغرسكم، أبصر أهلها من بينكم ما لم يبصر الناس، وسمعوا ما لم يسمع الناس، وأحسوا ما لا يحس الناس، ودرّكوا بما لا يدرك للناس، وقاموا فيما لا يقوم فيه الناس، أزلت الجنة للمتقين غير بعيد، كما زحزح من زحزح عن النار، فأدخل الجنة من قد فاز. {لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون}٩، {جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين}١٠، لم تخرج أرضكم منها، ولا يمتنع عليكم التجوال فيها، {يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون}١١، {لكم دينكم ولي دين}١٢.

ولكن الذي خلقكم لنفسه، طلبكم لما هو أسمى {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}١٣، وحضكم لكم على ما هو أكبر، يا معشر الجن والإنس، انفذوا من أقطار السماوات والأرض، حتى تتلاقى فإن الله لا يتعارف إلى سجناء الوجود، لا تنفذون إلا بسلطان، فلو أنكم تعرفون لأنفسكم سلطان الله، بوحدانيته بشعاره لا إله إلا الله، هو أقرب إليكم من حبل الوريد، ومعكم أينما كنتم قياما على كل نفس بما كسبت أسماء ووجوها له، من ورائها بإحاطته ولأمامها بشهادته {فأينما تولوا فثم وجه الله}١٤. يومئذ - تنفذون من أقطار السماوات والأرض وتقتحمون عقبة أنفسكم، عقبة أنانيتكم لكم، لموجودكم بمقيدكم وموقوتكم، إلى أنانية لكم، بدائكم ومطلقكم وطليقتكم، {وما أدراك ما العقبة فك رقبة}١٥، ولو انطلق الإنسان عتيقا من سجين ذاته ومادته إلى قائمه لقيومه روحا عتيقا طليقا لكان صاحب مائدة، يطعم الطعام مسكينا ويطيما وأسيرا، في يوم ذي مسغبة، في أيامكم من حجابكم عنكم بقائكم من مقيدكم وموقوتكم.

ما عذابي سوى حجابي.. وما نعيمي سوى وصالي

الكل عندي جنة خلد.. ما دمت في حضرة الرجال

سِرِّي إلى حِيَمٍ ودعني .: في أي طور فلا أبا لي

إن لله عبادا إذا ذُكِرُوا ذُكِرَ اللهُ، {يا أيها النفس المطمئنة.. ادخلي في عبادي}، ولو أنك دخلت، لعرفت أنك قد دخلت جنتي فما كانت جنات الفردوس نزلا، إلا أفرادا وآحادا لله، من إنسانية الرِشاد فيه، هم لمن فيهم من النزلاء قيام أنفسهم، بهم لشهودهم، لا يبغون عنهم حولا دارا لدورهم قاموا بها فيها لها شهودا لوجه الحق، سافرا لهم، وجوها للحق بهم، (إن لله جنة ليس فيها غير وجه الله يضحك) ١٧، (ما صحبتك لتكون أنت أنت وأنا أنا، ولكن صحبتك لتكون أنت أنا وأنا أنت) ١٨، (لا فرق بيني وبينك) ١٩، وجوها لله، تخاللت، وتحببت، وتوحدت، ورضيت، ففي رضوان من الله أكبر عرجت، وما من كمال، إلا وفي الله أكل منه عرفت، فبالأعلى كُملت، وفي الأدنى رُحمت، وفي القائم للنفس في النفس للوحدانية شَهدت، والرأس على القلب في الماعون جمعت وإلى اللانهائي طلبت وعرجت، وللنفس مع الأعلى والأدنى عَبدت، فعبدت، فتعبدت، فربّت وربت، ولباس من الكمال والأكل تسربلت، ومن الأعلى أرسلت فنزلت وبالحق دون ما نزلت تنزلت، ومنها إلى أدنى وأدنى أنزلت وفراغ الوجود بالحياة ملأت فعرفتها، لمعاني الرسالة قامت وبنفسها للرسول فيها شَهدت، فله عَلمت، وعنه عَلمت، وبه في قيام أعلمت، وإلى أعلى فيه متعاليا عرجت فالطريق قامت وأقامت وقومت فإلى اللانهائي من خلقه سلكت وسرت، وإلى مزيد من الحق لنفسها في نفسها افتقدت، فن غناء إلى اللانهائي افتقرت، رغم قيامه بها تحققت، فلأعلى وأسمى لنفسها مفتقرة طلبت، فعرفت الناس في معرفتها عنها، وعرفت الرسول في معرفتها للناس، وعرفت الله، معروفها لها، ومعرفتها عليها، ومعرفتها منها، فله وحدت، ومعه اتحدت، وأسماء له ظهرت، وجوها له أشرقت، وروحها منه سرت، ونورا منه للظلام محت، وللحياة أبقت وجددت.

فماذا عرف الناس عن الفطرة؟ وماذا أدرك الناس في الصبغة؟ فماذا عرفوا عن أنفسهم؟ وماذا عرفوا عن رسول الله إليهم؟ وماذا عرفوا عن مرسله معهم؟ وماذا عرفوا عن اللانهائي لهم؟ وماذا عرفوا عنهم منه حقا، وله خلقا، فذكروا ربهم، وذكروا بإلههم، وأنكروا على أنفسهم أنفسهم، فأشهدوا الحق للناس في الناس، وما أشهدوهم له بهم، ولكنهم أشهدوهم له فيهم وعليهم ومنهم، فأحوا عنهم، مسحاء موجود علموه، ظهورا له فيهم شهوده، وله ذكروا، وبه ذكروا.

هذا هو الإسلام، هذا هو دين الفطرة، هذا هو علم الصبغة، صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة، فطرة الله، التي فطر الناس عليها، إن الله بالغ أمره.

إنه الزمن، إنها الأطوار، تقف عقبات أمامكم دون شهودكم للحق معكم، فلو أنكم أسقطتم الزمن، من تقديركم لحسابكم فعرفتم الله، لا يحول بينه وبين الوجود زمن، ولو أنكم أسقطتم الأطوار، وعرفتم أن

الله معكم في كل طور، وأن معيته مع كل طور لم يتغير عنها في طور عن طور، فهو معكم أينما كنتم، فأسقطتم الأطوار من تقديركم وحسابكم لمشاهدتكم، وذكرتم من هو معكم، وعرفتكم معيتكم منه، وقيومكم لقائكم به - في أي طور وعلى ما أقامكم هو لكم - به آمنتم وفيما قضى ودبر لكم أكبرتم، وبه رضيت، وفي أي وضع وضعكم بحكمته قبلتم، وعليه في أي حال من أحوالكم ما أنكرتم، وفي أحوالكم تأملتم، وبحكمته، في أمركم ما كفرتم، ولكن لحكمته طلبتم، فعلمكم، فأحكمكم، وعلمكم ما قدمتم، وعلمكم ما أخرتم، فاستقمتم بين يدي رحمته، هو الخير، فنَّ عليكم بالحكمة، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، فصبرتم وتواصيتهم، وبالحق أيقنتم ولمزيد من الحق طلبتم، وبخو أنفسكم إلى قائم الحق وقيومه بكم، جاهدتم واجتهدتم، ولثمة جهادكم انتظرتهم، والله نظرتهم ما أنكرتم، ولا إله إلا الله، شهدتم ما بجدتم، والله أكبر آمنتم، ما طغيتم، لو أنكم لهذا فعلتم، لكنتم في الإسلام قتم، وبالإسلام ظهرتهم، وللإسلام عملتم، والإسلام عنونتم، وأنبياء بالحق للنبي صرتم، ووجوه الأعلى من الحق لأنفسكم تحققتهم، فبالله علمتم على ما علمتم، وأعلاما له أقمتهم على ما قمتهم، ذاكرين لوحدايته ما أشركتم، وما إلى شرك دعوتهم، ولا لشرك أقمتهم، بل موحدين كنتم، وأحدا عندكم عرفتم، لآحاد فيه بأحدكم لأحديتكم به فيه سعيتهم، ووجهها للأحدية بكم طلبتم.

هذا الذي جاءت به الأديان، بأبعاض له في الأزمان والعوالم والأكوان، والرسل والدعاة والحقائق في سائر البلدان، تجده الرسالة الروحية على اجتماع، وتحقيقه لطالبه في حال اتباع، على يقين فيه وعلى قيام به في حدود ما جاء به من سعة وما حقق لنفسه من اتساع.

إن العقيدة على ما تجيء بها الرسالة الروحية لا تنشر عقائد الظن، وإن الظن لا يغني عن الحق شيئا، وإن بعض الظن إثم، فهي لا تتابع ولا تقدم من الروح أو الشهادة أولئك الذين يظنون بالله الظنون، أو أولئك الذين يظنون بالله ظن السوء، أو أولئك الذين يعبدون الله على ظن به، لا علم لهم به.

وهو ما بعث بالحق رسله، وما أبرز بالمعرفة حكماءه، وما أقام بالعلم دعائه إليه في الناس، وما حقق بالحق لهم أئمتهم به، وما أشرق في الإنسان بالإنسان ليشعل مصباح نوره، في مشكاة صدره وقد جعل له نورا يمشي به في الناس، {رجلا سلم لرجل} ٢٠، {إنما المؤمنون إخوة} ٢١، إلا ليكونوا إنسانية رشاد، بإنسان رشيد ليخرج الإنسان بالمعرفة والعلم والحكمة من حمته المسنون إلى القيام بكتابه المكنون.

وما غاب في عصر من العصور عن الأرض من أرشد، وجعله الأعلى به مرشدا. وما غاب عن الأرض من رادها، وجعل له به في الناس إرادة، فأقام منه ريادة، وجعله السبيل والطريق، وجعله الصاحب والصديق، أو المصاحب والعاشق والعشيق، يحبهم ويحبونه، رضي عنهم ويرتضونه، إنه إنسان

لإنسان، إنه حق لحق، إنه عبد لعبد، إنه رسول لرسول، وإنه رسول لمرسل، إنه رسول لمرسل إليه، إنه العروة الوثقى بين الإنسان الخالق، والإنسان المخلوق، إنه الحياة، إنه دورة الحياة.

يتجمع الخلق على طلب الحق، حول نصب للحق، من أنفسهم، إليه يوفضون، وحوله يحجون، وإليه قبلة لهم يصلون، بيوتا لله، برجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع، بيوتا ترفع وبيوتا توضع، دواليك، دائبة إلى ارتفاع ورفع، إليه بمن احتوت رافعة، ولمن تخلف منها بمن تخلف عنها خافضة واطعة، في ركب الحياة قام به علمها لاسمه الرافع جل جلاله، عز على الإحاطة به لغيره.. وظهرها رافع الرتب عليه السلام والصلوات.. ظاهرا لباطن، كلها انشقت عنه الأرض، كانت واقعة.. خافضة رافعة.. كلها ظهر أمرها ظهر أمر الله.. فوقعت الواقعة تلو الواقعة.. ليس لوقعتها كاذبة.. إنها أمر الله.. يوم يأتي أمر الله للنفس في النفس لطالبي أمر الله لأنفسهم، من يهدي الله فهو المهتدي، ومن يضل الله فلن تجد له حقا مرشدا، أو وليا رائدا، حتى يسفر لهم بينهم أمر الله فيمسخوا على مكائهم.

ما عرف رسول الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم، إلا من عرفوهم له في أنفسهم فشهدوهم محمداً رسول الله يوم شهدوهم مسحاء وجوده حق وجودهم، ويوم عرفوا وجوده، وجود الحق لهم، وموجود القائم من الحق بهم، وقيومهم عليهم، فأمنوا برسوله على ما يليق بالإيمان به، إيماناً بربهم، إيمانهم بالله، فعرفوا الله حق معرفته، وقدروه حق قدره، بخروجهم من الإنكار عليه قائماً، بالوجود موجوداً، وعلى الوجود قيوماً، ولموجودهم في الوجود مقيماً قائماً، عالماً ومُعَلِّماً، وعَلَمًا، ومعلومًا، وَعِلْمًا.

يوم دخلوا في حصن لا إله إلا الله، شعار الفطرة.. وشعار الرسالة الفطرية.. وشعار الصبغة الربانية.. وشعار رسول الله.. عرفناه لنا رحمة للعالمين، نحن برحمته عوالمه، هو رب العالمين لعوالمه - بعوالمنا.

عرفناه قائد الركب إلى مطلق الحق بالوجود، نستقبل به معه عطاء المطلق لا يجز وبلا حدود، وتتعالى في أنفسنا، بحقائقنا لها، حقا على حق، وعقلا على عقل، ونفسا على نفس، وذاتا فوق ذات، وذاتا من ذات، في تدانٍ لا يتناهى في أبدية الخلق، في مشروع الخلق الأبدي، إيماناً وقيامًا، بحقائق الإنسان حيا في حياة الله، الأحد الصمد، قياما بآزاله للإنسان، آزالا لا تنتهي لنا حقائقها، ولا مظاهرها بناء، لمعنى معارجنا إليها فينا، بقيامنا لنا بها.

بهذا كله جاءنا رسول الله، وجاءنا دين الفطرة، بعلم احتفظ به رسول الله لنفسه لا يكسبه إلا من أحب رسول الله فكان نفسه، فعرفه على ما عرفه الرسول لنفسه، وبعلم خير الرسول فيه، فاختر له، وما عرفه إلا من اختار رسول الله لهذا العلم، فاختر هذا العالم عالما لحكمة من اختار، فكان به عطاء لمن اختار يوم توحد بالقلب والدار، (من أعطى الحكمة لغير أهلها فقد ظلمها، ومن منعها أهلها، فقد

ظلمهم} <sup>٢٢</sup>، ومن أعطاهم لأهلها، فقد وفاها حقها، ووفاهم حقهم، واستقام في أمره هو بها، على ما أمر، {واستقم كما أمرت} <sup>٢٣</sup>...

فراى الله في الحكماء، على ما رآه في نفسه حكيما به، عالما عنه، فعلم وعلم {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون} <sup>٢٤</sup>، {يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين، إن الله كان عليما حكيما} <sup>٢٥</sup>، {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا} <sup>٢٦</sup>.

{قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي} <sup>٢٧</sup>، خاطب الناس على قدر عقولهم، {واصبر وما صبرك إلا بالله، ولا تحزن عليهم، ولا تك في ضيق مما يمكرون، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون} <sup>٢٨</sup>، {عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا} <sup>٢٩</sup> يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له، وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا} <sup>٣٠</sup>.

وإلى أن يبعثك ربك مقاما محمودا، فيكون لك ذلك عندهم، اخفض لهم جناح الذل من الرحمة وشاورهم في الأمر، ولا تظهر بينهم فظا غليظ القلب، واتسع لجهلائهم، {ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك} <sup>٣١</sup>، {لا نسألك رزقا، نحن نرزقك، والعاقبة للتقوى} <sup>٣٢</sup> - ألف بين قلوبهم - {لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم} <sup>٣٣</sup>، فتؤلف إليك قلوبهم، حتى يدخلوا بيتك، وحتى يستقبلوا في قلوبهم قبلك، فتحيا قلوبهم بالحياة من فيض قلبك، في مشكاة صدورهم بنور ربك معك، تسري به في الناس.

ذكرهم بمعية الله لهم سيدگر من يخشى، ويتجنبها الأشقى، وتحمل أذاهم، {ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، إلا تذكرة لمن يخشى} <sup>٣٤</sup>، {لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا} <sup>٣٥</sup>، ها أنت بينهم ليلة القدر، أقوم قیلا، وأشد وطأ، وأنت أهدي لهم وأقدر على هديهم وقيادتهم من ملائكة السماء.

فاصبر عليهم بقائمك منهم، رسولا من أنفسهم تخلقا بخلقنا، اصبر نفسك معهم، حتى يتذوقوا الحياة، ولو تذوقوا الحياة، فيها حيوا، فكانوا لك، على ما أنت لنا انتظر معهم مع المنتظرين حتى يتبين لهم لمن عقي الدار.

وها نحن من ورائهم لآبائهم نشهدك قبلة لهم، على ما فعلنا في قديم جنسك لأزل، استقبالا لكوثرك بنوعك، في قديمك وقادمك، على ما أنت في قائمك، فصل عليهم {إن صلاتك سكن لهم} <sup>٣٦</sup> {يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما} <sup>٣٧</sup>.

أظهرناك على الدين كله، ومنك نظرنا، لمن نظرنا، وبك إليك نظرنا، لنظرنا لنا، فما شهدنا غيرنا، ولغيرنا ما شهدنا.

يا أيها الذين آمنوا، اتقوا الله وآمنوا برسوله، إن الله وملائكته يصلون على النبي، فيا أيها الذين آمنوا صلوا عليه، وسلموا تسليماً له، فله زمامكم أسلمنا، فهو أولى بكم من أنفسكم، وهو يوم تؤمنون حسبكم ونعم الوكيل، وبكم الكفيل، يؤتكم كفلين من رحمته، وإليك أمر رسالته وكلنا، فأقيموا الدين ولا تفرقوا فيه، فهي رسالتكم به.

بكل هذا قامت رسالة الفطرة، وبه تُجدد الفطرة رسالتها، بجمع الأعلى على الأدنى وقيام الأدنى للأعلى في مطلق الحق، لعلم وحدانيته معلوماً برسوله من ربه، فيقوم الحق، في الملاء الأدنى بالملاء الأعلى بذات لروح، كما يقوم الحق في الملاء الأعلى بقائم من الملاء الأدنى بروح لذات، قاب قوسين أو أدنى.

فيقوم الحق في الملائن بأسماء الله، لاسم الله يجمعها حضرة الله للسموات والأرض، فيقوم الحق، باسمه الجامع لأسماء الله للعالمين، حضرة رشاد يشهدا، فتشّده، ويعرفها لتعرفه، وتعرفه لتعرفها. ذلك دين الوجدانية، صبغة الله لفطرة الوجود على صبغته له.

بهذا تُجدد الرسالة الروحية اليوم قديم رسالة ودين الفطرة على اجتماع يرسلها من عوالم الروح، وعلى إشهار لعلمها بحق الله برسول الله، آدم أوادها بمحمدية، وحق حقائقها بحقيقتها، ووجه وجوهاً بجمال طلعت، وعزة عزتها للعزیز والأعزاء بجلال عزته، علم لا إله إلا الله، ووجه الله أكبر، وكتاب علم الانهائي في وجوده عن موجوده، ما ظهر فيه شيء مثل ظهور الإنسان له، بعلمه عنه، وقيامه في نعمته عليه، حياة الطريق وعلمها، ونور مصابيحها لأعلام رسالته بها.

في هذا نقوم وبه نحيا، وبهذا في الوجود نسعد، وله نعلم، وبه نُعلم ونعلم، به لا ينتهي فيض العلم علينا، ولا يتوقف فيض العلم منا، امتداد نور رسول الله، من قديم نوره ذكر مؤزلاً، ممتداً إلى آدمية ذاته محمداً ذكرًا محدثاً، وعلياً أحمداء، وحسناً مقارباً، وحسيناً مجانباً، علم الرضا متواجداً، وكاظم الغيظ أبداً، موسى شهوده، وعيسى وجوده، ظلال محموده وآدم الحسنى لأسمائه، وأبو الحسن علياً علا على الناس طلباً وشدً عنهم مشرباً، وتجدد فيهم أبداً محيياً للدين، وبه عراً على ما كان في قديم معلوماً معرباً، جديداً لأقدم لجيلين اتحداً، عبداً للقادر متواجداً، فما فارق الناس لهم، بجوداً، رغم ما كان من الله بهم لهم شهوداً.

هم عبيد الرحمن وجودا يمشون على الأرض سجودا، والناس بعد عبيد لهم هم منه إليهم كرمًا وجودا، فما شهد الإنسان في الله إلا الإنسان بالله. والله المثل الأعلى من الإنسان في السماوات والأرض للإنسان.

إن كل من في السماوات والأرض، إلا آت مثلا أعلى، إلا آت لله عبدا، فما كان للرحمن أن يتخذ ولدا، لقد قالوا بذلك قولاً إداً، تكاد السماوات والأرض يتفطرن منه، وتخر الجبال هداً. وها قد وقع القول عليهم نغرت الجبال هداً في دار من دعوا للرحمن ولدا، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ من ولد، سبحانه إن كل من في السماوات والأرض إلا آت الرحمن عبدا، فعبدا.

ما قدروا الله حق قدره حقاً، فما رؤي الله لرائيه إلا في نفس رائيه، يُشاهده له، في موجوده به ما كذب الفؤاد ما رأى، يوم عرف الأعلى يدانيه في قائمه ودانيه فطلب الأعلى لبصره مشهودا، فرأى الرسول نزلة أخرى تجاهه موجودا، وعرفه منه وجودا، فكانت وجوه ناضرة، لربها ناظرة، وهذا أمر الإنسان لأمر ربه في أمر الله في الدنيا كما هو في الآخرة، ما زاغ البصر وما طغى اعبد ربك حتى يأتيك اليقين.

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله، والمؤمنون، فما كان الله ليرى عملا - وهو الغنى عن العالمين - إلا بالإنسان في معاني الربوبية له، وما حُمل له عمل، إلا عن الإنسان، موجود وجوده به، وما حُمل إليه، أو حُمل منه، إلا الإنسان، رسولا، من حضرته بالخلق وإماما إليه، ونبيئا، من حضرته بالحق إنباء عنه وتعريفا به.

فكان الإنسان، في أي صورة ما شاء رُكب، رُكبه المطلق لظهوره بمعانيه، في أي صورة لمعانيه به، إلهها وربا ورسولا، وعبدا، قام عليه أعلى من الإنسان لأحدية حق، قام فيه الرب والرسول والعبد إلهها، بهم بحكمته ظهر، لمعرفته عنه عند نفسه بهم، مطلقا في وجوده، منزلها عن خفائه وشهوده، قائما بلانهايته لآحاده، بموصوف حقائقه وعباده.

بذلك يستقيم لنا الوعي، ويستقيم لفهمنا الكتاب، ويبين لنا لإدراكنا الأثر، فنعي الحديث من رسول الله، ونستمع لحديث الصدق من الأعلى، لمعنى ربه، لا يحول بين قلوبنا وبين الاستماع إليه حائل من حجاب من ظلام أنفسنا، وكنودنا لمطلق الله وجودا، في كل موجود، لشهودنا نشهد به له وجهها، في كل مشهود رجوعا إليه فينا، وركونا إليه معنا، بما كان لنا منه، في وجودنا، نعرفه بما استقام عليه وجودنا، ردا لأعمالنا به إليه، ورداً لما انحرف به وجودنا، لعين ظلامنا لموجودنا في جاهليتنا، بعداً عن علّنا بنا لإسلامنا، وواجب الإسلام له، لقيام السلام معه، وهو الذي أضلّ، وهو الذي هدى، وهو

الذي أهدي بمن هدى، وهو الذي أضل من ضل، وما زال به يضل، وما زال بمن هدى يهدي، هو الأعلى وهو الذي خلق فسوى أعطى كل نفس هداها، كما أعطى كل شيء خلقه.

هكذا يجب أن نتحدث عن الله، ونتواصى بالحق فيه، فنعلم عنه، أما أنا نجادل في الله بغير علم، ونتبع كل شيطان مريد، ونشهد الله على ما في قلوبنا، وهو ألد الخصام، فنحن نقول بأفواهنا ما ليس في قلوبنا، والله لا ينظر إلى صوركم وأقوالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، وقد عرفنا أن الأعمال بالنيات، وأن لكل امرئ ما نوى، ونية المرء خير من عمله.

فأحسنوا النية أولاً، وظنوا بالله خيراً، وباعدوا بينكم وبين ظن السوء معه، وهو الذي يقول لكم، كونوا كيفما شئتم، فإني كيفما تكونون أكون، أنا عند ظنكم بي، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فلا تظنوا بالله ظن السوء، وظنوا بالله ظن الخير. هدانا الله وإياكم سواء السبيل.

اللهم يا من أعطيت كل شيء خلقه ثم هديت، اللهم إنا أمرنا إليك وكلنا، وإلى رسولك أنبنا، اللهم بك، به، فتولنا، وتوكل بنا، ولا تكلنا لأنفسنا طرفة عين ولا أدنى من ذلك. اللهم إنا إليك إليه، أمرنا أضفنا، وعن أنفسنا تخلينا، اللهم ارزقنا حبه، حتى يكون أحب إلينا من أنفسنا، ومن أزواجنا وأولادنا وأموالنا.

اللهم به لنا فتوحنا، وبه بك وحدنا، ولك لأنفسنا، منك أشهدنا، واجعلنا مغلاقاً للشر، ومفتاحاً للخير، وأبواباً لرحمتك وأحواضاً لربك، لرحمة الحياة منك، وماء الحياة للناس بك، اللهم اجعل لنا نورا من نورك ثمشي به في الناس، امتداداً لنور رسولك، تسري به فينا، به تقوّمنا حقائق لمعائنا، له مسلمين، ووجهها به لربه مؤمنين، وكتّاباً لنا ولصدورنا من الله للمطلق له نحن له قارئين، وحروفاً فيه قائمين، وآيات وسور به متجمعين لخلقك مقروئين، وكتّابك لهم مطالعين، فيه لهم بنا منه الإمام المبين، والكتاب الجامع، ما فرطت فيه من شيء، العلم بالحق واليقين.

ها أنت مرسل للروح تجدد له للعيان، وتقومه للبيان، بجمع الإنسان على الإنسان في حاضر الإنسان، وجمع الإنسان على الإنسان في غيب الإنسان، وفي جمع الإنسان على الإنسان من غيب الإنسان على حاضر الإنسان، وجمع الإنسان على الإنسان، من حاضر الإنسان على غيب الإنسان، حتى يتجمع الإنسان على الإنسان في كل مجال ومع كل عنوان، خلقناكم أزواجاً، والمؤمن مرآة المؤمن.

لا إله إلا أنت، سبحانه إنا كنا من الظالمين، وكان فضل الله علينا بالرسول عظيماً.

اللهم برسول الله فارحمنا، وبرسول الله فعلمنا، وبرسول الله فأقننا وقننا.

وولِ اللهم به أمورنا خيارنا، ولا تولِ بعدلك أمورنا شرارنا فقد ظلمنا أنفسنا، اللهم به فارحمنا، ومن عدلك فأقلنا، وبرحمتك به فعاملنا، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

### مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة لقمان - ١٣
- ٢ سورة لقمان - ١٦
- ٣ سورة البقرة - ١٤٤
- ٤ سورة فصلت - ٥٣
- ٥ سورة الأنعام - ٩١
- ٦ سورة التوبة - ١٠٥
- ٧ سورة سبأ - ٤٦
- ٨ سورة التوبة - ٣٨
- ٩ سورة الحشر - ٢٠
- ١٠ سورة آل عمران - ١٣٣
- ١١ سورة الكافرون - ١:٢
- ١٢ سورة الكافرون - ٦
- ١٣ سورة الذاريات - ٥٦
- ١٤ سورة البقرة - ١١٥
- ١٥ سورة البلد - ١٢ و ١٣
- ١٦ سورة الفجر - ٣٠، ٢٧.
- ١٧ إشارة إلى حديث شريف ذات صلة رواه مسلم في صحيحه، يصف حال عباد الله الصالحين يوم القيامة: "...فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل". كما في الآية الشريفة: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ \* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} سورة القيامة - ٢٢، ٢٣.
- ١٨ عن الشيخ المرسى أبي العباس: قال لي الشيخ أبو الحسن يا أبا العباس ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا وأنا أنت،
- ١٩ عبارة للسيد رافع يمكن فهم معناها ومغزاها من السياق.
- ٢٠ سورة الزمر - ٢٩
- ٢١ سورة الحجرات - ١٠

٢٢ استلهاما من الحديث الشريف: " أيها الناس لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، ولا تعاقبوا ظلما فيبطل فضلكم، ولا تراؤوا الناس فيحبط عملكم، ولا تمنعوا الموجود فيقل خيركم، أيها الناس إن الأشياء ثلاثة: أمر استبان رشده فاتبعوه، أمر استبان غيه فاجتنبوه، وأمر اختلف عليكم فردوه إلى الله". بحار الأنوار. المكتبة الشيعية. كما ذكره الشيخ محيي الدين ابن عربي في الفتوحات المكية.

|                       |    |
|-----------------------|----|
| سورة الشورى - ١٥      | ٢٣ |
| سورة النحل - ١٢٨      | ٢٤ |
| سورة الأحزاب - ١      | ٢٥ |
| سورة الكهف - ٢٨       | ٢٦ |
| سورة فصلت - ٦         | ٢٧ |
| سورة النحل - ١٢٨: ١٢٧ | ٢٨ |
| سورة الإسراء - ٧٩     | ٢٩ |
| سورة طه - ١٠٨         | ٣٠ |
| سورة آل عمران - ١٥٩   | ٣١ |
| سورة طه - ١٣٢         | ٣٢ |
| سورة الأنفال - ٦٣.    | ٣٣ |
| سورة طه - ٣: ٢        | ٣٤ |
| سورة الإسراء - ٩٥     | ٣٥ |
| سورة التوبة - ١٠٣     | ٣٦ |
| سورة الأحزاب - ٥٦     | ٣٧ |

(٥)

## لا إله إلا الله

شعار الوجود لها على ما هو  
وشعار الفطرة بها على ما هي

حديث الجمعة

١٢ رجب ١٣٨٥ هـ - ٥ نوفمبر ١٩٦٥ م

أعوذ بالله لكريم معانينا من الشيطان الرجيم لخاملنا بمبانينا.

أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس من الخصيم الفتان فينا، وأحمد الله الرحيم المنان يوالينا فالحمد لله ظاهرا وباطنا. ظاهرا بوجهه برسوله بنا وباطنا بربه في أنفسنا لنا.

أحمد رب العالمين لا يحتجب بالوجود قائمه، ولا بالرسالة عالمه. مالك يوم الدين لا يتعطل حكمه ولا يغيب قائم حاكمه..

وأحمده الوجود، أسعده لشهوده، ووجهها له ظاهرا به. وأحمد الرسول في كل من تحدث منه لسانا له..

أشهد أنه لا إله إلا الله، شهادة موحد له، مؤمن به، قائم في وحدانيته معترف مقر لقائم أحديته، مجاهد نفسه لواحديته، ساريا إلى أحده لأحديته، طامعا في تحقيق وصلته، بلا إله إلا الله، في ركب لا إله إلا الله، إلى السعادة بلا إله إلا الله، خروجا من الشقاء في بجودها وحرمان وجودها.

يتساءل الإنسان متى كانت لا إله إلا الله؟ ومتى رفع شعار لا إله إلا الله للوجود؟ ومتى دخل الوجود في لا إله إلا الله؟ وهل خرج الوجود عن لا إله إلا الله؟ وهل غاب الوجود عن لا إله إلا الله، أو غابت لا إله إلا الله عن الوجود؟ وهل تواجد الوجود بغير لا إله إلا الله أو بعيدا عنها؟

إن لا إله إلا الله، هي شعار الفطرة، وشعار الإنسان، وشعار المؤمن، وشعار الإيمان، وشعار المعرفة وشعار العلم، وشعار الرسالة لكل مُعلم، وشعار الدين، وشعار اليقين، وشعار الطريق.

فما عَرَفَ عَارفٌ يومَ عَرَفَ، إلا لا إلهَ إلا اللهُ، وما غفلَ غافلٌ يومَ غفلَ، إلا عن شعاره لنفسه بلا إلهَ إلا اللهُ تفريطاً منه في أمرِ اللهِ به لأمرِ اللهِ له. وما هلكَ هالكٌ يومَ هلكَ، إلا يومَ أنكرَ على لا إلهَ إلا اللهُ لقاءه وقيومه. وما حيا حيٌّ يومَ حيا، إلا يومَ دخلَ حصنَ لا إلهَ إلا اللهُ فنطقَ وعملَ بها لساناً ويدا لكلِّ الوجود.

فلا إلهَ إلا اللهُ، كما هي للوجود على ما هو شعار الفطرة على ما هي، هي العِلْمُ عن الفطرة، بالعِلْمِ عن صبغةِ اللهِ للوجود، يومَ يكسبُ الإنسانُ الوجودَ، فيكونُ فطرةَ الوجودِ، وصبغةُ الموجدِ، يكونُ اسماً للهِ، يكونُ وجهاً للهِ، يكونُ جارحةً في ذاتِ اللهِ، بموجودِ خلقِ اللهِ له. علِمَ ذاته في وحدانيته بهم فيه. أعلامَ صفاته، بقيوميته عليهم، يومَ تخلّقهم بخُلُقهِ، لجوهرِ حقيقتهم، بمعانيهم، بموصوفِ أوانيتهم لخلقيتهم لقائمٍ وأبدي خلقه.

اللهُ وإنسانه قلبُ القلوب، وقلوبُ الهياكل.. فلا إلهَ إلا اللهُ عِلْمٌ.. ولا إلهَ إلا اللهُ دينٌ.. ولا إلهَ إلا اللهُ سلوكٌ وطريقٌ.. ولا إلهَ إلا اللهُ عقيدةٌ.. ولا إلهَ إلا اللهُ مجاهدةٌ، ولا تقومُ المجاهدةُ، بلا إلهَ إلا اللهُ، في لا إلهَ إلا اللهُ، إلى لا إلهَ إلا اللهُ، إلا يومَ يقومُ العِلْمُ بلا إلهَ إلا اللهُ، ويومَ يقومُ العِلْمُ بلا إلهَ إلا اللهُ، يقومُ الدينُ، بها عند قائمه فيه.

فلا دينَ بغيرِ عِلْمٍ، ولا عِلْمَ بغيرِ نظرٍ، ولا نظرَ بغيرِ مجاهدةٍ، ولا مجاهدةَ بغيرِ غايةٍ، ولا غايةَ بغيرِ طلبٍ، ولا طلبَ بغيرِ استقامةٍ مع المطلوبِ وصفاءٍ مع كلِّ طالبٍ، فقيامُ الوحدةِ للطالبِ مع الطالبِ هي بابٌ وطريقُ الوحدةِ، بين الطالبِ والمطلوبِ. وقيامُ الوحدةِ مع المطلوبِ، تنقضي صفةُ الطلبِ عن الطالبِ. وتقومُ فيه صفةُ المطلوبِ لأنَّه بحقه عند نفسه لحق عبده بالوجود لصفة الطالبِ.

(إنما خلقتكم للأبد، ولكنكم تنقلون من دار إلى دار) <sup>١</sup>، بما تسمونه الموت، وأنتم اليوم في هياكلكم، أرواح في دورها، فما تحررت الأرواح من سجنها، وطافت حول عوالمها بالأشباح، فُكِّنت، بتحررها من الطريق إلى الأعلى، روح روحها، وقائم سبوحها وسبوحها، مُكِّنت المعاني من أرض المباني، فتطورت المباني، وتعالَت وعَلَّت المعاني، ففي أطوار مبانيها، وعلو معانيها، تتغير من دار إلى دار، إلى فردوس مبناها، لمرضي معناها.

(هذا الدين القيم، أوغل فيه برفق) <sup>٢</sup>، لا تندفع، حتى ترهق، فتزهق فترتد فتنبت فتقطع، (إن النبات لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى) <sup>٣</sup>، إن الدين.. إن الطريق هي الحياة، وهي سبيل التواجد بموجود الوجود.

فلا دين يوم لا طريق، ولا طريق يوم لا مسير، ولا مسير يوم لا مجاهدة، ولا مجاهدة يوم لا علم، ولا علم، يوم لا رفيق، (البحث عن الصديق قبل الطريق)<sup>٤</sup>، فلا طريق بلا صديق، ولا صديق، لمعنى رفيق، وأنت لست بصديق.

تشيت وتجميع، توحيد وتعدد، وجود وإيجاد، إيجاد وتواجد بالموجود أسكن في الليل دواب الليل، كما أسكن في النهار دواب النهار، وجعل له حجابا من النور كما جعل له حجابا من الظلام، وجعل في داره من الأرض رواسي أن تميد بهم، أعلاما بها بلا كلام، كما جعل فيها كتباً وأقلاماً، تتحدث عن الأعلام، وتقوم بالإعلام، لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، عبادا لله، وحقائق له، يمشون على الأرض، إعلاما عمن يمشون فوق السماوات، إعلاما ظاهرا لباطن، أعلام الأرض وأعلام السماء، وجودا لواجب الوجود في القيام المنفرد بالشهود، والأعلام والإعلام.

أيما نولي فوجهه، وكيفما نقوم فأمره، نتواجد به في حجب ظلامه، كما نتواجد به في حجب نوره.. هو ليل سكينتنا يوم نتواجد في حجاب الظلام مؤمنين بالغيب، وهو نور معرفتنا يوم نتواجد كتباً له وأعلاما عليه في حجاب النور موقنين بالشهود وبالوجود.

نجتمع من شتات، يوم يجتمع وجودنا بنوره لنهاره، على وجودنا بليله، في حجاب ظلامه، حتى لا تفوتنا المعرفة عنه في المعرفة عنا، على ما أراد لنا في معراج تطورنا، لنحيط بنا بشيء من علمه عنا، في علمنا عنه بنا، بما قام في علم الوجود لنا، بأعلامنا له، لمعلومنا لنا، دخولا في لا إله إلا الله، هي شعارنا له، ونحن شعارها لنا، ولمن أرادها لنفسه معنا.

علمنا عنه في علمنا عنا، لمن يطلب العلم عن نفسه بنا، علما عنه، بعلمه عنا، لقيام معلومنا بنا لقيامه منا. من أراد أن يكون اسما لله، فليتابع اسما لله، قام بالله، مؤمنا بالله، فكان المجتمع عليه، به الله مؤمنا. فكيف يطلب الإنسان من الله أمرا لم يسبق له وجود فيه! وكيف يحقق لنفسه ما آمن بأنه موجود فيه، وهو لم يترسم خطو محققه لنفسه! فكيف يكون مؤمنا وهو لم يتلاقى مع مؤمن على الإيمان؟ ألم يسمع للرسول وقد هداه (المؤمن مرآة أخيه)<sup>٥</sup>، (المؤمن مرآة المؤمن)<sup>٦</sup>، (لا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله)<sup>٧</sup>؟ فالعبد والرب صفتان في الأمر الوسط بالإنسان. وهما صفتان وحققتان في مجتمع الأمة الوسط قائمة بالإحسان وبالعرفان وبالبيان.

هذه هي الفطرة على ما هي، في أزل لها، باقية على ما كانت في أبدها، وهي على ما هي قائمة في قائمها، عند المبعوث بها، بعثا بالحق منها، سبحا فيها، وقيامها بها، صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة، ما ظهر في شيء مثل ظهوره في الإنسان.

الله؟! ما الله.. من الله.. متى الله.. أين الله.. كيف الله؟ هو الظاهر، كما هو الباطن، هو الأحد، كما هو الواحد، هو الموصوف لعين الواصف، بقيام المتصف، بصفات الموصوف، وهو المنزه عن الوصف وعن الاتصاف له الأسماء الحسنى، وأي اسم له ليس بحسن، من ورائها محيط، قيام وجهه، لظهور حكمته، قياماً لعلم إرادته بالإنسان.

جعل الإنسان فيه علم الحق عليه، في مطلقه، وفي موجوده لمحدوده، بعوالمه، لواسعه بوجوده جماع عوالمه، لظهور معالمة، كان الإنسان فيه، عين الإنسان منه إلى قائم الإنسان له.

كان الإنسان فيه، المرسل، والرسول، والمرسل إليه. كان الإنسان فيه هو الأول، كما كان الإنسان فيه هو الآخر، كما كان الإنسان فيه ما بين الأول والآخر، بين يدي رحمته، كان القائم بالحق، وقائم الحق لطالبه، ومعلبه لمُتطلبه.

بهذا جاء دين الفطرة، وبهذا جاء الإسلام مع رسولها، تمام حلقاته، وجماع آياته، وجمع كلماته، يُعرف عن التشيت، للنفس له، بقائم النفس منه. (خلقتك لنفسي)<sup>٨</sup>، {ويحذركم الله نفسه}<sup>٩</sup>، {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}<sup>١٠</sup>. إنه القائم على كل نفس بما كسبت ويعرف عن التوحيد بائتلاف القلوب عليه حبا وسلاما قياما في قدس نوره، أو حمية وجهادا قياما في قدس ناره.

فالنفس في قائمتها، بأحدها، لواحديتها، لها مآل إلى تشيت، والنفوس في شتاتها لها مآل إلى تجمع، بسر واحديتها، لطلب أحديتها، فألها وغايتها من التجميع هو التوحيد إلى قائم الأحد.

وقد جعل الله إنسان الله لظهوره، من إنسان الأرض عليها، علماً على غيب الإنسان عنها، وذلك في حالة باجتماع من تشيت، خروجاً وتخلصاً من حالة في شتاتها، إلى حال اجتماع للقلوب. فما تجمعت الأشتات، قلوباً على قلب، إلا تواجدت الذات، علماً على الأعلى، بذات وجود، علماً على أعلى بذات لواجب الوجود، ويطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى الذات، بدءاً من حاضر ذات، (المؤمنون كأعضاء الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو سهر له سائر الجسد بالحمى والسهر)<sup>١١</sup>، (إذا شكت مؤمن شوكه وجدت ألمها عندي)<sup>١٢</sup>، فكان بمعناه جماع الناس لقائم مبناه عبداً لله.

بهذا جاء الحق الرسول، بآدم من أودمه عرفناه، ليكون بيننا شعاراً لا إله إلا الله لقائم قيامنا، وليكون لنا كتاباً لا إله إلا الله نأخذه بآيماننا، وليكون معنا معية الله لنا أولى بنا منا، نحن معه ظلاله، هو بنا ونحن به للناس، طريقاً لا إله إلا الله، بنا يقومها، وبها نقومه فيه نشهدا لنا، وبها نشهدا له، فيقوم بنا وبه شاهد ومشهود، يشهدا لنفسه فينا وبنا، ونشهدا لأنفسنا به وفيه، (إن لله جنة ليس فيها غير وجهه الله يضحك)<sup>١٣</sup>. من كنت منه، كان مني، ومن كان مني كنت منه.

فكان أمرا وسطا، يقوم بين أزلية الإنسان حقا ينشد، وأبدية الإنسان خلقا يتواجد، يجتمع له في حاضره، لقائه، قيومه من الأزل، لعين معناه، ويُشَهِد له لقائه، بقادمه في الأبد، عين قائمه، قيوما له لعين قديمه فيكون بذلك نفسا لله، علمت ما قدمت وأخرت، وما قدمت، إلا قديم وجود لها، تواجدت به، وما أخرت، إلا جديد وجود لقادها تعمل له، فكان بذلك قدوة لنا لكسبنا له بمتابعته عليه حياة وبقاء لأنفسنا، وكان في اقتدائه إليه رسالته بيننا وحقه إلينا من الحق علينا.

بذلك استقامت الطريق، واستقام الدين، وتعارف الخلق إلى الخالق، برسول من أنفسهم، قام بينهم خلقا، وبعث لعيانهم حقا، ولم يختفِ بينهم خُلقا، ولم يتوقف فيهم بالحق انتشارا فكان بظلاله معنى النبيين رحمة، وكان بحاله بالحق علما ومعرفة، وكان بقاءم أمره وجها وعلما، وكان بمشهوده كُتابا وإعلاما، قيامة وأقلاما، لرب العالمين.

أشرقت به الأرض بنور ربها، وولدت بانشقاقها عنه الأمة سيدها، فجعلت تحته سريا بها، وجعل عليها من المطلق مرضيا لها فقام للأعلى به رضيا عندها وحقا مدانيا دُنيا لتحقيقها، فتواضع لها دونها، مؤمنا بها للأعلى في حال اتحادها بأبعاضها علما على من صدرت عنه من سابق ملأ لنفسه أوجدها وتواجدتها، فكان كافة للناس عليها، علم الإنسان لها، لعلم الإنسان عليها، وللمعلوم الإنسان منها.

ولكن الناس من أُمته، ولكن الناس من أهل الكتاب، ما تابعوه فيما قامت به رسالته تجديدا وبدءا لبدء أنفسهم بتجديدها بالحياة في متابعته أول عابدين، بمعلوم علمه، محمد بن عبد الله.. محمد رسول الله.. محمد آدم أوادم الله.. محمد حق الله.. محمد تجسد روح الله.. محمد نور الله.. في دثار أديمه، لدُثره لأوادمه، يقوم ويتقلب في الساجدين رحمة للعالمين.

جعل الله له منه نورا يمشي به في الناس، فيعلون، فيعرفون، فيتحققون، فمن سجين ذواتهم يتحرون، ومن نار دارهم يعتقون، وإلى أرض مبانيهم خلقتهم روحا يرسلون وأوادم برسالتهم عليها يظهرن، وبجديد حق يبعثون، فإلى قائم الأرض رذاذا منها تواجدوا لا يتثاقلون، وعليها منهم بهم يُخَلَّفون، تخلقا بأخلاق الأعلى، له يتابعون، وخلفه يتعالون، وجديد إنسان لهم منها، يتواجدون، لحقهم لإنسانهم عليه يجمعون، على ما هم على أعلى لهم إنسان الحق عليه يجتمعون. فبين الأزل والأبد يترددون، وبين عالم الخالق وعالم الخلق يتواجدون. فبالحياة هم بحارها فراغ الوجود بالحياة يملؤون، يد الله يعملون، ووجه الله يظهرن، واسم الله يذكرون ويذكرون، ونور الله يعرفون ويعرفون، وروح الله يطلبون، وبيوت الله يُقصدون، ونصب الله يُطافون.

فهل آمن بالله ورسوله من الناس مؤمنون؟ أم أنهم بالسنتهم لاسم الرسول يذكرون، ولاسم الله يرددون، وما لاسم الرسول أو اسم الله، شأن في قلوبهم يطلبون، وكلاهما أقرب إليهم من حبل الوريد لو يعلمون، ولكنهم عنهم بهم يعمهون، ولهم يحدون، وبعيدا عنهم يطلبون، وعليهم فيهم ومعهم ينكرون.

وما دروا أنهم بالله ورسوله يقومون، وبالله ورسوله يحيون، ولن تفارقهم الحياة يوم هم بهم يؤمنون قياما على كل نفس، يُشهدون يوم هم بإيمانهم بهم لهم أقرب إليهم من حبل الوريد يطلبون ويعملون، ولأنفسهم يحققون، فتستقيم في الحياة وفي الوجود طريقهم، يوم هم لمن هو معهم يتقون، يوم هم لمن هو بالنعمة إليهم مواصل، يخشون ويخشعون ولنعمته يحمدون ويشكرون، لحب الحياة يراعون وعليها يحرصون، وفيها لا يفرطون، {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون} <sup>١٤</sup>، ولعالمها لهم بهياكلهم لا يشهدون، ولها لا يراعون.

{إن لبدنك عليك حق} <sup>١٥</sup>، إنه حيوان طريقك، إنه مطية رحلتك، إنه قدم حقيقتك، فلا تمشي مكبا على وجهك، وانتصب على نفسك هي منك، وطأ الأرض بمطيتك هي لك، وسر فيها لمعاشك فهي غنيمتك، وتأمل في مرآة قلبك، لجمال وجه ربك هو لك، وهو أمانة الحياة بك.

إنك لن تحيا بترابيتك، ولكنك تحيا بروحانيتك، أزواجا خلقتك، وأزواجا حققك، زواج بين عاليك لقيوم روحك، ودانيك لمعاني سفلك، وقائم نفسك لأعلى سفلك بإعلائه لأسفلك، في جديد أمرك من خلقتك بعملك وصنعك يوم أعليت عاليك على سافله بك فدائك الأعلى، قريبا يواليك، وهاديا ورسولا يلاقيك، وصعد إليك الأسفل اقتداء بك لك فيك.

{وإذا سألك عبادي عني فإني قريب} <sup>١٦</sup>. إني القريب، إني الأقرب من حبل الوريد. أجيب دعوة الداعي إذا دعاني، ألم أهده {واذكر ربك في نفسك} <sup>١٧</sup> (أطعني أجعلك ربانيا، تقول للشيء كن فيكون) <sup>١٨</sup>؟ هل طلبني فما وجدني؟ هل وجدني فما عشقني؟ هل عشقني فقلاني، أم أحبني وهواني، فظهرني بإحساني فأحييته فبجديدي لنفسه أحياني، وقد صار علي وعنواني، وطريقي وإحساني.

من أحبني أحبيته، ومن قاربني قاربته، ومن رضيني رضيته، ومن عنوني عنونته، فأنا حسبته، وأنا الوكيل على أمره، ربا لفعله وصنعه خلقتة، وعبد لي، تكفلته وأعفيته.

{من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب} <sup>١٩</sup>، (هؤلاء أقوام عجبت لهم خيراتهم في الحياة الدنيا) <sup>٢٠</sup>، (من ذلك على الدنيا فقد غشك) <sup>٢١</sup>، ومن يرد حرث الآخرة، نبارك له في حرثه،

ونزد له في حرثه، نضاعف له في حرثه، أضعافا مضاعفة، حتى يَغْنَى من عوزة وفقره، ويشعر بقدرته من افتقاره وضعفه.

يضاعف الله له من فضله فنباعد بينه وبين بعده، ونقارب بينه وبين قربيه، حتى لقاب قوسين أو أدنى من ربه، في قائمه بحقه لموصوف عبده.

ففي عالم الرشاد نتواجهه، ما زاغ البصر وما طغى، وفي عالم الخلق بالحق نوجده، مبعوثين بالحق، في دثر من الخلق (والذي بعثني بالحق)<sup>٢٢</sup>، {وقل جاء الحق وزهق الباطل}<sup>٢٣</sup>، {والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم}<sup>٢٤</sup>، (أنا رحمة مهداة)<sup>٢٥</sup>، (ومن ذلك على العمل فقد أتعبك)<sup>٢٦</sup>.

فإذا بعد رسول الله وهو كثر رسالته من قبله ومن بعده قديما وجديدا له بأوامره من رسول الله لدائمه، وهو المخاطب في دائم قيامه {فبهدهم اقتده}<sup>٢٧</sup>، يستقبله لنفسه نور الله في قلبه من يريد أن يكون خادما في الله، وتابعا لرسول الله، رسولا من الله، قد عرف الحقيقة المحمدية، طابع وخاتم معناه ومبناه يوم هو لنفسه قدوة صالحة رضاه وفي دوام يرضاه فبحث عنه فلاقاه، أو جاهد في الله حتى إليه هداه، فيكون به بمعناه، فهو هدية الله لمن طلبه وعناه.

فما كان رسول الله، أمرا وسطا، وحقا وسطا، إلا أمرا وحقا لله قَبْلَهُ لنفسه العقل السليم وتمناه، فما كان إلا إنسانا من إنسانية الله، وعبدا من عباد الله، وحقا من حقائق الله، وحقيقة لحقيقة الله، لتقديمه وقادمه، في حقيقته بقائمه.

أظهره الأعلى على الدين كله، وأظهر به الدين كله. مثله عند الله كمثله آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فكان، ثم أخذ قبضة من نوره وقال لها كوني فكانته، فكان العروة الوثقى والحلقة الوسطى بين عالمي النور والظلام. رسول الله وخاتم وأصل وطابع وأبوة الأنبياء، والأولياء والحكماء، والعقلاء والشهداء، ومحرر العبيد والأرقاء. سواه ونفخ فيه من روحه.

فإذا ينتظر الناس، بعد رسول الله لا يغيب؟ الخير فيه وفي أمته، إلى يوم القيامة، لا تغيب نبوته، ولا تنقطع بالبيان رسالته، ولا يتوقف عن الفيض بالعلم على القلوب علمه، ولا يبتري في الناس بالقيام أمره، أعطي الكوثر وكان شائته الأبر، كلمة طيبة لكلمات وشجرة طيبة لشجيرات أصلها ثابت وفرعها في السماء متصاعدا، {فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض}<sup>٢٨</sup>، {إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قبلا}<sup>٢٩</sup>، إن لك بكلمات الله منك، في عوالم النور وعوالم النهار سبحا طويلا.

فكيف نطلب من الله معرفة، أو وصلة، أو قياما أو شعارا، أو علما أو كتابا، أو دينا، أو طريقا، أو حقا، بعد هذا الرسول لا يغيب ولا يحتجب؟

ولكن الناس، هم الناس، لا كرامة لنبي في وطنه، لا كرامة لحق بين قومه، لا كرامة لكتاب مملوك في يد الناس، يزهدون ما ملكت أيديهم، وينشدون في دوام ما غاب عنهم. لا يدخلون إليهم فيهم، ليسألوا ضمائرهم عنهم، وعما يبرز الله لهم من الحق بهم أو بينهم.

(استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك)<sup>٣٠</sup>. إن في الإنسان ضمير لا يكذبه أبدا، بل الإنسان على نفسه بصيرة، ولكن الناس استهواهم أن يجادلوا عن أنفسهم، بوههم الاستقامة لهم، وهي الأمر المفروض أنه لهم، يوم يؤمنون بها، قديم حالهم، فلو غادرنا عنا إلى أحسن تقويم كما منه وجدنا، لكنت هذه طريقنا، في متابعته لأحواله لتمامنا فلأحسن تقويم نكون بمجاهدتنا لنا في مخاصمة أعدى أعدائنا يجري منا مجرى الدم في أنفسنا.

ولا رجوع لنا لأحسن تقويم كذا، إلا بمن رجع لأحسن تقويم كان، فكان في أحسن تقويم بيننا لاقتدائنا كائن، ولأحسن تقويم في مثال يكون، يوم هو بنا فينا يكوننا ونكونه، نور الله، في قلوبنا ينتشر، به نحيا، وبه نذكر ونذكر.

فالذي قام بيننا أحسن تقويم، علما على قديم في أحسن تقويم، لا ينتظر قادما له بأحسن تقويم، إلا أن يكون كوثرا به فيمن حوله لعينه بأحسن تقويم هو له، من بعث بالحق بيننا لنظرنا وقدوتنا، من بشر لبشرنا {ولسوف يعطيك ربك فترضى}<sup>٣١</sup> فبشرنا لقائنا في قائمه، (لا أرضى وأحد من أمتي في النار)<sup>٣٢</sup>.

أجبنا لك سؤلك، فأنت لهم الشفيع، ومن ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه. وقد أذن لك فاشفع على ما تشاء، ويا أيها الناس ابتغوا إلينا به، وسيلة لكم إلينا، {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}<sup>٣٣</sup>.

فإذا عرفنا عن رسول الله، وعن شفاعة رسول الله، وعن الوسيلة برسول الله؟ وكيف انتفعنا برسول الله وبشفاعة رسول الله؟ هل تأملنا أو تذاكرنا كيف خسر آباؤنا رسول الله؟ وكيف أننا في حاضرتنا بيعت مجتمعنا المرة بعد المرة بخسرانه، على ما كان من قديم مجتمعهم، بوههم عنوانه؟

(إن الله يبعث في هذه الأمة، على رأس كل قرن، من يجدد لها أمور دينها)<sup>٣٤</sup>، ويجدها بجماعها في أيامه إليها، في ركب بجماع من كلماته، بأوادم ذاته، تمر الألف، ولا تنقضي الأخرى إلا ويظهر بحاله. هكذا بلغنا، فصدقناه وصدقنا فعلناه، وعلمنا فعرفناه، وعرفنا فأيقناه، وأيقنا فحققناه، فيما أيقنا وعرفنا

وعلمنا بُعثناه فروحا رسولا، استقبلناه، ووجوها له قناه، وظلالا له شرفناه، وأمة لإنسان معناه تجددناه، وجماعا لعنوان محمد رسول الله والذين معه أشهرناه، فهو في دوام يقوم، وفي دوام يتواجد بأتمه لرسالته ومعناه.

{ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر}،<sup>٣٥</sup> على ما هداكم أمره الوسط، وأمة إنسانه، بإنسان أتمه، يتجدد به الأمر، ويتجدد به الدين، وتتجدد به الحقائق، ويتكاثر بوجوده العباد، ويتعبد بمتابعته الخلق، ويتحقق به المتعبدون، فللمطلق أنفسهم يعبدون وله يعبدون، في متابعة من عبد المطلق، وعبد نفسه له، إنسان الله، وعبد الله، ورسول الله، ووجه الله، والحق من الله، لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

اللهم برسول الله، فاجعل شعارنا فيك لا إله إلا الله.

اللهم برسول الله، فقومنا، لك، وسر بنا في طريقه طريق الله.

اللهم برسول الله، فأعلِ كلمة الحق عندنا، وأعلِ كلمة الحق بنا، وأعلِ كلمة الحق فينا، وأعلِ كلمة الحق لنا، بلا إله إلا الله.

اللهم برسول الله، فعافنا من إقامة عدلك فينا، وولِ أمورنا خيارنا برحمتك، ولا تولِ أمورنا شرارنا بغضبتك، وعدلك.

اللهم ادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم، حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، يقظين وغافلين.

اللهم عاملنا بعفوك ورحمتك، وقومنا بهدايتك ورسالتك، حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، يقظين وغافلين.

اللهم كما لنا في يقظتنا وكن لنا في غفلتنا، وذكرنا برحمتك لنا، منك فينا، لك معنا، وبك علينا.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

### مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ مقولة للخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز. أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في كتابه حلية الأولياء وطبقات الأصفياء
- ٢ حديث شريف: "إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا أرضا قطع، ولا ظهرا أبقى." أخرجه البزار والحاكم، وكذلك البيهقي باختلاف يسير. وأخرجه أحمد "إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق".
- ٣ نفس الحديث الشريف في الملاحظة السابقة.

- ٤ "من وصايا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ولده الحسن رضي الله عنه: قال: "يا بني سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار".
- ٥ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ أخيه، المؤمنُ أخو المؤمنِ يَكْفُ عليه ضِيعَتَهُ ويَحْوَطُهُ مِنْ ورائِهِ". أخرجه أبو داود والبخاري.
- ٦ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يَكْفُ عليه ضِيعَتَهُ، ويَحْوَطُهُ مِنْ ورائِهِ". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني
- ٧ استلهاما من {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله} سورة آل عمران - ٦٤
- ٨ جاء في بعض الآثار يقول تعالى: ابن آدم، خلقتك لنفسي فلا تلعب، وتكلفت برزقك فلا تتعب، ابن آدم اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فأتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء. وذكرهما كذلك المناوي في فيض القدير. ولم نعثر بعد البحث على عزوهما للنبي صلى الله عليه وسلم فلعلهما مما روي عن أهل الكتاب.
- ٩ سورة آل عمران - ٢٨ و ٣٠
- ١٠ سورة الذاريات - ٢١
- ١١ حديث شريف: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". أخرجه البخاري ومسلم.
- ١٢ عبارة للسيد رافع يمكن فهم معناها ومغزاها من السياق.
- ١٣ إشارة إلى حديث شريف رواه مسلم في صحيحه، يصف حال عباد الله الصالحين يوم القيامة: "...فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل". كما في الآية الشريفة: {وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ \* إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} سورة القيامة - ٢٢، ٢٣.
- ١٤ سورة يوسف - ١٠٦
- ١٥ حديث شريف: "إن لربك عليك حقا، وإن لبدنك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، فأعطِ كل ذي حق حقه". أخرجه البخاري.
- ١٦ سورة البقرة - ١٨٦
- ١٧ سورة الأعراف - ٢٠٥
- ١٨ يرد في بعض كتب المتصوفة والشيعة كحديث قدسي، وتقول كتب الأحاديث الشريفة السنية بأنه ليس حديثا قدسيا، ولكنه جاء في الأثر بلفظ "يقول الله عبدي أنا الله الذي أقول للشيء كن فيكون، فأطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون".
- ١٩ سورة الشورى - ٢٠
- ٢٠ حديث شريف طويل قال فيه عمر ابن الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم: ادع الله أن يوسع على أمتك فإن فارس والروم وسع عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله، وكان متكئا فجلس فقال: أو في شك أنت يا ابن الخطاب!! أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا". صحيح البخاري.

- ٢١ مقولة للشيخ ابن مشيش. "من دلك على الدنيا فقد غشك ومن دلك على العمل فقد أتعبك ومن دلك على الله فقد نصحك".
- ٢٢ قسم يبدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحاديثه.
- ٢٣ سورة الإسراء - ٨١
- ٢٤ سورة محمد - ٢
- ٢٥ حديث شريف: "إنما أنا رحمة مهداة." أخرجه ابن سعد والحكيم والحاكم.
- ٢٦ مقولة للشيخ ابن مشيش. "من دلك على الدنيا فقد غشك ومن دلك على العمل فقد أتعبك ومن دلك على الله فقد نصحك".
- ٢٧ سورة الأنعام - ٩٠
- ٢٨ سورة الرعد - ١٧
- ٢٩ سورة المزمل - ٦
- ٣٠ من الحديث الشريف "استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك." أخرجه أحمد بن حنبل والدارمي.
- ٣١ سورة الضحى - ٥
- ٣٢ من حديث شريف جاء في تفسير القرطبي أنه حين نزلت الآية {ولسوف يعطيك ربك فترضى} قال النبي صلى الله عليه وسلم "إذا والله لا أرضى وواحد من أمتي في النار." وجاء في صحيح مسلم في حديث طويل منه: "اللهم أمتي أمتي وبكى. فقال الله تعالى لجبريل: اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسله ما يبكيك فأتى جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - فسأل فأخبره. فقال الله تعالى لجبريل: اذهب إلى محمد، فقل له: إن الله يقول لك: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك".
- ٣٣ سورة الأنفال - ٣٣
- ٣٤ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها." أخرجه أبو داود والحاكم.
- ٣٥ سورة آل عمران - ١٠٤



(٦)

## يتواجد إلى وجود، بموجوده من الوجود لا بدء لوجوده ولا انتهاء لتواجده هو إنسان الله للقيمة والعتره في الصبغة والفطرة

حديث الجمعة

١٧ شعبان ١٣٨٥ هـ - ١٠ ديسمبر ١٩٦٥ م

الحمد لله، الحمد لله، الحمد لله.

هدى من هدى، إلى طريق الاستقامة، وابتلى من ابتلى، بطريق الندامة.

الحمد لله الذي هدانا إلى ما هدانا إليه، برحمته، بمنته، برسالته بهديته، برسوله، وبعتريته. بذاته لذواتنا، وبقلبه لقلوبنا، وبروحه لأرواحنا، وبمعناه لمعانيها، وبنفسه لنفوسنا، وبنوره لعقولنا، جعله الله لنا ما جعلنا له. نحن به نكون، وهو من دوننا كائن.

هدانا إلينا إلى لا إله إلا الله، يوم أعلننا أنه لا إله إلا الله، وعلمنا لا إله إلا الله، فشهدنا لا إله إلا الله، وعرفنا أنه لا إله إلا الله.

قام لنا رسالة الفطرة، رسالة المعرفة، رسالة القيمة، رسالة العلم، علم الفطرة عنها، بعلمها لمن فطرها لنفسه، يوم أدركت صبغة الله لها فحمدتها له، ومن أحسن من الله صبغة.

عرّفها، وأقامها، أينما تولوا فثم وجه الله، الله قائم على كل نفس، وأقرب إليها من حبل الوريد وجعل الدين للفرد كما هو للوجود، وجعل الفرد لله، كما هو الوجود لله، ولم يجعل للوجود بماديته سلطانا على موجود الفرد بمعنويته. وجعل العقاب والثواب من الفرد وإليه، برد عمله إليه من محفظة الوجود له. فقامت رسالته على دعامين..

(أ) ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم.. به كسبوا الحياة ما انتشر فيهم وجوده بنوره.

(ب) وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون.. هم في طريقها للحياة بإدراك العدم لوهم الوجود لهم.

{وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم}¹، وهذا هو دين القيمة، هذه هي الطريق، وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون، وهذا هو دين الجمهور ودين الكافة وعقيدة التعرض لنفحات الله بالمجاهدة والسعي.

{وذلك دين القيمة}² دين يقوم ويتجدد ما قام القيمة في الناس بدينهم، وراء العترة، بحقهم، لمعنى الكتاب وأهله، لقائمهم {واعلموا أن فيكم رسول الله}³ (يقوم ويتقلب في الساجدين) ⁴. (تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي)⁵، (ما إن تمسكتم بهما لا تضلون أبدا)⁶، (فإنهما لا يفترقان أبدا)⁷، و(المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخال)⁸، ف (فالمؤمن مرآة المؤمن)⁹، (والمؤمن مرآة أخيه)¹⁰.

إنكم يوم تلتزمون المتابعة للقيمة تشهدونهم وتعرفونهم، في التزامهم المتابعة للعترة، فهم الذين ينكرون على أنفسهم لمعاني الحق لهم، مع سلامة أحوالهم، إلى عترة الرسول بينهم، يشهدون فيهم وجه الرسول لهم ويد الرسول عندهم. والعترة هم من تعرفونهم، في قيامهم، بيان كتاب الله، وامتداد نور الله برسول الله، يمتد فيكم بلا خفاء ودون ابتلاء، رحمة لا جزاء، دوام وحي الله، خالد رسول الله، متكاثر كلمة الله، متجدد ذكر الله، دائم اسم الله لأسماء الله، في لا إله إلا الله، والله أكبر لا ينقطع لهم عن الأرض وجود، ولا يتعذر على طالب للحق بهم لوجه الله شهود.

{وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}¹¹، فلم يستغفرون والله لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية؟ ومم يستغفرون، والله قائم على كل نفس، ومن ورائها بإحاطته؟ {ولو شاء ربك ما فعلوه}¹². إنهم يستغفرون يوم يستغفرون مدركين للاستغفار من الشرك به، يستغفرونه من رؤية ذواتهم منفصلة عنه مشاركة له بوجود مع قائم وجوده، يستغفرون عن غيبتهم عن روحهم روحا له، يستغفرون من عقولهم، بعيدة عن نوره، بعيدة عن وصلته، بعيدة عن إدراك وحدانيته، بعيدة عن القيام لأحدثته، بعيدة عن النشدان لصمدانيته، بعيدة عن الإدراك لأبديتها في أبديته، وأزليتها في أزليته، وسرمديتها في سرمديته، وقيامتها في قيامه بها لقيامته، الحي القيوم، لا شريك له، يستغفرون لمعانيهم منه عن مبانيهم لهم لمعنى أناهم بالحق له، لمعاني حقه لحقائقهم، بخلقه لخلائقهم.

هذا ما يجب أن ندرك أنهم يستغفرون يوم يستغفرون، وإليه في أنفسهم يرجعون، وقد وجههم {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}¹³، فكشف الغطاء لمن رجع إلى نفسه من كرتيه، فأبصر ما ينشد، ولاقي من يطلب، ووجد من يشهد، وما كذب الفؤاد ما رأى، قدوة دائمة لهم بما رأى، قدوة لهم بما أرى، قدوة لهم، فيمن يرى، على ما رأى، وعلى ما أرى، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن

اتبعتني<sup>١٤</sup>، (ما أعطيته فلا متي)<sup>١٥</sup>. فما كان الاستغفار لفظا تلوكه الألسن، ولا قائم له في العقول، ولا طريق له في المعاملة، ولا قيام له في الواقع.

(من كان مني كنت منه)<sup>١٦</sup>، فما رأي من رأي، إلا يوم رأي حقا، بعين حقيقته، بلطف نور الله بي، واصلا إلى قلبه وعقله، قائما فيه بحسه ووعيه، لا يعبد الله بالظن، إلا الظن لا يغني من الحق شيئا<sup>١٧</sup>.

ولكنه يعبد من هو أقرب إليه من حبل الوريد، كاشفا لقربه، مقيما لأمره، مستقيما مع هديه، مشغولا بشأنه، لا يفرط في أمر ربه لأمره، ولا في أمره لأمر ربه.

يرتبط بالله، في وحدانيته، مع رسوله لشهادته، لا ينفك عن متابعتة، ولا يخرج من دائرة هديه، ولا ينحرف عن طريق اهتدائه يشهده فيمن يؤاخيها، ويراه بحكمته مع كل من يلاقيه، ويسعده لنفسه يوم هو له فيها يستبقيه، فيبعثه بما يرتضيه.

رسول الله له، هواه، رضاه، معناه، رجاه، مولاه، ومولاه لمولاه، أعلاه وأدناه، ظهيره ومشهوده وموجوده عابده ومعبوده، عن يمينه لكسبه، وعن يساره لوهبه، من أمامه بجماله، ومن خلفه بدلاله، عليه برحمته، هو به على نفسه بعزته.

يعرف لا إله إلا الله، ويدخل في حصن لا إله إلا الله، ويقوم لا إله إلا الله، ويقيم لا إله إلا الله، ويشهد شعار لا إله إلا الله، في الله أكبر، ويشهد لا إله إلا الله، عند من داناه ووالاه لمعناه، يوم دخل بيته وعالمه وهيكله ومبناه.

امتزج فيه العبد والرب، قام عبدا لأعلاه وقام ربا لأدناه أمرا وسطا لله فعرفه إلها في معناه، يوم عرفه كلمة الله، واسما لله، وعالما من عوالم الله، فكان مسيح إنسان الله، وكلمة الله، لإنسان الله، من الله الأكبر، عرف الأكبر، إنسان الله، لإنسان وجوده، فرفيقا أعلى سماه، وربا له ناداه، وإلها عليه، عبده ووالاه، فأدرك ما معنى لا إله إلا الله، وعرفها قائمة إنسانا لله وعبدا لله.

ما قالها مقالة، ليس لها فيه أثر، ولا قامت به فيه بحال أو خبر ولكنه بها، قطع الأحوال، وعرج المقامات، وقام الآيات، وظهر الكلمات واجتاز المنازل إنسانا لإنسان، رجل سلم لرجل، ذاتا لذات في الله ذي المعارج، (ويطول بنا إسناد عننة حتى إلى الذات)<sup>١٨</sup>، لذات المطلق اللانهائي في جوده ووجوده. معلوم وموجود حضرة الرشاد لآحاده.

الرحمن، بكرمه وجوده، هو الموجود، لا يُنكَر ولا يُجحد وهو المقصود، لا يَكْفُر ولا يُعبد، {قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن، أيا ما تدعو، فله الأسماء الحسنى} ١٩ تضعها أنت، وتسميها أنت، حتى تُرضي هواك، وتُرضي معنك، اسما لله {هل تعلم له سميا} ٢٠، {قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون} ٢١.

فلا اسم لله إلا أنت، ولا مسمى لله إلا حَقُّك لوجودك، ولا عَلم على الله إلا وجودك بحَقِّك. فتواجد به في موجوده {أعطى كل شيء خلقه ثم هدى} ٢٢، وتسمى به بين أسمائه، {فأينما تولوا فثم وجه الله} ٢٣ وتساعد به إلى عليائه، حتى تكون قائم الوجه الجامع لوجوه له، عند وجهك منك {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى} ٢٤ بوجهك لك {ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء} ٢٥.

فما تَعَارَفَ بمعروفه، لعارفه، إلا بعين معرفه لعين عارفه بلا إله إلا الله، في لا إله إلا الله. وجوه لوجوه، نُضِرَتْ أو غُبِرَتْ، صَلَحَتْ أو فَسَدَتْ دين ودين، {قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون، ولا أتم عابدون ما أعبد} ٢٦ {لكم دينكم ولي دين} ٢٧.

الحياة هي الحياة، والناس هم الناس، لا جديد في الناس ولا جديد في الحياة، ولكنها القلوب، كيف نتواجد، وكيف تتجدد وكيف تُصَلِّح وكيف تُتَطَوَّر وكيف تُحْيَا، ومم وُجِدَتْ وكيف تُبْعَثُ، وكيف تُقُومُ، إنها القلوب!! إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب. وأي قلوب هذه التي تعمى؟ إنها القلوب التي هي في الصدور، إنها القلوب، التي هي للحق دور، يوم أنها في الوجود فلَكا تتسع، وشُمُوسا تدور، جعل الشمس عليها دليلا، وجَعَلَ منها عليه الدليل.

{في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه} ٢٨، {رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله} ٢٩، لم تتسع السماوات والأرض لاسم الله، واتسع الإنسان للعلم عليه، والاسم له، والذكر له، والتذكير به، قديما عنون الأقدم ومُحدثا عنون الأحدث بيتا مرفوعا وبيتا موضوعا وبيتا قائما وبيتا مُقاما، وبيتا يقوم، {أولئك يجزون الغرفة بما صبروا} ٣٠، {يتراءى أهل الغرف لأهل الجنة كما تترأى النجوم لأهل الأرض} ٣١، {آخر من يخرج من النار يعطى عشرة أضعاف هذه الدنيا} ٣٢.

هل قدر الناس الله حق قدره؟ {أيحسب الإنسان أن يترك سدى. ألم يك نطفة من مني يميني} ٣٣، {لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون} ٣٤، وإنهم ليعلمون يوم أنهم لله يتقون.. يوم هم قياما وقعودا وعلى جنوبهم لله يذكرون وفي خلق السماوات والأرض يتفكرون يوم يذكرون الله بالغدو والآصال، وعن ذكره لا يفترون، وعن تذكره لا يغفلون يذكرونه لا يكفرونه، يوم هم يقومونه، فيعلمونه، يعلمونه نور وجودهم، وروح حياتهم، وشمس قلوبهم، وحكمة عقولهم، حق استقامتهم، وموعود مآلهم، في أحسن تقويم، على ما كانت أصولهم به وإلى أحسن تقويم فألى أحسن

تقويم تؤول فروعهم لقائم عينهم، وبين يدي رحمته بأحسن تقويم إليه ينسب قائم أمرهم أمرا وسطا الله من ورائهم بإحاطته، وجوها له بكرمه وجوده ورحمته، لا شريك له من موجودهم والله من أمامهم بمشهوده في مرآة موجودهم به لا يعرفون خيرا لهم منه، إلا بوجوده لوجودهم في قديمهم وقادمهم لقائمهم.

يعرفون الدين في أنهم لا ينسون نصيبهم من الدنيا، في كراتها، يوم يكسبون الله فيها لأنفسهم، ويعرفون أنهم في كراتها يخرجون صفر اليدين يوم يخسرونه لمعانيهم، {وابتغ فيما آتاك الله، الدار الآخرة} <sup>٣٥</sup>، ولا تتهاون في ذلك، فهذا نصيبك من الدنيا، {ولا تنس نصيبك من الدنيا} <sup>٣٦</sup>، فتخرج منها دون كسب بها فتفاجأ، يوم تراها كانت لك كرة خاسرة، فلا كسبت الدنيا، ولا كسبت الآخرة، فالدنيا فارقت، والآخرة فيها أعوزت، فما غيّت، وما لها ادخرت، فليس في الآخرة كسب، إلا ما من الدنيا جمعت وحصدت بما فيها عملت.

فإن كنت، بما كان فيك من الحق في الأولى، بذرت وأسرفت، وعلى ما أعطاك الله ما حرصت، وما جددت وما كثرت، وما معه تاجرت فللمفرصة أضعت فخرت فما فيه ربوت، ولا به علوت، ولكن بالغفلة هويت وسفلت، فعن النعمة ابتعدت، وللرحمة جانب.

فماذا أنت، بما جعل الله لك من الحياة بهذه الكرة عملت، وأعملت؟ هل من الخير استكثرت، وللخير جمعت، وبروح الله قت، وبنور الله اهتديت، فحرصت وادخرت، وللآخرة مترقبا، سعيدا متعجلا انتظرت، فما للموت خشيت، ولا على مواصلة الحياة أنكرت، ففي عاجلتك حييت فعرفت وشاهدت ما بالآخرة آمنت ورجوت، فبالآخرة عجّلت، ولللقاء سارعت، فسارع لك الحق، إلى بيته الذي أعددت، ومشكاة صدرك من فيضه أنرت، ومصباح قلبك من قدس ناره أشعلت، وقلبك لقلبك اتسعت وأصلحت، ولتشریف ربك هيأت، وأعددت، ولمقدمه انتظرت، فسارع إليك كلما سارعت، وكان أسرع إليك مما هممت وأسرعت، كان أسرع إليك، إسرعا إليه، نفسا له أعددت، على ما أعد لنفسه فقبلت، وله رضيت، ووجها له سعدت، وحقا به لك حياة آمنت ولقربه طلبت واستزدت حق رسوله له لاقيت وتابعت، ومعه إليه رجعت، فبه تواجدت فوجودا وجدت، وعلمها عليه قت وأعلمت.

كل ذلك في لا إله إلا الله، يُرددونها بأفواههم ولا قائم لها في أفئدتهم، وهي التي تَرَدُّدُ بوجيب القلوب، وهي التي تَرَدُّدُ في نور العقول، وهي التي تتواجد في إشعال النفوس. إنها تُشَمُّ عاطرة في احتراق الأبدان، وتشهد مشرقة في إطار السواد، وتُقرأ ككأبا في أناجيل الصدور، وتعرف عصورا بقرآن الدهور، فتُعرف محمداً لله الرسول وللناس المأمول، مشهودهم لا إله إلا الله، وموجود لا إله إلا الله،

ومعروف لا إله إلا الله، وكتاب لا إله إلا الله، فيعرف الإنسان لنفسه كلمة الله، ذاتا بآدمه، وكلمة الله روحا، بطائرته في عنقه، وكلمة الله حقا، في أحسن تقويم ينتظره، لأحسن تقويم يتابعه ويعتقده.

فكان الإنسان، في أمره أمرا وسطا، تمام كلمة الله. كلمة لله لكلمة لله. كلمة لله لكلمة لله سبقتة، وكلمة لله لكلمة لله لاحقة، فعرف أن خير الأمور الوسط حقا وصدقا، على ما جاء بدين الفطرة، على ما جاء بدين المعرفة، يوم يخرج الإنسان بالدين من الجهل إلى الإسلام. فما كان الإسلام إسلاما إلا لمعلوم يُسَلِّم له، {يؤمنون عليك أن أسلموا، قل لا تمنوا علي إسلامكم، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان} ٣٧.

فما عرفت حقائق عيسى في وحدانيته إلا عن طريق الله بمحمد في استقامته، فما كان المرسل إليه غير الرسول وما كان الرسول غير المرسل في حصن لا إله إلا الله، يدخله الإنسان ويظهره الإنسان ويظهر به الإنسان للإنسان. فالإنسان المرسل والإنسان الرسول والإنسان المرسل إليه إنسانية واحدة وإنسان واحد، في الله في دين الفطرة، أتمه وجمعه وأقامه وبينه إنسان الفطرة وحققها ورسولها.

لكل منا في ذاته ومعناه جاهليته، ولمن عرف أن له جاهليته رآه قائما فيها عرف أن له إسلاما يطلبه، ليخرج من الجاهلية إلى الإسلام، (العقل أصل ديني) ٣٨، (والعلم مشربي ومذهبي) ٣٩، (أطلب العلم من المهد إلى اللحد) ٤٠، (لا شرف لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) ٤١، (أطلبوا العلم ولو في الصين) ٤٢، (وما من كمال إلا وعند الله أكل منه) ٤٣. اطلب العلم في كل مكان، وفي كل زمان، ومن أي إنسان، أعربي وأعجمي، (لا شرف لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) ٤٤. اتقوا الله حيثما كنتم، وأيا ما كنتم، وكيفما كنتم، يعلمكم الله، واعلموا أنكم إلى الانهائي الفقراء أزلا وأبدا وسرمدا. ما قدرتم الله لكم حق قدره عندكم.

إن الله لا يعلم المستكبرين ولكن يقهرهم، ولا تمتد يده بالسلاسل للجاهلين ولكن يرحمهم. ولا يتواضع بقربه من عظمتهم للأعزاء عليه، بأنفسهم معتزين، بل للضعفاء إليه مفتقرين. إنه لا يحب المتكبرين. جعل أحواض رحمته، ونبراس معرفته، في العالمين عبادا للرحمن متواضعين، على الأرض هونا يمشون، لا يستكبرون، ولا يستعلون، ولا على كراسي الحكم يلتصقون، وبعنجهية على الناس يظهرون، ولكن خداما للناس يقومون ويعملون، ونلخير الناس يسعون، ولهم عارفين بما عرفوا من الحق يرشدون، وعن عليائهم، وهم في الجوزاء، يتنازلون، يخفضون جناح الذل من الرحمة لا يستكبرون حكاما كانوا أو محكومين، (الأمير أجير قومه) ٤٥، يعلمون، ومن مال الخدمة في يدهم كفافا يأخذون، وإلى أهله أمانة يردون، هذا حالهم يوم يحكمون، وعن الإفلات من الحكم يعجزون، فالخفاء حالهم لو يستطيعون، وهم المكلفون بالظهور يوم يظهرون، (رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره) ٤٦. القليل من الناس

حَصَادَهُمْ يَوْمَ يُسْفَرُونَ، به يَسْتَكْفُونَ وخلقه يُعِيدُونَ وَيُجَدِّدُونَ، والناس بكثرتهم عنهم الغافلون، وفيهم الزاهدون، وبهم يجهلون، وعنهم يُدِيرُونَ.

بهذا جاء الدين. وبهذا جاء لأهل اليقين اليقين. فماذا كان من أمر المسلمين!!! إذا رجعنا إلى صدر الإسلام، وما ظهر به رسول الإسلام، لوجدنا ما تم في عصر الرسول، ما كان إلا ثمرةً، جنتها يده، من جهد أصوله وآبائه، إلى آدم، (أنا خيار من خيار من خيار)<sup>٤٧</sup>، به انتصر آدم على بيئته، من أبنائه كنودين جاهلين وأبناء خصومته معاندين مُحَارِبِينَ. عُرِفَ آدم لشجرته بين مؤمنين ومسلمين. ظهر آدم لبني جلدته، من النار ومن الطين.

فقال لهم الرسول احرصوا على هذا النصر ولا تضيعوا هذه الثمرة، التي جنيتُم من الشجرة التي جدتُم ومنها قديماً وَجِدْتُم، لتحيوا شجرة هذه الأرض، رحمة مهداة لآدمها، وقد أُمِرَ وزوجه قديماً أن يبتعدوا عن اعتلاء شجرة جنسهم لنشأتهم لعدم كفايتهم لما أريد بهم لخلافتهم {ولا تقربا هذه الشجرة}<sup>٤٨</sup> التي أَلَفَ أن يعلوها الشياطين مستهترين، فإنه لا يتصاعد عليها إلا الجاهلون لأنفسهم ظالمين، {ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين}<sup>٤٩</sup>. إنها شجرة الحياة لأول أطوارها، إنها شجرة الحق وأراد الله أن يصبر آدم في جديد جلبابه، شجرة محدثة لهذه الأرض، وثمره لشجرة قديمة<sup>٥٠</sup>، صبرا على نفسه حتى يأتي أمر الله ويفصل له فيه به لرحمته فَصْلاً وقضاً بينه وبين شيطانه، ويعرف لمن عقبى الدار، يرثها الصالحون ومن يكون الصالحون يوم يعرفوهم جميعاً أنهم كلهم أبناء لآدمهم الواحد وأوادم لإنسانهم الواحد، وجديداً لقديم في آدم وإنسانه، في الوجود على فطرته أسماء الله، وكلمات الله على صبغته. وهو ما تحقق للبشرية بإبراز الأعلى لمحمد إليها من آدمه وإنسانه حقاً ورسولاً، {وتمت كلمة ربك}<sup>٥١</sup>.

فلما تجلت ساعة آدم هذه البشرية بمحمد منه طريقاً قويمًا له تمام كلمات الله إليه، طريقاً مستقيماً به مغفورا له به في قائمه وقديمه وقادمه، مقرباً من الأعلى، مؤاخياً لابنه في قائم حقه وموعد عظمته، وقد رضيه الأعلى إنسان وجود، لإنسان وجوده، وقد استدار الزمان به على هيئته كيوم خلق الله السماوات والأرض، فبذلك أتم النصر لآدم على نفسه وشيطانه في قائمه بمحمد، قام أول عابدين، لا انتهاء لهم. (كان لي شيطان ولكن الله أعانني عليه فأسلم فهو لا يأمرني إلا بخير)<sup>٥٢</sup>، أسلم شيطانه للأعلى مؤمناً بالوحدانية معه فهدى محمد به وأمر به مهدياً، وتلقى محمد من الأعلى لقائمه به.

فأراد رسول الله أن يبقى لآدم انتصاره في جديد نشأته منه، (قُمْ أبا تراب)<sup>٥٣</sup>، حق في الحجاب، روح في الجلباب، نور للكتاب، (من كنت مولاه فعلي مولاه)<sup>٥٤</sup>، (أنا مدينة العلم وعلى بابها)<sup>٥٥</sup>، (هو مني بمنزلة هارون من موسى)<sup>٥٦</sup>، (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل)<sup>٥٧</sup>.

فقال لقومه، ها هو الأمر، قائم في أهله، أَلَسْتُ آدمكم، أَلَسْتُ أولكم، أَلَسْتُ نبيكم، أَلَسْتُ إمامكم، أَلَسْتُ حقكم، أَلَسْتُ نبع عيون الحياة لكم، وأحواض مائها لوردكم، هذا لكم بعترتي فيكم يبتقى وبسفين الخلاص لكم بأهل بيتي بينكم يعمل ويدوم. أَلَسْتُ مصباح الطريق لكم، بقبلي حيا في قبري ومقصودا في رمزي، فأنا البيت الذي تستقبلون، وأنا أهل البيت الذين تقصدون، وأنا الذكر المحدث للذكر القديم لمن تذكرون. فإمامتي لكم دائمة بينكم بكوثرتي بعترتي منكم كلها تجددتم هم كل شيء لي من الله وأنا كل شيء لهم من الله. ولكم من الله ما لي، يوم تدخلون بيتي في ضُبة أهله، وتسلكون طريقي خلف عترتي، عملا بكتابي وسنتي.

وحذر قومه أن يتنبهوا إلى أن الله أعلم حيث يجعل رسالته يوم يصطفي ويختار، وهو لهم بينهم مثلاً لذلك فلا شأن لهم في إقامته بينهم، نبيا رسولا مصطفى، ولكن الشأن في أمره من الله وهذا أمر الدين، وأنه فيه، وهو منه لمن يصطفيه، وقال لهم بحاله ومقاله أنا بالله ولست بكم، وعترتي وأهل بيتي بي وليسوا بكم. (من كنت مولاه فعلي مولاه)<sup>٥٨</sup>، (أنا مدينة العلم وعلى بابها)<sup>٥٩</sup> (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)<sup>٦٠</sup>، وهذا أمر الدين بي، رسولا به لمتابعين، للإيمان يطلبون، وله يعملون.

أما أمر الدنيا فأمر له شأن آخر، فهو أمر لكم الخيار فيه، وهو شأنكم، وكيفما تكونوا يول عليكم، بناموس الله في فطرته، ترد أعمالكم إليكم، (فلا يتخذ بعضكم بعضاً أرباباً من دون الله)<sup>٦١</sup>، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، والأعمال بالنيات، (ربما كان أحدكم ألسن بحجته، فأقضي له، فليتقي الله)<sup>٦٢</sup>، (أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر)<sup>٦٣</sup>، واعلموا أنه (إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة)<sup>٦٤</sup>، فإنه لن يوسد الأمر إلى أهله، إلا بيوم من أيام الجمع والفصل، كيومي هذا بينكم، فتأملوا كيف تحملتم من المشقة للوصول إلى ما وصلتم إليه، وقد جُنّدت قوات السماوات والأرض لنصرتكم. وهذا أمر تقطعه البشرية عادة في يوم مقداره ألفاً من السنين وقد تزيد، (فإن صلحت أمتي فلها يوم وإن لم تصلح فلها نصف يوم)<sup>٦٥</sup>، كما كان من أمر أخي عيسى في أمته خلفته عليها، ويخلفني عليكم، (يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً)<sup>٦٦</sup>.

(بعثت والساعة كهاتين)<sup>٦٧</sup>، مشيراً بإصبعيه السبابة والوسطى. فها أنا والساعة إلا رجلان، ما أنا والساعة في الله إلا أمران، رفيق لرفيق، وصديق لصديق، حق لحق من حقائق الله، إني والساعة ساعتان، والساعة وإياي رسولان والله كلمتان، إني وإياها في الله أمران ها أنا ساعة فصل فيما سبق من أمر الدين، وبداية يوم لرحمة بيقين. (أمة مذنبه ورب غفور)<sup>٦٨</sup>.

فما جئت إلا رحمة للعالمين، وما تجيء الساعة يوم تجيء إلا يوم فصل فيما جئتم به من أمر الدين ورحمة بها في أمركم تنظرون. (لو لم يبق في عمر الزمان إلا يوم لمد الله في عمر ذلك اليوم حتى يخرج رجلا من أهل بيتي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا) ٦٩.

فتنبهوا لما أقول، (فما تركت أمرا يقربكم إلى الله إلا وأمرتكم به وما تركت أمرا يبعدكم عن الله إلا ونهيتكم عنه) ٧٠، فاتقوا الله، و(ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) ٧١، وقد (خلقتكم للأبد وإنما تنتقلون من دار إلى دار) ٧٢، (أنتم في زمان إن تركتم عشر ما أمرتكم به لهلكم ويأتي على أمتي زمان من عمل بعشر ما أمرتكم به لنجا) ٧٣.

اعملوا لآخرتكم، بما تملكون من دنياكم، واعلموا أن دنياكم لها نشأتها، ولها بعثها، ولها قيامتها، وأن الذي هو في ظاهر الحياة لكم، إنما هو بعينه في باطن الحياة لعوالمها لا تدركونه ولا تعلمونه، إلا يوم تدركون ظاهر الحياة تقومونه، أو تدخلون باطنها فيصير ظاهرا تعلمونه ما زال له باطن تنشدونه، لو أنكم في الناموس تُقدرونه وتقومونه، فـ (الظاهر مرآة الباطن) ٧٤ دائما وأبدا، على ما كان الأمر في معارج الحياة أزلا.

ففي الحياة مما تجهلون أو قد تعلمون، عوالم لا حصر ولا حد لها، لها دُناها، ولها أُخرياتُها، ولها قياماتها، ولها بعثها وبعوثها، ولها ساعاتها وساعاتها، ولها حشرها ونشرها، كما هو لكم في عالمكم، يوم تدركون أمر عالمكم على مراد الله بكم، ومراد الله لكم بمولدكم الفطري فيه، عالم له كفايته لكأله لبداياته لحقه في معارج حقائقه. جُعِلَت الاستقامة فيه في إيمان الفرد بوحدة الكل فيه. وجُعِلَت الآخرة له في إيمان الكل بالفرد الذي سبق بالإيمان بالكل مداولةً للأيام بين الناس. كلهم فرد وفردهم كل، (الدنيا عرض حاضر، يأكل منه البر والفاجر، والآخرة وعد صادق، فيها ملك عادل يفرق بين الحق والباطل) ٧٥، فمن عرف مدخله على الحق برسوله فدَخل، فقد زحزح عن النار، وأدخل الجنة، وعجلت له الآخرة. {يا أيها النفس المطمئنة.. ادخلي في عبادي وادخلي جنتي} ٧٦.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

اللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلوبنا على الإيمان بك، اللهم اجعل من قلوبنا أرض حياة، ودار حقيقة. اللهم أنزل على أرض قلوبنا ماء الحياة، حتى تهتز أراضينا نفوسنا رغباً ورهباً بالحياة وتربو بها فتقطع أرضها، وتُسِير جبالها، وترفع سمواتها، ويتصل أحيائها بموتاتها، متحدثين متعاملين بالحياة وروح الحياة وسر الحياة، عليها مجتمعين، ولها موحدين وبها متوحيدين.

اللهم يا نور السماوات والأرض بالإنسان لك، اجعل لنا نورا نمشي به في إنسان وجودنا، إنسانا للسماوات والأرض، على ما هديت وأعلمت وعلمت وبشرت ووعدت.

اللهم اجعل لنا خلف رسولك إليك، حاضرا ولانهايا وغيبا مكانا، وعنوانا، وإنسانا وحقا.

اللهم وقد جعلت منا عوالم لك، في نشأتنا بك، على أرض حضرتك لأقدام إنسانيتك، اللهم أحيي عوالمنا بنورك، امتدادا من حقتك ورسولك. اللهم اجعلنا في شجرته ثمارا ناضجة صالحة لا تسقط في غير أوانها ولا تقوم في غير عنوانها، ولا تجعلنا فيها أوراقا يابسة متساقطة.

اللهم اجعلنا في شجرته، فروعا وغصونا، وجذورا.

اللهم إنا عرفنا أن إنسانية الأرض، إنما هي شجرة من أشجار في جنة وجودك جعلتها علما لطلعتك وشهودك.

اللهم اجعل منا نواة صالحة، لشجرة طيبة، بكلمة لك طيبة، في أرض عوالمنا، لنا منا توجداً، ولنا لها تشهد، بشعارك لا إله إلا الله، لشعارنا الله أكبر، لقائنا بمحمد رسول الله، ظلالة له، وحقائق لك.

اللهم اجعل منا لحقتك به، له وارف ظلالة، وأقنا به في حالٍ لخير الأحوال، وردنا إليه حالا ومآلا، واجعلنا منه له، بحقه لك، للناس طريقا وقدوة ومثالا.

اللهم إنا شهدنا أنه لا إله إلا الله.

اللهم بها وبحقها، وبرحمتك بها، أشهدنا محمدا رسول الله لأنفسنا، في حاضر وقابل.

اللهم به فارحمنا، وبه فتولنا، حكاما ومحكومين، غافلين ويقظين، قيمة ومقامين، مجتهدين ومتابعين، أئمة وسالكين.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

### مصادر التوثيق والتحقيق

- |   |                                                                              |
|---|------------------------------------------------------------------------------|
| ١ | سورة الأنفال - ٣٣                                                            |
| ٢ | سورة البينة - ٥                                                              |
| ٣ | سورة الحجرات - ٧                                                             |
| ٤ | استلهاما من {الذي يراك حين تقوم. وتقلبك في الساجدين} سورة الشعراء - ٢١٨، ٢١٩ |

- ٥ إشارة إلى حديثين شريفيين: "إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض". أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده. و"إني تارك فيكم ما إن استمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما". جاء في سنن الترمذي.
- ٦ أنظر الملاحظة السابقة.
- ٧ أنظر الملاحظة قبل السابقة.
- ٨ حديث شريف: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل". أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.
- ٩ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُّ عليه ضيعته، ويحوطُه من ورائه". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني
- ١٠ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ أخيه، المؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُّ عليه ضيعته ويحوطُه من ورائه". أخرجه أبو داود والبخاري.
- ١١ سورة الأنفال - ٣٣
- ١٢ سورة الأنعام - ١١٢
- ١٣ سورة الذاريات - ٢١
- ١٤ سورة يوسف - ١٠٨
- ١٥ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١٦ إشارة إلى معنى جاء في أحاديث شريفة متعددة: "إن عليا مني وأنا منه". رواه الترمذي والنسائي في السنن الكبرى. و"حسين مني وأنا منه". أخرجه الترمذي وابن ماجه، وأحمد باختلاف يسير. أيضا: في حق جليبيب لما استشهد بعد قتله سبعة من المشركين، فقال صلى الله عليه وسلم: هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه. رواه مسلم.
- ١٧ سورة يونس - ٣٦
- ١٨ مقولة للشيخ محيي الدين بن عربي في الفتوحات المكية: فإن نظرت إلى الآلات طال بنا \*\*\* إسناد عننة حتى إلى الذات.
- ١٩ سورة الإسراء - ١١٠
- ٢٠ سورة مريم - ٦٥
- ٢١ سورة الأنعام - ٩١
- ٢٢ سورة طه - ٥٠
- ٢٣ سورة البقرة - ١١٥
- ٢٤ سورة النجم - ٣٩
- ٢٥ سورة البقرة - ٢٥٥
- ٢٦ سورة الكافرون - ٣:١

- ٢٧ سورة الكافرون - ٦
- ٢٨ سورة النور - ٣٦
- ٢٩ سورة النور - ٣٧
- ٣٠ سورة الفرقان - ٧٥
- ٣١ من حديث شريف: "إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأَفْقِ، مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ، لَتَفَاضِلُ مَا بَيْنَهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ". صحيح البخاري، وأخرجه مسلم باختلاف يسير.
- ٣٢ في إشارة للحديث الشريف "إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ كَبُوءًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: أَذْهَبَ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ: أَذْهَبَ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ: أَذْهَبَ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا". أخرجه البخاري ومسلم.
- ٣٣ سورة القيامة - ٣٦-٣٧
- ٣٤ سورة غافر - ٥٧
- ٣٥ سورة القصص - ٧٧
- ٣٦ سورة القصص - ٧٧
- ٣٧ سورة الحجرات - ١٧
- ٣٨ عن علي ابن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن سنته فقال: المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر رداي، والرضا غنيمتي، والعجز فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حيي، والجهد خلقي، وقرة عيني في الصلاة. ذكره الغزالي في الإحياء، والقاضي عياض في كتاب "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى"، ومعظم المتصوفة.
- ٣٩ عبارة للسيد رافع يمكن فهم معناها ومغزاها من السياق.
- ٤٠ حديث شريف: "اطْلُبُوا الْعِلْمَ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ" المحدث ابن باز. يُصَنَّفُ بِأَنَّهُ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ، وَلَكِنَّهُ يُوَافِقُ الْحَدِيثَ الشَّرِيفَ: "طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ". أخرجه ابن ماجه، والبخاري، وأبو يعلي.
- ٤١ حديث شريف: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنْ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرٍ عَلَى أَسْوَدٍ وَلَا لِأَسْوَدٍ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى". أخرجه أحمد بن حنبل
- ٤٢ مقولة شائعة توافق الحديث الشريف: "طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ". أخرجه ابن ماجه، والبخاري، وأبو يعلي.
- ٤٣ مقولة مفهومة بذاتها، وتوافق مقولة للشيخ محيي الدين ابن عربي "وما من شيء في الدنيا يكلل إلا وجاءه التقصان ليكون الكمال الذي يراود به وجه الله".

- ٤٤ حديث شريف: "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى". أخرجه أحمد بن حنبل
- ٤٥ عبارة للسيد رافع يمكن فهم معناها ومغزاها من السياق.
- ٤٦ من حديث شريف: "رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، ذِي طَمَرَيْنِ، تَنَبَّوْا عَنْهُ أَعْيُنُ النَّاسِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ". أخرجه الطبراني في ((المعجم الأوسط)) بلفظه، وأصله في صحيح البخاري ومسلم بنحوه.
- ٤٧ من حديث شريف: "خلق الله الخلق فاختر من الخلق بني آدم، واختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشا، واختار من قريش بني هاشم، واختارني من بني هاشم، فأنا خيار من خيار إلى خيار، فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم". رواه الطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم. كما جاء بصيغ مشابهة في مصادر أخرى.
- ٤٨ سورة البقرة - ٣٥
- ٤٩ سورة البقرة - ٣٥
- ٥٠ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع.
- ٥١ سورة الأنعام - ١١٥
- ٥٢ حديث شريف: "ما من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا، إلا أن الله أعانني عليه، فأسلم، فليس يأمرني إلا بخير". أخرجه مسلم وأحمد. أيضا: "فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعانني عليه فأسلم". صحيح الترمذي.
- ٥٣ "أبا تراب" اسم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي به الإمام علي، والذي كان يفرح به إذا دعاه به رسول الله. صحيح البخاري.
- ٥٤ حديث شريف، يوم غدیر خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صلى الله عليه وسلم، بيد علي رضي الله عنه، فقال أَلَسْتُ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا بَلَى قَالَ أَلَسْتُ أَوَّلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ قَالُوا بَلَى قَالَ فَهَذَا وَلِيُّ مَنْ أَنَا مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ اللَّهُمَّ عَادِ مِنْ عَادَاهُ. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.
- ٥٥ حديث شريف: "أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأتني من بابي". المحدث: السيوطي. المصدر: الجامع الصغير، أخرجه الطبراني، وابن عدي، والحاكم.
- ٥٦ حديث شريف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس بعدي نبي. أخرجه النسائي.
- ٥٧ حديث شريف يعتبره المحدثون أنه لا أصل له. لكن معناه صحيح ويوافق الحديث الشريف "إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر". أخرجه أبو داود واللفظ له، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد. والحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها". أخرجه أبو داود والحاكم.
- ٥٨ حديث شريف، يوم غدیر خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صلى الله عليه وسلم، بيد علي رضي الله عنه، فقال أَلَسْتُ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا بَلَى قَالَ أَلَسْتُ أَوَّلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ قَالُوا بَلَى قَالَ فَهَذَا وَلِيُّ مَنْ أَنَا مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ اللَّهُمَّ عَادِ مِنْ عَادَاهُ. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.

- ٥٩ حديث شريف: "أنا مدينة العلم، وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأتها من بابها". المحدث: السيوطي. المصدر: الجامع الصغير، أخرجه الطبراني، وابن عدي، والحاكم.
- ٦٠ حديث شريف. أخرجه الترمذي في صحيحه، والدارمي
- ٦١ استلهاما من سورة آل عمران - ٦٤ {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}.
- ٦٢ من الحديث الشريف: "إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْخَنَ بَحْجَتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَلَا يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ." أخرجه البخاري ومسلم.
- ٦٣ ذكره بعض الفقهاء ومنهم الإمام الشافعي كحديث شريف، وهو يوافق الحديث الشريف "إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس" - أخرجه مسلم. لكن اللفظ "نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر" يقول المحدثون إنه لم يثبت أنه من قول الرسول صلى الله عليه وسلم، وإن كان كلاما صحيحا.
- ٦٤ من الحديث الشريف: "فَإِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَاتَنْتَظِرِ السَّاعَةَ، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: إِذَا وُسِدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَاتَنْتَظِرِ السَّاعَةَ". صحيح البخاري
- ٦٥ حديث شريف ذات صلة: "إِنِّي لَا أَرْجُو إِلَّا تَعَجَزَ أَمَّتِي عِنْدَ رَبِّهَا أَنْ يُؤَخَّرَ هُمْ نِصْفَ يَوْمٍ. قِيلَ لِسَعْدٍ: وَمَنْ نِصْفُ ذَلِكَ الْيَوْمِ؟ قَالَ: خَمْسُمِائَةِ سَنَةٍ". صحيح أبي داود.
- ٦٦ من حديث شريف: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا...." أخرجه البخاري ومسلم.
- ٦٧ حديث شريف: "بعثت أنا والساعة كهاتين"، (وفرق بين إصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام) صحيح البخاري، ورواه أحمد ومسلم والترمذي.
- ٦٨ حديث شريف: "دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِي عَارِضَتِي الْجَنَّةِ مَكْتُوبًا ثَلَاثَةً أُسْطُرٌ بِالذَّهَبِ - لَا بِمَاءِ الذَّهَبِ: السَّطْرُ الْأَوَّلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. وَالسَّطْرُ الثَّانِي: مَا قَدَّمْنَا وَجَدْنَا، وَمَا أَكَلْنَا رَحِجْنَا، وَمَا خَلَفْنَا خَسِرْنَا. وَالسَّطْرُ الثَّالِثُ: أُمَّةٌ مَذْنِبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ". المحدث: الألباني. المصدر: السلسلة الضعيفة، وضعيف الجامع.
- ٦٩ حديث شريف رواه الإمام علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه، أخرجه أبو داود، وأحمد باختلاف يسير. وجاء بلفظ "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني - أو من أهل بيتي - يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً." أخرجه أبو داود، والترمذي مختصراً.
- ٧٠ حديث شريف: "إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُقَرَّبُكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرَّبُكُمْ إِلَى النَّارِ إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، إِنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ نَفَثَ فِي رَوْعِي: أَنْ نَفْسًا لَا تَمُوتُ حَتَّى تَسْتَكِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُدْرِكُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ." أخرجه الحاكم والبيهقي.
- ٧١ من حديث شريف: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) رواه أبو داود، والترمذي.

- ٧٢ مقولة للخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز. أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في كتابه حلية الأولياء وطبقات الأصفياء
- ٧٣ حديث شريف: "إنكم في زمان من ترك منكم عشر ما أمر به هلك، ثم يأتي زمان من عمل منكم بعشر ما أمر به نجا." صحيح الترمذي
- ٧٤ من مقولة من خطبة للإمام عليّ - كرم الله وجهه -: "...أعلم أنّ لكلّ ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه..." بحار الأنوار. المكتبة الشيعية.
- ٧٥ حديث شريف: "يا أيها الناس! إنّ الدنيا عرضٌ حاضرٌ، يأكل منها البرّ والفاجرُ، وإنّ الآخرةَ وعدٌ صادقٌ، يحكم فيها ملكٌ عادلٌ قادرٌ، يحقّ فيها الحقّ، ويبطلُ الباطلُ، كونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإنّ كلّ أمٍّ يتبعها ولدُها". أخرجه الطبراني، وابن عدي، وأبو نعيم جميعاً بلفظه، والبيهقي مختصراً.
- ٧٦ سورة الفجر - ٣٠، ٢٧.



(٧)

## الحق المتواجد للحق الموجود الحق العابد للحق المعبود في واجب الوجود لوجودنا

حديث الجمعة

٢٤ شعبان ١٣٨٥ هـ - ١٧ ديسمبر ١٩٦٥ م

الحمد لله

الحمد لله

الحمد لله الذي هدانا، لما هدانا إليه، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

نسأله، متوسلين إليه برسوله، أن يزيدنا هدى، ولأقرب من هذا رشدا.

نسأله برسوله، أن يتم لنا منه نورنا، وأن يضاعف لنا رحمة منه من نوره، وأن يتم لنا به رشادنا، وأن يضاعف لنا بفضل من الرشد عنه، وأن يجعل جزاءه وعطاءه لنا رحمة خالصة، لا ابتلاء فيهما، ولا توقف لهما حقا غير مشوب، وفضلا غير مجذوذ.

ونسأله بجاه رسوله عنده أن يجعل افتقارنا إليه، افتقارا متصلا لا ينقطع أبدا، مهما أغنانا من نعمته، أو وفر لنا من حقيقته.

نسأله بحق رسوله أن يجعلنا في حقيقة رسوله، ظلالة له، وقياما فيه، ووجوها عاملة منه، ناصبة، مدانية، عنه راضية، ولعله مواصلة، وفي ركه دائمة دائبة، وفي كثره كوثرا به متزايدة متعاقبة، متكاثرة مرتقية متصاعدة.

اللهم ألحقنا بركبه إمام الركب إليك وإماما لنا، إلى لانهائي طلبه، لمعبوده، في موجوده، لعين طلبنا، لوجودنا لمعبودنا، لا شريك له، قيام قائم رسوله إلينا وإمامنا إليه.

الحمد لله الذي هدانا إلى الإيمان، بالإسلام لرسوله معنا، عبد الله، وحق الله، ونبي الله، وروح قيامنا، وحياة معانينا، وقائم قيامنا، ظاهر وباطن موجودنا، به آما بالله لا شريك له منا، ولا وجود لنا مع موجوده بنا، نشهده، في مرايانا لنا، مؤمنين بالله ورسوله معنا، في حقيقة رسوله بنا لجماعنا، فكنا به حقا وخلقنا لله ورسوله.

عرفناه الحياة، وعرفنا الحياة هي الحياة، وعرفناه الناس، وعرفنا الناس هم الناس، به عرفنا دورة الحياة في الناس، وأدركنا أمرنا بدورة الناس في الحياة.

فعرفنا بين الحياة والزوال.. وعرفنا بين الحقيقة والخيال.. وعرفنا بين القدس والمثال.. عرفنا بين الجوهر والخبر.. عرفنا بين الوجود والعدم.. فأما بواجب الوجود لنا، حقا لزائل وجودنا، هو غيبنا، نحن له الوجوه، وغيب علينا، نحن له المعالم والعوالم وهو معلنا، علام الغيوب لنا.

آما بالحق ظاهرا بيننا، هو فينا رسولا نلقاه في أنفسنا، لا نفرق بين غيب الحق لعقائدنا، ومشهود الحق لتواجدنا. عرفنا الحق المتواجد بنا، مع الحق الموجود لشهودنا، للحق الموجد لعقائدنا، في الحق المعبود عندنا، لواجب الوجود لوجودنا.

بالحق لنا، في بواطننا، بمشهوده وموجوده، لعقولنا وقلوبنا، بالمشهود والموجود، لا فرق بينهما، تحيا هياكلنا لحق معانينا، بتواجدنا بهما في حاضرننا، لقادمننا وقديمنا.

بالرسول حقا لنا كانت الحقائق، لعقيدتنا، حقا متصلا، بقيامنا، في قائمتنا، ناميا بنا لقادمننا فقادمنا، أزواجا لوجودنا وتواجدنا، طلبا لمعانينا، وإحياء لماضيها، عوالم الله بوجدنا، وأسماء الله بمعانينا، (مؤمن مرآة مؤمن)<sup>١</sup>. مؤمن في قيامه، مرآة مؤمن لشهوده، مرآة مؤمن لواجب وجوده، إلى مؤمن بلانهايته لمعبوده.

فكنا، وقد اتخذنا مع الرسول سبيلا، حقية العبد، لحقية الرسول، لحق مرسله، في حقيقة الوجود، تقدس الوجود عندنا، يوم تقدس بالوصلة، قائمتنا.

عرفنا حقا مرسلنا إليه، خاطبه الحق الرسول لشهوده، جاءه من الحق الموجود لمعنى معبوده، في الحق المطلق اللانهائي لمعنى الوجود بعليته على الموجد المنشود.

فسبحا في الوجود، في دار عرضها السماوات والأرض، نخرج منها، عتقاء التقييد ونجدها لنا فينا في فضاء التفريد، ثم نعود إليها حقا بالأمر الجديد طالبين لأنفسنا المزيد من التوحيد، لنعرف عند معرفتنا، لعارفنا منا، بحقنا أوجدناه وبوجودنا آخيناه، مثلنا ومثلناه لئلا في مبناه ومعناه، فنعرف عن اللانهائي، بلانهائي تواجدتنا لنا به.

إذا عرفنا ذلك للحياة في الناس وللناس في الحياة عرفنا وأدركنا، عبارات البلاغ، وما فيها من الحكمة، والله {خلقك من قبل ولم تك شيئاً}²، فعرفنا أن خلق الله لما يخلق، إنما هو خلقه لما قبل الأشياء من حقائقه، وأن من خلق، ما خلق من الأشياء إنما هم حقائقه من الإنسان هو من خلق وفعل اللانهائي. أما الناس فإنما هم من صنع إنسانية الحق للتعبير عنها لها عندها.

من ذلك يتكشف لنا ما أراد هادينا في بلاغه بحكمته من قوله {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى}³، {وأن سعيه سوف يرى}⁴، {ثم يُجزّاه الجزاء الأوفى}⁵، وعرفنا مراده في قوله، {فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره}⁶.

{أيحسب الإنسان أن يترك سدى}⁷، فمن لانهائية الناس بإنسانية الخلق لإنسانية الحق، لا يتوقف لها بهم جديد، ومنها فيها بها لها مزيد، مظهرها لإنسانية الله بصفاتها لها من الجديد والمزيد، تعالى الله عنده، كما تدانى الحق منه، وتنزه اللانهائي عن قيود الوجود، كما تنزه عن الإحاطة به في الشهود. فما عرّف مُعرّف عن الله، حكيمًا، أو نبيا مبلغًا، أو نبيا معلما، أو نبيا مصلحا، إلا تعريفا عن واجب وجوده، بإنسانية الحق، مضافة إلى اللانهائي.

فيوم يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم بسلوكهم للطريق يتكشف لهم حالهم، {كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً}⁸. (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)⁹. يومئذ يعرف أن نفسه، يوم خلقها خالقها، خلقها نفسها له، نخلقت شيئاً لها، فكان شيئاً من فعلها، ظاهر أنها، لباطن معناها، اسماً للانهائي. بذلك ندرك ناموس الفطرة، في حديث الصدق، في قوله {ووجد الله عنده فوفاه حسابه}¹⁰ وإدراك الشيء لأمره بنفسه في قوله {تلك إذن كرة خاسرة}¹¹...

عزلت النفس عن حقها، فعرفت يومئذ منسوبة إلى مبدعها، بخيرها وشرها، عرفت أن الذي أنشأها، هو الذي أنشأ بها، عرفت ما جهلت من أن ما فعلت وما أنشأت إنما يرد إلى مبدعها، وأنه ما كان لها أن تنسبه لنفسها بطغيانها بعزلتها، وأن الاستقامة لها خسرتها، كانت في أن تقوم بقيامها وفعلها ناسبة نفسها ووجودها وما صنعت، إلى الأعلى الذي أبدعها، متأملة في حكمته بها ولو أنها فعلت لكنت حسناتها مقبولة وسيئاتها مغفورة، وما سلط عليها عملها.

لو دخل هذا في إدراكنا لعرفنا حكمته في قوله، {أعطى كل شيء خلقه ثم هدى}¹²، فسبحنا العظيم، الذي أخرج المرعى، وجعله غثاء أحوى، جعله حاوياً للحياة لبدئها في أطوارها، ولسر النشأة، في معارجها، لقيام شيئاً، مظهرها لمبدعها، حقاً لمن أبدعه، من الأعلى، فالأعلى، فعرفناه بما هدى بقوله إن

{سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى} ١٣ وعرفنا حكمة رسول الله بقوله (كان الله ولا شيء معه، ثم خلق الخلق، وهو الآن على ما عليه كان) ١٤.

الأعلى الذي خلقك من قبل ولم تك شيئا، كنت اسم ربك العظيم واجب الوجود لوجودك لشيئك لا شريك له منك وقد سوى الأعلى، بين العظيم والأدنى لمعنى ظهوره بأناه من ورائهما بإحاطته فهو على ما عليه كان فهو ما زال، بعد الذي أوجد لمعناه بالأدنى، على ما كان في أمره بالأعلى حتى يعرف العظيم، لقاء مع الأعلى في نفسه، وحتى يعرف الأدنى عظمة العطاء بالعظيم يلقاه في نفسه، كرما من الأعلى، الذي خلق فسوى عليهما قائم فقدّر العظيم العظمة لنفسه في نفسه، عظمة مبدعه، ورآها ضالة في عظمة الأعلى في الله ذي المعارج فقدّر الله حق قدره، وآمن به الله اللانهائي على ما يليق بالإيمان بالله.

عرفه اسم الله له في الحق واسعا لا يحاط به، وقريبا لا يشارك بوجود، وغفورا لا يدين، ورحيما لا يؤاخذ، وعزيزا لا يبطش، ومحكما لا يخطئ، وإرادة لا تغلب، وحقا لا يتعدد لأسمائه ووجوهه فأمن الأدنى بالأعلى ورسوله بحقه في عظمته لخيره وكسبه وأمره.

فدخل المؤمن بالرسول وربّه في حصنه، بشعار رسالته شعارا له في لا إله إلا الله، بها آمنا، وبها تواجدنا فوجدنا وشعارها قنا، والله أكبر علمنا وعلمنا، ورسول الله حقا قائما وقياما دائما ما بجدنا، وحق الله برسوله فينا، ما غيبنا، وحق الله لنا وعلينا ما أنكرنا.

فبالله للرسول جنودا قنا، وبالرسول لله عبادا تواجدنا، فحقائق من الله لله في الله بعثنا، وللغيب رجالا نسبنا وظاهر حق للناس شهدنا، فلوجودنا كرنا، ولسابق لوجودنا بالأسبق بعثنا وحققنا فبالحق تكاثرتنا، وحقائق تعارفنا وتلاقينا.

عرفنا، باسم الله للإنسان كيف تتكاثر فتكاثرنا، فكوثرنا بالخلق تواجدنا، ووحدانية بالحق قنا، وأقنا، وعلمنا وعلمنا وبها هُدينا فهدينا، فكنا أمة وسطا على ما كرمنا، وبالرسول حققنا، فأمرنا وسطا قنا، بالأمر الوسط عرفنا، وللأمر الوسط انتسبنا وإليه أضفنا، وأنفسنا إليه نسبنا وأضفنا وبه عرفنا وعرفنا، وعليه اجتمعنا فعليه جُمعنا إنسان الله عرفنا وعرفنا وقنا وأقنا.

عرفنا أن خير الأمور الوسط فتعارفنا إلى الحياة، فبالحياة قنا وشرفنا، فع الحياة، أزلية، سرمدية، أبدية، قائمة، غادية، آتية، رائحة، في دورتها في الوجود درنا وسرنا وتطورنا ولأطوارنا عرفنا، ولها جددنا وكرنا وعددنا ومعها سرنا ولها تابعنا، ومنها استكثرتنا، ففراغ الوجود بالأحياء ملأنا وبالحياة فيه قنا فكنا المسلمين لله ورسوله، والمؤمنين بالله ورسوله، والروحانيين لله ورسوله.

إنسانية الرشاد بها شرفنا، وإنسانية الرشاد لا بدء لها عرفنا، ولها انتسبنا كوثر وجود لعين وجودها أبدا نتواجدنا كرما وجودا منها فبالحق نجدنا، وباسم الله نتواجدنا في متابعة الرسول بخلقه تخلّقنا، وبأخلاقه تعاملنا، ووجودا له في الوجود لموجودنا أشرقنا، بموجوده لنا آمنا، وعرفنا، وبه فعلنا، علمناه على ما علمنا، ومنه تعلمنا.

فبالله لنا آمنا وبرسوله روحا مرشدا قننا، فكنا المسلمين، كما وصفنا الأعلى وكرمنا، وكنا المؤمنين، كما هدانا وعلمنا، وكنا المقربين، على ما قاربنا فتواجدنا، وكنا المتحققين، بما توحدنا بيننا، فبه وحدنا، وآحادا له أقامنا وتجددنا.

فعرفنا الحياة، هي الحياة، أزلا وأبدا وقياما وسرمدا، وعرفنا الناس، هم الناس، أزلا في أزل الحياة، وقياما وسرمدا، في قائم الحياة، ودائما وأبدا، في أبد الحياة.

فكنا كُتب الله، متحدّين، ونصب الله بحق هياكلنا قائمين، وبيوت الله يذكر فيها اسمه، نحن بأسمائه مذكّرين، للناس إليه فيها داعين، بها عاملين، أنفسنا باخعين، ونفوسنا مع الطالبين صابرين، ممن يدعون ربهم بالغداة والعشي، لوجهه طالبين، حتى يكونوا وجوها له، ناضرة بنوره قائمين، لوجهه بالحق مشرقة ناظرين، لمنظورهم بوجودهم في إيمانهم بهم، ظلّالا لهم، مجددين، فلعملهم عملا لهم بالحق منظورين.

هكذا دائما يكونون، وهكذا أبدا يتواجدون هؤلاء هم الراشدون، الرسول لهم هم به السعداء المؤمنون، وهم به، الوجود المشرقة للحق يتجلون، لوجهه تطلب الحق بالافتقار إليه، ساعين متقين مجاهدين، طلبا لرب العالمين، قياما في الدين، وسعيا لليقين.

بهذا جاءنا هذا الدين، فهل فقهنه بوصف المسلمين؟ هل عبدنا أنفسنا لمعبودنا، لوصف العابدين؟ هل ذكرنا الله لنا فينا، وهو الذي يأمرنا الاستقامة فينا أولا، لنكون من المستقيمين؟ وهو يقول لأول العابدين قدوة لنا، نحن معه عباد متابعون، وقد أمر أن {فاستقم كما أمرت} <sup>١٥</sup>، فقال لنا وقام بيننا قدوة به، أن (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول) <sup>١٦</sup> ونحن في متابعته، لا استقامة لنا ما لم نطمع أن نقوم في بصيرة بنا على ما قام في بصيرة فيه مع من حقق الله له ذلك، من كلمات الله من الروح ومن الناس لإنسان الله وقد أذن له أن يقول بشري لنا، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة، أنا ومن اتبعني} <sup>١٧</sup>، (أنا روح القدس) <sup>١٨</sup>، فعرفنا ثم شجعنا على العمل له بقوله، (ما أعطيته فلا تميتي) <sup>١٩</sup> {فاتبعوني يحببكم الله} <sup>٢٠</sup> و(لكم من الله ما لي) <sup>٢١</sup>.

فهل نحن من المتابعين، أو متابعي المتابعين، كما تلوك ألسنتنا في كل وقت وحين، وكما نرددها غير واعين، فلا نحن من غيب مُتَلَقِّين، ولا نحن لمسموع جاءنا مُصَدِّقِينَ، ولا نحن لنور الله إلينا أنزل معه

رحمة دائمة مستقبلين، وقلوبنا للحق مُعبدين؟ هل تفتحت قلوبنا لنور رب العالمين، جاءنا بالرسول الأمين، وقام بيننا في كل وقت وحين، مجددا نفسه بيننا بالعارفين، للعارفين، من الطالبين المفتقرين؟ هل فعلنا ولم تشرق قلوبنا بالحق وباليقين!؟

{يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله} ٢٢ فهل كنا حقيقة فقراء لله مفتقرين، أم خدعنا أنفسنا، بما أصبح لنا، في موجودنا، من قدرته، نحن له معطلون؟ شغلنا الدنيا عن الدين، فجفونا الحياة واخترنا المنون، ونحن لموقوت الزوال متعشقون، ومن الموت في هلع جزعون، فلا أبصارنا لبصائرنا تفتحت على الثمين، فأشرق لنا وجه ربنا أينما كنا مولين، في أي حال وفي كل وقت وحين.

فهل ببصائرنا لأبصارنا شهدناه؟ هل جماله من حولنا بالوجود عرفناه وقد انعكس لنا فينا به فسعدناه وجودا لوجوده قناه، فكنا في جنة معنا لدار مبنانا لاسم معناه وذات مبناه جنى الجنتين دان قطوفها دانية للعيان لأهل نار مبرزة لساكنيها، لها هم الغاؤون، فمن زحزح منهم عن النار وأدخل الجنة فأولئك هم الفائزون.

جنة لم تخرج منها أرضنا لمن كان للجنان يعبد، ولم تخرج منها سمواتنا لمن كان إليها يطلب الانطلاق ويقصد، ولكن جنة الموحدين إنما هي جنة وجود، هي للمتقين، في أنفسهم يوم هم بالحق يتواجدون ولها بالحق يشهدون، يوم هم العتقى المخلصين، يوم يتحررون من أنفسهم أشباحا هي عوالم لها يملكون ولها يشهدون، الذين لم يقبلوا لأنانيتهم السجن ولو كان دارا عرضها السماوات والأراضين، الذين تخلصوا من سجن ذواتهم من طبيعة النار والطين، لكتب البهتان بالطغيان للطاغين عرفوهم لله في طورهم ما كانوا إلا قائمين في منهج "جهنم" "ج ه ن م" للإدراك والوعي والمعرفة واليقين فبالحق لهم أدركوا ووعوا وعرفوا موقنين.

فلم يضجروا بنار ربهم، فيها يتعلمون، فما ران على قلوبهم ما يكسبون، حتمية التكوين لما يملكون من ذوات من النار والطين فكانت الدنيا بردا وسلاما على المؤمنين، وكذلك لم تبهرهم جنته للناس، فيها يتجولون وبها لساحة الحق يستجلبون وهم له الطالبين.

فتحرروا منها كما تحرروا من الدنيا إلى الدين في سعي إلى وجود الواسع العليم، طلبا للعزیز الحكيم بمن عرفوا من الحق المبين، فكانوا به فوق السماوات كراما كاتبين، لكتبهم بإيمانهم آخذين، ولقرآن أيمانهم في الناس ناشرين، وبالنور سارين وللحكمة بالمقال مرددين، مبينين مفصلين بدائم الهدى مبلغين، {قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر، قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا} ٢٣.

قدروا ذلك من قبل للبلاغ بالبشرى مصدقين وعملوا له جادين فتحقق ذلك لهم موقنين، فكان حديثهم حديث رب العالمين حديثا قدسيا للمؤمنين الجادين، حديثا فعلا متفاعلا في قلوب الصادقين، ينفذ إلى القلوب، من أسوار القوالب بها ناسكين، بقلوبهم بالأعلى موصولين، له ساجدين فيعرفوهم لأنفسهم في أسوارهم من روح الله متواجدين، وأنهم بروح الله قائمين، وأنهم لهما كل الله بعوالم ذواتهم مطهرين، لها بجديد مطورين ومنشئين وبها لمشهودهم من الوجود معددين، وليوت الله مقيمين بها رافعين، وعنها خافضين، وباسم الله مدانين، وبعظمة الله مترفعين، وبحكمة الله عن اللغو معرضين.

هم بالله أسماء له على عروش هياكلهم مستوين، (الملك من ملك نفسه) <sup>٢٤</sup>، لأنفسهم محققين، ولعقلهم محررين، ولقلوبهم مجددين ومنشئين ومصلحين ومطورين. عرفوا أنفسهم عوالم الله، فعرفوا رب العالمين. عرفوه لقائم الحق المبين، مشهود حقائقهم، حقائق متلاقين، في حق أكبر مجتمعين، للحقيقة الكبرى ساعين، فيعرفوهم حقا، للرسول حقا، لربه حقا، في واجب الوجود حقا، هم له أسماء، وهم باسمه حقائق، على مسماهم لعوالمهم أرباب، وهم بوجودهم، في قائمهم، لأكبر لتواجدهم يعملون، لا يفترون، وجود لوجود، وحق لحق، واسم لاسم، يشهدون، وبالحق يتشهدون، وعليه يتلاقون، وبه يجتمعون في أحده لهم آحادا يقومون.

عرفوا أسماء الله، لا بدء لها، بالإنسان لمسماه بالوجود، لا يحاط بمطلقه، وإن عرف عنه منه العنوان بالسموات والأرض، دارا للإنسان، هي لكل إنسان ما كان الإنسان. عرفوا الإنسان على الغيب العنوان، وعرفوا الغيب، عين الموجود للعيان، بحق وجوده، عنوانا لعنوان، ويطول بنا إسناد عنعنة حتى إلى ذات لا يشاركها عنوان، ولا يقوم معها إنسان لإنسان، لمعنى اللانهائي المطلق للإيمان.

هذا هو دين الفطرة على ما قامه الرسول دينا لأرضنا وسمواتنا وعلى ما قامته عترة الرسول فطرة لنا قياما به بيننا، وعلى ما تجدد الحق به لنا بأهل بيته عندنا.

وهو ما قامه الرسول جديدا لقديمه، وأصلا لقادمه، من الإنسان، إنسانا، كوثرًا بإنسان، حتى يكون على الحق العنوان كشفا لناموس الحياة، حتى يزهر ويزول الباطل والبهتان، وحتى تتجدد بدينه جميع الأديان، وحتى يظهره الأعلى على الدين كله للعيان، بالأرواح المرشدة في الميدان، لطالبي الدين، من أهل الكتاب ومعددي العنوان.

دين الفطرة، لفاطرها، صبغة الله، لصابغها، لواجب الوجود، ما غابت فيه فطرته، وما جدت فيه صبغته، وإن تجددت ملأ لفراغ الوجود بالحياة بالإنسان إنسانيته، فجدد الإنسان بجديده موجوده فطرته،

ونشر في الفطرة صبغته، صمدية الناموس وسرمدية الحق وإلا لتعطلت صفات الحق ولتقيدت أسماؤه، ولتعطلت وقهرت قدرته، ولما أفادت منه، به فيه تجلياته لتواجهه بنشأة، بالناس.

نعم إن الناس هم الناس، الشيطان يجري منهم مجرى الدم، على ما عرّفهم عنهم، وهداهم بهم إليهم شاكرين وجاحدين، بقاءه على كل نفس بما كسبت. وقد هداهم أن يغيروا ما بأنفسهم من قائمهم بالشيطان إلى ما بهم من قائمهم بالروح للرحمن إذ جعل من النبي حقاً لهم أولى بالمؤمنين من أنفسهم، جعله رسولا منهم بحقائقهم، إليهم منه في حقيقته لهم يوم قال لهم {واعلموا أن فيكم رسول الله} ٢٥، وهداهم أن لا يفرقوا بين الله ورسوله، وأن لا يفرقوا بين الرسل معه في رسالته عاهداً إليهم هم مع رسوله بدائمهم في الناس أن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه مع من جعل كافة للناس قدوة وأسوة، للراعي والمرعي في كل دين.

فالرسول بإنسانه للناس هو لهم جديد قديمه لقديمهم في أحسن تقويم وهم منه قادم جديده، في قائم موجوده، لقادمهم به لأحسن تقويم، المؤمنون به كأعضاء الجسد الواحد يقيمون الدين ولا يتفرقون فيه، فكان رحمة للعالمين حقاً وعملاً {وإن الدين لواقع} ٢٦ {إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم} ٢٧ من ظلام الشيطان إلى نور الرحمن.

فتساءل الناس أمرهم بينهم، كيف نغير ما بأنفسنا؟ وكيف يكون الخلاص؟ وقد أبلغنا أن (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك) ٢٨، فقال لهم الرسول (ضيقوا مسالك الشيطان بالجوع والعطش) ٢٩، (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ٣٠، (إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد وإن جلاؤها لذكر الله) ٣١.

وقال لهم الكتاب اعلموا أن الرسول يوم تؤمنون به، إيماناً به لقائمه لأنفسهم بالحياة ورببه لقيومكم به فتعرفونه الحق المشاهد، للحق الواجب الوجود فإنكم تشهدون نوره في قلوبكم وعقولكم فقد أنزل الله معه نورا يمشي به في الناس لم يرفع، تشرق به أراضي القلوب بنور ربها وجعل قيامه وكتابه وهديه وحكمته، نورا أنزل معه هو نور السماوات والأرض بجديدها لأهلها، ولم يجعل رسالته كلاماً تلوكة الألسن، ولكن جعلها إنسانية حية بنوره نورا لله، (قوم أناجيلهم صدورهم) ٣٢، يظهرهم في كل مكان، وقد زويت له الأرض مسجداً وطهوراً، وينطقون بكل لسان {وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم} ٣٣، ويتواجدون في كل عصر بما يناسب أهلهم {وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث} ٣٤، فهو الرسول للجميع، وهو نور الله المنتشر برحمته في الجميع، وهو المتحدث على مكث فهو حجة الحق الدائمة على كل أمة بأهل الحق منها على أقوامهم بهم، (يدعى كل أناس بإمامهم) ٣٥.

جَعَلَ اللهُ كِتَابَهُ نُورًا لَوْجُودِهِ وَقَدْ أَوْحَى إِلَيْهِ الْأَعْلَى لَهُ الرُّوحَ الْأَمِينُ رُوحًا لَهُ لِيَكُونَ مِنَ الْأَمْرِ الْأَعْلَى إِلَى أَمْرِ اللهِ بِهِ لِقِيَامِهِ فَقَامَ أَمْرُ اللهِ عَلَى الْأَرْضِ لَا يَفَارِقُ وَنُورًا لَا يَغِيبُ، وَأَمْرٌ أَنْ يَمْشِيَ بِنُورِهِ فِي النَّاسِ، فَمَشَى فِيهِمْ بِنُورِهِ وَرُوحِهِ مِنَ الْأَعْلَى.

وَنَبِّهْنَا وَحَذَرْنَا {أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ} <sup>٣٦</sup>، و{إِنْ اللهُ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّى يَغْيُرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} <sup>٣٧</sup>، مِنْ أَمْرِ الشَّيْطَانِ بِهِمْ يَجْرِي فِيهِمْ مَجْرَى الدَّمِ، وَخَاطَبَهُمُ الرَّسُولُ عَلَى قَدَرِ إِدْرَاكِهِمْ، (أَنَا حَيٌّ فِي قَبْرِي) <sup>٣٨</sup>، وَهُمْ لَا يَنْتَفِعُونَ بِذَلِكَ، وَلَا يَتَيَبَّئُونَ لَهُ، إِلَّا يَوْمَ أَنْهُمْ يَسْلُمُونَ لِرَسُولِ اللهِ بَيْنَهُمْ دَائِمٌ قِيَامٌ بِقَائِمِيهِ، (الْزَمِ الْإِمَامَ، الزَّمِ الْجَمَاعَةَ، عِضْ وَلَوْ عَلَى جَذَعِ شَجَرَةٍ) <sup>٣٩</sup>، إِسْلَامًا لِلَّهِ، وَيُؤْمِنُونَ بِرَسُولِ اللهِ، إِيمَانًا بِاللَّهِ فَيَقُومُ رَسُولُ اللهِ فِيهِمْ مَمْتَدًا مُمْتَدًّا بِنُورِهِ، سَارِيَا بِهِ فِي هَيَاكِلِهِمْ، يَحْرُرُهُمُ اللهُ بِهِ مِنْ ظُلَامِ الشَّيْطَانِ يَجْرِي فِيهِمْ مَجْرَى الدَّمِ، لِأَمْرِ أَنْفُسِهِمْ إِلَى نُورِ قِيَامِهِ لِأَهْلِ حَضْرَتِهِ بِإِنْسَانِيَةِ الرَّشَادِ لَهُ.

فَيَقُومُونَ بِنُورِهِ سَارِيَا بِهِمْ ظِلَالًا لَهُ، وَنَصَبًا لِلَّهِ، وَلَبِيتَ اللهُ أُمَّةً وَسَطًا، دَائِمَةُ التَّجَدُّدِ وَالْقِيَامِ، بَيْنَ أُمَمٍ بِالْحَقِّ سَبَقَتْ وَأُمَمٍ لِمُوصُوفِ الْخَلْقِ تَلْحَقُ أَوْ لَحِقَتْ وَيَعْرِفُونَهُمْ مَعَهُ، لَا تَعُدُّدَ مَعَهُ، مُؤْمِنِينَ أَنَّهُ لَا تَعُدُّدَ لَهُ مَعَ مَرْسَلِهِ، وَأَنْ مَرْسَلُهُ لَا تَعُدُّدَ لَهُ مَعَ الْأَعْلَى، فَالْأَعْلَى، فَلَا تَعُدُّدَ فِي اللهِ، الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الْفَرْدُ الصَّمَدُ، الْأَزَلِيُّ الْأَبَدِيُّ، الْقَائِمُ السَّرْمَدُ، فَيَدْخُلُونَ فِي حَصْنٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيَعْلَمُونَ وَيَعْلَمُونَ اللهُ أَكْبَرَ، مَذْكُرِينَ بِاللَّهِ، آمَرِينَ بِالْمَعْرُوفِ، قَائِمِينَ بِهِ.

فَيَدْرِكُونَ كَيْفَ كَرَّمُوا وَأَكْرَمُوا، يَوْمَ أَمَرَ الرَّسُولُ، فِي أَمْرِهِمْ، صَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ، وَيَسْعُدُونَ بِهِ، بِشَرِّ لَهُمْ، يَوْمَ قِيلَ لَهُ لَسَمِعْتُمْ، {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} <sup>٤٠</sup>، {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ} <sup>٤١</sup>، فَيَعْرِفُونَهُمْ فِيهِ لَهُ، فِي رَبِّهِمْ لَهُمْ، فِي اللهِ لَجَمَاعَتِهِمْ، فِي وَحْدَانِيَّتِهِمْ بِلَا إِلَهٍ إِلَّا اللهُ أَحَدًا وَاحِدًا، فَيَدْرِكُونَ قَوْلَ اللهِ، لِلْكَافِرِينَ، وَهُوَ يَقُولُ لَهُمْ فِي مَخَاطَبَتِهِ أَمَامَهُمْ فِي حَاضِرِهِمْ {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ} <sup>٤٢</sup>...

فَيَقُولُ الرَّسُولُ مَبِينًا مَفْصَلًا، (أَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَنَازِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا الْمُوْطُؤُونَ أَكْثَفَا الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ) <sup>٤٣</sup>، (إِذَا كَانَتِ الْقِيَامَةُ انْقَطَعَ كُلُّ نَسَبٍ وَحَسَبٍ وَسَبَبٍ وَصَهْرٌ إِلَّا نَسَبِي وَحَسْبِي وَسَبْبِي وَصَهْرِي) <sup>٤٤</sup>. إِنْ اللهُ يَدْعُو كُلَّ أَنْاسٍ بِأَمَامِهِمْ بِالشَّهَادَةِ عَلَيْهِمْ، وَالرَّسُولُ هُوَ الشَّهِيدُ عَلَى هَؤُلَاءِ فَالرَّسُولُ هُوَ إِنْسَانُ الشَّهَادَةِ هُوَ إِنْسَانُ الْمَسْحَاءِ، هُوَ أَصْلُ الْكَلِمَاتِ، هُوَ الْحَقُّ مِنَ اللهِ لِمُشَاهِدِيهِ، هُوَ اسْمُ اللهِ لِعَارْفِيهِ، هُوَ الْوُجُودُ لِقَائِمِيهِ.

إِنَّ الَّذِي يَعْلَمُ وَيَدْرِكُ، وَيَقُومُ لِلْإِدْرَاكِ وَيَتَوَاصَى عَلَيْهِ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ، إِنَّمَا هِيَ وَحْدَانِيَّةُ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ الْمُؤْمِنِ، فِي وَحْدَانِيَّتِهِ مَعَ الْمُؤْمِنِ، وَمَا هِيَ إِلَّا وَحْدَانِيَّتُهُمْ مُؤْمِنِينَ، مَعَ رَسُولِ اللهِ مُؤْمِنًا، مَعَ رَبِّهِ

مؤمنًا، في معراج المؤمن إلى المؤمن المنفرد بنفسه قائم الشهادة والغيب، لواجب الوجود لا شريك له. معلوم وقائم آحاده، لأسمائه، حياة وروح الوجود لمعنى الرب ظاهرًا بعباده.

بذلك يسلس لعقولنا فهم الوجدانية، وعقيدة الأحدية، وإدراك الأحد المتعدد بمظاهره، لمعنى وجوهه، من وراء الكل بإحاطته، الواسع عن الإحاطة به، المتواجد بوجوده للشهود بكل موجود، وجودًا بعد وجود، ووجودًا قبل وجود، ووجودًا في وجود، ووجودًا من وجود لا بدء للوجود فيه، ولا انتهاء للتواجد به.

فبذلك ندرك ماذا نطلب من الله، وكيف أننا إلى الله نفتقر، مهما أكرمنا، مهما أعزنا، مهما أعطانا، مهما علمنا، مهما قاربنا، فنردد لسمعنا، {يا أيها الناس، أتمم الفقراء إلى الله، والله هو الغني الحميد}،<sup>٥٥</sup> ونردد خلف رسول الله دعاءه الأزلي الأبدي السرمدي، لمن توحّد معه، من الأعلى توحّدًا مع الله لمعنى موجوده لمعبوده إدراكًا لوحّدانية الله في قربهِ وبعده في قائم أحديته بواحديته (اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا واحشني في زمرة المساكين)<sup>٥٦</sup>. بذلك نعرف كيف نحن السعداء برسول الله، وبرب رسول الله رسولا إليه ورفيقا أعلى وبربهما رسولا من الأعلى إليهما في الله ذي المعارج في لانهائي الله لمطلق وجوده.

فندرك أننا مهما وصلنا أو اتصلنا، فإنما نحن الإنسان للإنسان، في الحق الجامع لإنسانية الإنسان، بإنسانية الرشاد فيه، فنعرف أننا لن نتعارف، في قائمنا، ولا في قادمنا، وأنه ما تعارف في قديمنا، إلى قديمه، إلا إنسان لإنسان، فعرّفنا ما في تبليغ الله من الحكمة وهو الذي يقول لنا، {إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً}<sup>٥٧</sup> عبداً في معناه وعبداً بمن يلقاه.

فالحقيقة إنما هي عباد لعباد، إنما هي حقائق لحقائق، إنما هي إنسانية لإنسانية، إنما هي كلمات لله لكلمات الله، إنما هي وجود لوجود، إنما هي أسماء لأسماء وتعالى الله عما يصف الوصفون، {قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون}<sup>٥٨</sup>. فندرك الحكمة من كلام القوم من الموحدين (السير إلى الله له نهاية والسير في الله لا نهاية له)<sup>٥٩</sup>، وندرك هديهم (ليس الشأن أن تعرف ما هو الاسم الأعظم ولكن الشأن أن تكون أنت الاسم الأعظم)<sup>٥٠</sup>.

اللهم يا من جعلت من رسولك رحمة للعالمين، وجعلت منه علماً عليك للعالمين، وجعلته بعترته قرباً منك للمقاربين، وجعلته كتاباً عنك للكرام الكاتبين، وجعلته إماماً للطالبيين، وجعلته لك وجهاً مشرقاً للنظرين، منك به لك منظورين، يوم هم به لك قائمين، اللهم يا من جعلته نورا للسماوات والأراضين، اللهم يا من جعلته نورا للوجود به يحيا ويتجدد في كل وقت وحين، فجعلتنا به السعداء المسلمين،

والكرام المؤمنين، والحقائق المقربين، اللهم به فارحمنا في العالمين، اللهم به فجددنا في كل وقت وحين، اللهم به فانشرنا في فراغ الوجود عاملين بك مبدعين بأسمائك فاعلين، لما عرفنا من الوجود مجددين، وكل فعل لنا بك، إليك ناسبين، وإليك منسوبين.

اللهم به فارحمنا دائماً وأبداً، اللهم به فاغفر لنا مسيئتين، واجعل به سيئاتنا سيئات المقربين، مغفورة دائماً منك أنت لنا الغفور الرحيم.

علّمنا أنك لو تَوَاخَذَ الناس بما كسبوا بظلمهم ما تركت على ظهرها من دابة من المكذبين، اللهم لا تجعلنا من الظالمين، واجعلنا من المغفورين المرحومين.

وولِ اللهم به أمورنا خيرنا، ولا تولِ بأعمالنا علينا الضالين، الذين لا يخشونك ولأنفسهم ظالمين، ظلمنا أنفسنا معهم متابعين، فاللهم حررنا من وطأة أنفسنا ظالمة، ووطأة نفوس الطّاغين واجعلنا برحمتك من العتقى المخلصين.

واهدنا به اللهم<sup>١</sup> حكماً ومحكّومين، وتولّنا به أئمة ومتابعين، مجاهدين ومقتدين، وعلّمنا به أنه لا إله إلا الله في العالمين وأن الله أكبر في أنفسنا بك مؤمنين ولك متقين، وإليك الفقراء المفتقرين، في حاضرنّا، وفي قديمنا وفي قادمنا، وفي كل وقت وحين.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين

### مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُّ عليه ضيعةً، ويحوطُه من ورائه". أخرجه البخاري وأبو داود، والبخار والطبراني
- ٢ سورة مريم - ٩
- ٣ سورة النجم - ٣٩
- ٤ سورة النجم - ٤٠
- ٥ سورة النجم - ٤١
- ٦ سورة الزلزلة ٧-٨
- ٧ سورة القيامة - ٣٦
- ٨ سورة الإسراء - ١٤

- ٩ من حديث قدسي: "يا عبادي! إنما هي أعمالكم تُردُّ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمدني ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه". الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح. أيضاً الحديث: "يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه". صحيح مسلم.
- ١٠ سورة النور - ٣٩
- ١١ سورة النازعات - ١٢
- ١٢ سورة طه - ٥٠
- ١٣ سورة الأعلى - ٢-١
- ١٤ حديث شريف: "كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان". المحدث: ابن تيمية، المصدر: مجموع الفتاوى. كما أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق بلفظ: "كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض".
- ١٥ سورة هود - ١١٢
- ١٦ حديث شريف ذات صلة: "خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى. وابدأ بمن تعول". صحيح البخاري وصحيح النسائي. أيضاً: "ابدأ بنفسك فتصدق عليها فإن فضل شيء فلاهلك، فإن فضل من أهلك شيء، فلذي قرابتك فإن فضل من ذي قرابتك شيء فهكذا وهكذا". أخرجه مسلم والنسائي.
- ١٧ سورة يوسف - ١٠٨
- ١٨ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ١٩ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٢٠ سورة آل عمران - ٣١
- ٢١ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٢٢ سورة فاطر - ١٥
- ٢٣ سورة الكهف - ١٠٩
- ٢٤ استلهاما من الحديث الشريف: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب". أخرجه البخاري ومسلم
- ٢٥ سورة الحجرات - ٧
- ٢٦ سورة الذاريات — ٦
- ٢٧ سورة الرعد - ١١
- ٢٨ حديث شريف. أخرجه البيهقي. كما أخرجه الطبراني بلفظ: "ليس عدوك الذي إذا قتلك أدخلك الجنة، وإذا قتلتك كان لك نوراً، أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك".
- ٢٩ وفقاً لحديث شريف ذكره الإمام الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" أن الرسول قال لعائشة: ضيقي مسالك الشيطان بالجوع.

- ٣٠ حديث شريف. صحيح البخاري. جاء أيضا: "والذي نفس محمد بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير". أخرجه النسائي ومسلم.
- ٣١ معنى هذا الحديث الشريف جاء بأكثر من صيغة: "إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، قيل: يا رسول الله فما جلاؤها؟ قال: قراءة القرآن". أخرجه ابن عدي في ((الكامل في الضعفاء))، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء))، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) باختلاف يسير. و"إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء، قيل: يا رسول الله وما جلاؤها؟ قال: كثرة ذكر الموت، وتلاوة القرآن. أخرجه الخرائطي في ((اعتلال القلوب))، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)). كما أخرجه البيهقي، والطبراني، والديلمي، بلفظ: "إن للقلوب صدأ كصدأ النحاس وجلاؤها الاستغفار".
- ٣٢ من حديث شريف: "صفتي أحمد المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، يجزي بالحسنة الحسنة، ولا يكافئ بالسيئة، مولده بمكة، ومهاجره طيبة، وأمه الحمادون، يأتزرون على أنصافهم، ويوضؤون أطرافهم، أناجيلهم في صدورهم، يصفون للصلاة كما يصفون للقتال، قربانهم الذي يتقربون به إلي دعاؤهم، رهبان بالليل ليوث بالنهار". أخرجه الطبراني.
- ٣٣ سورة إبراهيم - ٤
- ٣٤ سورة الإسراء - ١٠٦
- ٣٥ استلهاما من {يوم ندعو كل أناس بإمامهم} سورة الإسراء - ٧١
- ٣٦ سورة النحل - ١
- ٣٧ سورة الرعد - ١١
- ٣٨ حديث شريف يتردد في أدبيات التصوف، يتوافق مع الحديث الشريف: "الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون". أخرجه أبو يعلى والبخاري.
- ٣٩ وفقا للحديث الشريف: "تكون دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، هم قوم من جلدتنا، يتكلمون بألسنتنا، فالزم جماعة المسلمين وإمامهم، فإن لم تكن جماعة ولا إمام فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت كذلك" المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الجامع. أخرجه ابن ماجه بنحوه، والبخاري، ومسلم مطولا.
- ٤٠ سورة الكوثر - ١
- ٤١ سورة الأحزاب - ٦
- ٤٢ سورة فاطر - ١٤
- ٤٣ حديث شريف: "إن أحبكم إلي أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكثافا الذين يألون ويؤلفون، وإن أبغضكم إلي المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة". أخرجه أحمد والطبراني وابن حبان.
- ٤٤ حديث شريف: "كل نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري". رواه الطبراني، والحاكم، والبيهقي، ورواه أحمد في مسنده، كما جاء أيضا بلفظ: "كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي". أخرجه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)).
- ٤٥ سورة فاطر - ١٥

- ٤٦ من الحديث الشريف: " اللَّهُمَّ أَحْيِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، واحشُرني في زُمرَةِ المساكينِ يومَ القيامةِ، فقالت عائشةُ: لمَ يا رسولَ اللهِ؟ قال: إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيائِهِمْ بأربعينَ خريفًا، يا عائشةُ، لا تُرَدِّي الْمِسْكِينَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، يا عائشةُ، أَحْيِي الْمَساكِينَ، وَقَرِّبِهِمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْرُبُكَ يَوْمَ الْقِيامَةِ." صحيح الترمذي.
- ٤٧ سورة مريم - ٩٣
- ٤٨ سورة الأنعام - ٩١
- ٤٩ مقولة صوفية عامة، وغالبا ما تعود إلى مولانا جلال الدين الرومي.
- ٥٠ مقولة للسيد أبي الحسن الشاذلي.
- ٥١ تم التصويب وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع.

(٨)

## البناء للقيام الخالد بالمعلم والمتعلم الرب بالروح معلما والعبد بالعلم متكلما رجل سلم لرجل إنه الإنسان للإنسان في الله ذي المعارج

حديث الجمعة

٢ رمضان ١٣٨٥ هـ - ٢٤ ديسمبر ١٩٦٥ م

أستغفر الله وأعوذ باسم الله، وأستعين الله وأسماء الله أن أشهد أنه لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله. فما كان لله دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل، إذا ما عرفنا الله برسوله فأمننا بالرسول لقاء مع الله في أنفسنا، {وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}¹. لا نفرق بين الله ورسوله، ولا نفرق بين أحد من رسله وجوها لرسوله من قبله ومن بعده.

أبأنها ويئنها من سلكوا طريق الاستغفار، ومن جاهدوا ليغيروا ما بأنفسهم من طبيعة هذه الدار، حتى يغير الله ما بهم إلى قائم الحق معهم، فقالوا متناصحين وبالحق متواصين (وجودك ذنب لا يقاس به ذنب)²، لأنهم كانوا لرسول الله صديقين، مع أنفسهم صادقين، وقد بلغهم منهم عنهم، (إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم)³.

ونصح إليهم بما نصح به إلى نفسه، (ضيقوا مسالك الشيطان بالجوع والعطش)⁴. وحمل إليهم البشري، بما حقق لنفسه، وتمت إلى غايتها تجربته، (كان لي شيطان ولكن الله أعانني عليه فأسلم فهو لا يأمرني إلا بخير)⁵، وقد تحرر فيه ضميره.

وعمم البشري للناس، على ما رأى من أمره، وعلى ما أدرك، لشهوده، في مرآته، لفطرته لقائهما بالناس، (ما أعطيته فلائمي)⁶، (استفت قلبك وإن أفتوك وإن أفتوك)⁷.

وعبر لهم عن حاله من الأرض، وعن حاله من الحق، وعن حاله من الأدنى، وعن حاله من الأعلى. وقد انطوى له فيه أدناه لأعلاه في قائمه بمبناه لمعناه. وأدركه في أعلاه، كما أدركه في أدناه. وعرفه في

واحديته لقائم أحده، لا فرق بين أدناه، من الأرض وأعلاه من الإنسان، فقال لهم، (زويت لي الأرض وتبلغ أمتي ما زوي لي منها)<sup>٨</sup>.

طويت لي الأرض وسمواتها، طويت لي أرض قيامي بكثيفها ولطيفها، أرضي.. أنايتي.. داري.. بيتي.. هيكلي.. وجودي.. حالي.. طوي لي ما جعله الأعلى لي مما هو له، وقد جعلني منه وجهاً له من وجوه.. ماله.. مالي.. ملكه ملكي، ومملكته.. مملكتي، ملائكته.. ملائكتي، حقه.. حقيقتي، فعله خلقيتي.. آحاده أحدىتي، لأحدىة تواجداته لتواجدي، في أحدىتي لأحدىته، بواحدىته لواحدىتي، بحقائقي لمعناي حقائقه لمعناه كتاب وجوده وعلم جوده، عبده وظل موجوده.

وهذا الذي هو أمري وشأني، من أمره وشأنه، هو أمركم وشأنكم، يوم نتابعوني على أمري، فيكون لكم أمركم، يوم تُصدقوني في شأني، فيكون كله لكم بصدقكم لشأنكم.

إن رسالتي في مثاليتي.. إن الرسالة إليَّ أن أستقيم على ما أمرت من أدبني. وإن الرسالة عندكم يجب أن تكون، أن تستقيموا أتم على ما أمرتكم وأدبتكم به، على ما أمرت وأدبت به، من ربي ومعلمي فيتحقق لكم ما تحقق لي.

فتساءلنا.. ومن معلمك يا رسول الله؟

من أدبني فأحسن تأديبي. إنه ربي. إنه الرفيق الأعلى لي.. إن النسبة يجب أن تتعقد بين المعلم والمتعلم كما هي بيني وبينكم، إنه لروحي روحاً هو الرفيق الأعلى لي. إنما أنا بينكم بشر مثلكم، لتتعقد النسبة بيني وبينكم، على ما هي بين ربي وبينني. إن الأمر والشأن في الجوهر يجب أن يتحد ويتفق بين الإله والرب وبين الرب والعبد، في المعنى والمبنى. إن الإنسان في أدناه، رفيق للإنسان في أعلاه. وإن الإنسان بأعلاه، لا ينفصل عن الإنسان بأدناه، وإن الإنسان بأدناه، لا تغاير بينه وبين الإنسان بأعلاه، والإنسان في أحدىته بأعلاه وأدناه وما بينهما، لسابق عليه وجوداً، ولأوسع منه تواجداً، هو الإنسان للإنسان خليلاً وحباً، في كليهما أمره وشأنه، بأدناه لأعلاه عبداً ورباً. في المطلق اللانهائي به يقومان وعنه يتحدثان ومنه فيهما بهما يتعلمان، وفي أمرهما لأمره يعملان ويتعاونان ويتواصيان ناموساً لا يختل ولا يفرط ولا يزل يقومانه ويعملانه.

إذا كان الإنسان بأعلاه بمثابة الرأس، فالإنسان بأدناه بمثابة القدم، فالبشرية بآدم قدم لإنسان قيامه، إنسان الله وحقه. وما بين الرأس والقدم، ما هو إلا الإنسان وطبقاته بصفاته بجوارحه، وبصندوق صدره لمشكاته، وبأطرافه لعواله.

هو بحاضره لظاهر مبناه تتوء من الأرض، لقائم هيكله لمظهره، جبلا لاستقبال التجلي من الأعلى، رفيقا لمعناه، وهو بمعناه لوعيه ولخبره، واقع وجود، قائما في عمائه.. أو قائما في عله، أي قائما بجهله عنه في موقوته بمحدوده، أو قائما بمعلومه لدائمه في خالده بإسلامه وقيامه. فهو إما مغمورا في منامه، أو في سكرته من الموت لسابقه بقديمه، أو مستيقظا من منامه أو مفيقا من سكرته.. هو على كل حال الإنسان.

مَنْ أَوَّلَ خَلَقَ اللَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ إِنَّهُ آدَمُ.. إِنَّهُ أَنْتَ.. إِنَّهُ كُلُّ نَفْسٍ، بِمَا كَسَبَتْ بِقَائِمِ اللَّهِ عَلَيْهَا. فَهِيَ نَوَاةٌ فَطَرِيَّةٌ لِلنَّاسِ جَمِيعًا مَا صَلَحَتْ لِتَكُونَ نَفْسًا عَذْرِيَّةً. وَمَنْ قَبْلَ آدَمَ؟ إِنَّهُ آدَمُ، إِنَّهُ أَبُوكَ الصَّالِحَ. وَمَنْ قَبْلَهُ لِآدَمَ؟ إِنَّهُ آدَمُ، إِنَّهُ جَدُّكَ الصَّالِحَ، إِنَّهُ آدَمُ دَائِمًا.. وَلَوْ ظَلَلْتَ تَسْأَلُنِي إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ، لَقُلْتُ آدَمَ، (قَبْلَ آدَمَ مِائَتُ الْبَلَايَيْنِ مِنَ الْأَوَادِمِ) <sup>٩</sup>، (وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا وَيُظْهَرُ عَلَى الْأَرْضِ آدَمُ) <sup>١٠</sup>، مَعْلَمًا بِمَا عَلِمَ لِمَنْ لَمْ يَعْلَمْ.

فإن آدم كأول خلق أمر لا بدء له. وآدمك لذاتك جديداً لقديم، أمر لا بدء له، آدم كمعنى لسابق مشاهد بمبناه، أمر قائم لمبناه بك، إنه قيام قديم، لا يُعرف له بدء عند العقل السليم، ويُعرف أنه أمر ليس له بدء عند العقل القويم، ولكن له دورة قيام بظهور ونشأة، ولا يعرف له انقضاء عند الفكر المتحرر ويُعرف أنه ليس له انتهاء عند الوعي الحقي المتصل بالوجود وبالحياة، وإن كانت فطرة الوجود بالتجدد تقتضي له كنزية الاختفاء بالتحقق والتخليف للخلق وعودة الأعمال للرحمة بالمشول بين المتخلفين عنه لوصف الرسول.

إن الخلق في الخالق، قديم بقدم الخالق، وموجود بوجوده وإلا لما اتصف بالخالق، ويطراً عليه الوصف فطراً عليه التغيير، ولو غاب الخلق، لغاب الخالق، ولتعطل فيه وصفه بالخالق، ولو انقضى الخلق، لانقضى الخالق، فمن يكون الله إذن؟؟ فالإلام نصرف لفظ الله إذن!؟

الله.. هو الخالق، والله.. هو الخلق. الله.. هو الحياة، والله.. هو الوجود. الله هو رب الناس. والله.. هو الناس، والناس والحياة والوجود أمور تبدأ وتنتهي، وتظهر وتختفي، بناموس فطري وهي ليس لها بدء، وليس لها انقضاء. إنها تبدأ وتنتهي وتتجدد وتختفي. وتتفصل وتتصل، وتعدد وتوحد، في ظل ناموس قائم دائم فاعل. يدركه ويقوم به ويقوم عليه، ويقوم تحته، ويمثله، وينفعل معه، وينفعل فيه، وينفعل به الإنسان. هذا الناموس هو الله بمعناه لمن يدركه. ولا يدركه إلا بالانفعال معه، ولا ينفعل معه إلا الإنسان. وبذلك كان الإنسان عبداً ورباً لقائمه ذاتاً ووجوداً.

فلولا الحياة للوجود ما وُجد الناس منه، ولولا الناس فيه ما عُرِفَت الحياة له. إن الناس يوم يكسبون الحياة، ببقاء عارية أو أمانة الحياة لهم، فهم الحياة، يملؤون فراغ الوجود بالحياة، يوم يتواجدون الناس، على ما كانوا وعلى ما عرفوا بما أصبح لهم من قدرة وإرادة مطلقة، {من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا}¹¹.

إن الذي تذكرون لفظا بكلمة الله.. ولا تقومونه حقاً.. له أسماء الله، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، هو الإنسان لكم معكم ليكونكم جماع الحياة وجماع الناس، إنه لا يُعرف للناس، إلا في اجتماع الناس على الحياة، والحياة لا تظهر ولا تتجلى، إلا في اجتماعها على الناس.

إن موصوف الخالق، إنما هو من الناس على ما الناس منه تماماً، على ما يتواجد الناس من الناس. وإن موصوف المخلوق، إنما هو من الحياة على ما تكون الحياة منه كذلك. إن الله قائم على كل نفس بما كسبت، وكل نفس بما كسبت رهينة، وليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى، سوف يراه عبده ربانياً أو سوف يرى له معبوده ظلماتياً.

إن الإنسان يتراءى، مع عمله، بموصوف العبد والرب، وبموصوف الخالق والمخلوق، والله قائم على كل نفس، خَلَقْتَ أو خُلِقْتَ. لا تزر وازرة وزر أخرى. وعمل الإنسان بموجوده إنما هو في تجديد وجوده. {رب إن ابني من أهلي}¹².. إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح}¹³.

إن الإنسان، إنما هو عمله، يوم يجتمع عمله عليه، اجتماعاً على نفسه من صنعه باجتماع الخالق على خلقه، باجتماع الرب على عبده، باجتماع الأب على ولده، باجتماع الجد على جديده، باجتماع الموجد على وجوده، باجتماع الجسد على الروح، باجتماع المبنى على المعنى.

إن الناس يرددون بألسنتهم لفظ أو كلمة الله، ولا واقع له في وجودهم، ولا في قلوبهم، ولا في حياتهم، ولا في معانيهم، ولا في وعيهم، ولا في تواصلهم، ولا في معاملاتهم، ولا في علاقاتهم، لا ببعضهم البعض، ولا بأبائهم، ولا بأبنائهم، ولا بتواجدات وجودهم، ولا بجماعتهم.

والإسلام الذي هم إليه ينتسبون وأي دين يزعمه لأنفسهم المتدينون، يقول لهم مؤسسه، هو دين الفطرة، هو واقع الوجود، هو مُدرك الحياة، هو قائم النفوس، هو هياكل وجب الضمائر، هو العقول ومدركات العقول، هو الأمر المعقول للحياة وللوجود. هو النفوس، هو الأرواح، هو الحياة، هو الأشباح، هو الأقلام والألواح.

يعرفه الإنسان، هو فيه بفطرته، يوم يكتب الإنسان عمله، بقلمه بيده، في ألواح من تواجده، إنه القادر على محو ما كتب في قديم ألواح. وإنه القادر على تسويد جديد ألواح بما يشاء. (كن كيف

شئت، فإني كيفما تكون أكون<sup>١٤</sup>، (ما ظهر الله في شيء، مثل ظهوره في الإنسان)<sup>١٥</sup>، {وأن ليس للإنسان إلا ما سعى<sup>١٦</sup>، (اعملوا كل ميسر لما خلق له)<sup>١٧</sup>، (إنما هي أعمالكم ترد إليكم)<sup>١٨</sup>.

فمن يكون الإنسان؟ إن الإنسان هو الإنسان، في قديمه بلا بدء، وفي باقيه بلا انتهاء، وفي قائمه بلا حد. إن الإنسان بين قديم الإنسان وقادم الإنسان، هو الأمر الوسط وهو خير الأمور بالإحسان. إن القديم من الحق بالإنسان لله يُحب أن يعرف فيتخذ من القائم من الإنسان قبلته، لتجديد نفس له منه، لجديد أمره. وإن المتكامل من الإنسان في طريقه لقائم لتمام في قادم بجديد جلباب يتخذ قبلته إلى قائم الإنسان، ليتواجد من خلاله لكمال العنوان لجديد أمر بإحسان.

إن الله بوحديته، إن الله بإحاطته، إن الله بقاءه، على قيومه لوجوده بكل موجود، هو قديم الإنسان وقبله وقادم الإنسان وبعده، وقائم الإنسان وفوقه. إن الله، وملؤه بقديم ظهوره بالإنسان أزلا، وبموجوده وعمله بصفاته سرمدًا هو صمد الحياة، يتجه دوماً من القديم بصلاته إلى محدث الإنسان لقادمه في موجوده تجديداً لبداياته في حاضر بقاءه، وبصلاته يصلي منه وملائكته للمحققات على قائم ذواته لبداياته بتجلياته، ويطلب بهديه وشريعته من نشأة الإنسان في قائمه لقادمه الصلاة على محقق العنوان.

فجعل الصلاة من الحق القديم والقادم على نبي البيان الدائم، على نبي الإحسان، على نبي العرفان، على نبي الوجدان، على نبي الحق، على النبي الإنسان من محاً عن نفسه شوائب البهتان وأوهام الأنا بالانكرا. ومن يحو الله به عن المؤمنين بالله ورسوله كل بهتان وكل هوان، يقوم لله الاسم والعلم والكتاب والعنوان، ويقم الله به له عند كل إنسان عين المعنى من الحق وعين العنوان بالإحسان.

من رضيه بقاءه ليكون منه، رضيه بحقه ليكون فيه. ومن رضيه ليكون فيه، فجدد نفسه عنه إليه لكان بحقه اسماً لله وحضرة لله وملائكته. لا حصر لحضرات الله وملائكته. ولا توقف للمطلق عن التجلي بحضرات الله وملائكته بالإنسان.

حضرات الله وملائكته يصلي بها الله وملائكته، على إنسان النبي يوم تتوحد قلوب المؤمنين فيصلون على جديدهم به من الحق لهم بالإنسان لله بينهم من رضي أن يكون للنبي الوجه والعنوان فرضيه الله لنفسه بالإحسان، فشده لنفسه محمداً رسول الله، وشهد به أنه لا إله إلا الله، فعله وعرفه بما علم الله أكبر، فطلبوا الرفيق الأعلى معه رفيقاً أعلى لهم قائد ركبهم في قيامه بقاء الحق لمعلمه بمعلومه سيرا للأعلى بركبهم لجماعهم لا للخلاص من قائمهم بمعلمهم، ولا طلباً لانقضاء الحديث من مكملهم ولكنه أمر من فعل من قامهم قام بهم (من رأي فقد رأي حقاً)<sup>١٩</sup>. {هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور<sup>٢٠</sup>، {وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم<sup>٢١</sup>، {تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في

نفسك إنك أنت علام الغيوب} ٢٢. فما تحدث المطلق إلى مقيد إلا بمقيد رسولا منه، وربما ومعلها به، لموحّد أراد أن يكونه عبدا له على ما علّم فعلم فأسلم فخطب وكلم فتكلم.

إن من غلبت عليه شقوته، وحكمت روحه مادته، فاستوى شيطانه بسلطانه على قائمه ووجدانه، فإنه لا يرتضي لي عنوانه، ولا يقبلني لإحسانه، ولا يقومني لإيمانه، فإنه رفض أن يغير ما به، إلى ما أنا له، رحمة مهداة.

فبقي على حاله، ومشى مكبا على وجهه، لم يستقم ولم يعتدل لأمره، ولم ينقلب من منقلبه بشأنه، فليواصل، حتى يعرف أي منقلب إليه كان ممكنا أن ينقلب برحمة الله، يوم يفقد أمانة وجوده، وأمانة الحياة له من جوده ممسوخا على مكانته يجري منه الشيطان مجرى الدم لحضرته.

{ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون} ٢٣. أين ومتى يكون هذا المسخ للناس؟ كلها أتاها أمر الله بإنسان لله من بينهم، فدعوه وهو قائم اليتيم الذي جهلوه وأنكروه ولفظا ذكروه، واسما لله ما عرفوه، وكلمة لله متوفاة منه ما قاموه. مأوى إلى العلي والأعلى لعيניהما أنكروه. حقا قبروه، وحياة أماتوه، ورسالة قائمة دائمة عقروه.

إن الله معكم أينما كنتم، فكيف تغيبونه، وأنتم تتواجدونه؟ وكيف تنكرونها، وأنتم تشهدونه؟ (أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ٢٤.

هل أنت عابده على أنه رائيك، وعلى أنه معك، وعلى أنه ما يعينك لخلقك وخلقك ومعانيك؟ هل خشيتته على أنه معيتك؟ هل أحببته على أنه قيوميتك؟ هل جددته على أنه قيامك وقيامتك، فأقت حقه، مبعوثا به، وهدمت بهتانك متحررا منه؟

تقول إنك الخلق! فأين الخالق؟ أيها الخلق! هل فارق الخالق معية الخلق؟ ولو فارق الخالق معية الخلق، لانقضى أمر الخلق، على ما تشهد، وعلى ما تعرف، وعلى ما عرفت في آبائك وأجدادك، وعلى ما تشاهد وتعرف من خلانك، وعلى ما تعرف وتشهد ممن تخلق منك من أبنائك، يوم تخلت عنهم الحياة فجيفوا، {واذكر ربك في نفسك} ٢٥ فما كان غيرك، وما كنت غيره لقيامك وعلمك. فأنت بحقق مع من أحببت من أصولك عنهم ما تخلت، وهم معك بأرواحهم في رعاية وود على ما عرفت.

فما تكون الحياة؟ تقومها عارية قائمة، ولا تكسبها دائمة سارية عارمة. هل للحياة طلبت مع قديمك وقائمك؟ وهل لها شاهدت في قائمك وقادمك، فلم يتحقق لك ما طلبت، يوم أنك للطريق سلكت، فبدوامها لدوامك آمنت، لله لك عرفت، هو الحياة بها شرفت، فعلى الآباء بشرفها اجتمعت، وقادم الأبناء بوجدها لك، بهم تواجدت ولهم وحدت فلقائهم أمر الله بك لك شهدت؟! وها أنت بنفسك

لنفسك ما فعلت! ولكنك لمن عرف ذلك كذبت، وبه وبآبائه لأبوتك ما آمنت وله ما سمعت ولا تابعت.

هل آمنت بوحدانية الحياة، في حاضرک، لشهودك، بجمتمع وجودك، وفرد تواجدك؟! هل لما في نفسك غيرت، فلم يتغير شهودك، ولم يتلون أمام ناظريك مشهودك؟! إنك ما فعلت وما جربت! ولمن فعل وجرب وآمن كذبت! ومنه ما سمعت! وله ما تابعت! ويوم تزعم أنك على دين، فلهحكم القول ببعاء رددت! ولهدي الكتاب واضحا صريحا حرفت! وعن الرسول ممتدا في الساجدين ما بحثت! وله ما كسبت! وعليه ما اجتمعت! وعلى كتابه وهديه ما استقمت!

إن التبليغ الذي بين يديك، لا ينفصل عن البيان الذي في دوام سمعت، وعن الوجود والتواجد الذي شهدت. إن الله هدى من هدى ولكنك لا تريد أن تهتدي مع من إليه هُديت، وبحجة الله به عليك ابتليت، عباد الرحمن صوتهم مسموع ممتد في كل بيت.

وما زلت في لجاج، مع الله تجادل، كما جادل سبق وجود لك، في آباء وجود. لوجودك، وعلى تواجدك لوجودهم حرصت، وما للصالحين من السبق نسبت، وله ذكرت، وبعمله عملت، واعتقاد دوامه أحببت، فبدائمه لنفسك جاهدت وله جددت، وبعينه لمعناك قتت، ولنور الله في ظلام وجودك استقبلت، وأبواب قلبك فتحت، فشكاة صدرك أنرت وبما شرح لك في صدرك شرحت، وعند الناس انشרכת، هو {الذي يراك حين تقوم وتقبلك في الساجدين} ٢٦.

إن لله رجالا، إذا ذُكروا ذكر الله. إن لله رجالا إذا شُهدوا شُهد رسول الله. إن لله رجالا إذا عُرِفوا عرف المؤمن بهم نفسه مرآة إيمانه، وعلة كفرانه، ولكن الناس هم الناس، والحياة هي الحياة، ما لقوالهم جلبابا خلقا جددوا، فتسرلوا بالجديد وفرحوا بعيد، وما لقلوبهم في ذكر الله وحدوا فبعثوا بحمد جديد، وما كانت قلوبهم إلا لبنات للبيت العتيد. (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) ٢٧، (المؤمنون كأعضاء الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، سهر له سائر الجسد بالحمى والسهر) ٢٨، (ما شكت مؤمن شوكة إلا وجدت ألمها عندي) ٢٩.

{الني أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجه أمهاتهم} ٣٠. إن النبي وأزواجه والمؤمنين حقائق الإنسان. وهذه هي أقانيم الإسلام للتوحيد من التعديد. إنه البيت، وأهل البيت، والطائفون حول البيت، وهذه هي أقانيم الإسلام بالتعدد والتوحيد، إنه البيت وأهله والمستقبلون للبيت، والعاكفون في البيت للتوحيد للتعدد، إنه جدران البيت وما وراء جدران البيت وما بداخله وما حوله، إنه الأسماء في

البيت، إنه حياة البيت، إنه الحياة، إنه الناس، إنه الواقع، إنه الحق، إنه الإنسان، إنه العلم الذي ظهر به الحق، إنه الكتاب، إنه الحجاب، إنه العتاب، إنه الرجعى والجزاء والثواب.

وكيف يظهر الحق إنسانا، ويموت هذا الحق، ويموت هذا الإنسان، ويفنى هذا الحق، ويفنى هذا الإنسان؟

لقد خاطبكم على قدر عقولكم، (أنا حي في قبري من حج ولم يزرني فقد جفاني)<sup>٣١</sup>، ومن جافاني، فلا شأن لي به، فليذهب إلى ما جافاني إليه. من جفاني، أو جافاني، فقد جافى الله، فقد جفى الله، ومن رآني فقد رآني حقا.

هل تفرقون بيني وبين الله، وأنا عبده، وأنا رسوله، وأنا حقه، وأنا وجهه، وأنا اسمه، والله يقول لكم لا تفرقوا بين الله ورسوله!

تذكروني محمداً، وما حمدتموني، تذكروني محمداً، وهو لكم بالحق اسم الله. إنكم أنتم الذين بي تُحمدون. إنكم أنتم الذين بي تُحمدون. إنكم أنتم الذين بي تشكرون وتُشكرون، فما كنت إلا أنتم. أما أنا لكم، فمن رآني فقد رآني حقا له بعث بالحق لأحققكم. أما نفسي بينكم فهي أنتم يوم تتحققون. فأين نفسي فقد زهق منها الباطل، وإنها لكم الحق لا أملك لنفسي بكم ضرا ولا نفعاً، ولا حياة ولا نشورا. من محمد!؟

لقد تخلصت من محمدكم، وقام الذي نفس محمد بيده، قبضتني يد الله، ملكوت السماوات والأرض له، هو الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا. وما كانت السماوات والأرض قائمة بالحياة وبالوجود إلا بنور الله لي إنسان وجودها بوجودي بإنسانية الرشاد لوجوده، وإنسانية قائمه بحقه<sup>٣٢</sup> لحقيقته لمعاني نفسي لكم للحق وبإنساني لكم بينكم لإنسان العلمية على ذاته الأعلى دالة عليه لمعلومها علما عليه.

لقد استدار الزمان ببعثي بينكم على هيئته، كيوم خلق الله السماوات والأرض. كيف تقدرُونَ الله أيها الناس! قدرُوا الله حق قدره! أوليس الذي خلق السماوات والأرض، بقادر على أن يخلق مثلهم؟ بلى وهو الخلاق العليم، كما بدأ أول خلق يعيده، بدءا بعد بدء، يبقى أبدا بدءا لقديم، تقادم بدؤه، وقام أبده، فعنون الأزل لجديده بقاءه لأبده، وجود لوجود، وموجود لموجود، إنسان لإنسان، خلقت الأشياء له من سابقه، نعمة مسبغة منه للاحقه.

اعرفوا الإنسان، اعرفوا الله لنفسه خلق أنفسكم، تكشف عنكم أغطيتمكم، يمتد بصركم لبصيرتكم، فتخرجوا من عمائمكم إلى شهودكم.

أين هو الله؟ إن لم يكن لكم، ولعلمكم، ولقائكم في موجودكم، أفى السماوات تلاحقونه، أم بتواضعه في الأرض تنشدونه، ودون الأرض ودون أهلها، تطلبونه؟ إنه لا ينتهي بمراقبه لكم بكم إن كان الطلب له في معنى عاليه، ولا يسبق ولا يحاط به حتى إذا كان طلبه في حال تواضعه وتدانيه. فإن تواضعت له به، فإنه أكثر منك تواضعا، فإنك لن تلاحقه ولن تلحقه، فهو ما زال ما بعدك.

إن الله، بيد رحمته، وبيد عزته، ينزل بكريم يده دونكم، وأنتم لا تستطيعون أن تنزلوا دونها، إنك أعجز من أن تنزل دون يده تفلك، وإنك أعجز أن تصعد إلى ما فوق يده تفلك، أنت بين يدي رحمته، قال أو مُقل، ظالٍ أو مُظل.

إنك لا تراه إلا في نفسك، ولا يُعرف لك إلا في معيتك، أقرب إليك من جبل الوريد، من ورائك بإحاطته، على كل نفس بقائمه، على ما كسبت في قائمها، فالله في حقيقته لا يُدرك فهو لا لون له، ولا اسم له، ولا كنه له، ولا طبيعة له، ولا تقيد له، ولا انطلاق له إلا بصفات ما أوجد.

إن الله منزّه، عن القرب والبعد، عن التقييد وعن الإطلاق. ولكنه ليس منزها عن الإنسان له، إنه الإنسان في إحسانه، وإنه الإنسان في بهتانه. إنه من وراء الشيطان بفتنته، كما هو من وراء الرحمن بحكمته، إنه واقع الحياة على ما هي الحياة، لا تصوره بعيدا عن الحياة، فهو الحياة وناموس الحياة، وصفات الحياة، وهو الناس ظهورا للحياة، وقياما بالحياة، وكتابا للحياة، وحروفا لكلمات الحياة، وكلمات لآيات الحياة وآيات لحديث الحياة.

جعلنا الشمس عليه دليلا، الفاعل المطلق جعل من الشمس دليلا على إنسان الدلالة عليه. جعله الرحمن في علميته على الرحيم، خلقتك لنفسي ولتصنع على عيني، خلقت كل شيء من أجلك وخلقتك من أجلي، لا تتعب لما خلق من أجلك، ولا تلعب بما خلقت من أجله، ورتل القرآن ترتيلا فقد جعلنا من الناس ألواح وصحف وأقلام كُتبت.

فهل تواسى الناس بدينهم، في دائرة هذه المعاني نقدمها لكم هي بين أيديهم مئات السنين؟ إن هذه المعاني هي الدين وفقه الدين وغيرها ليس بدين ولكنها تقاليد وآداب مسنونة. لكل جعلنا شرعة ومنهاجا، وما كانت الشرعة ديناً، وما كان المنهاج ديناً، ولكن الدين معرفة وعقائد وتطوير وتحقيق، والأنبياء قبل أممهم، أمروا أن يقيموا الدين، وأن لا يفرقوا فيه.

إن الدين الذي يقيمه عيسى وموسى، ومحمد، وكريشنا، وإبراهيم، وبوذا، إنما هو الوعي عن الإنسان، في الله. إنما هو الوعي عن الله للإنسان. إن الدين الذي أمروا أن يجتمعوا عليه ولا يفرقوا فيه، إنما هو المعرفة، إنما هو العلم، إنما هو تحقيق وقيام المعرفة.

وما جعلت الاستقامة، أو المناسك، أو المجاهدة، أو المناهج، أو الشرائع، إلا أمورا لتنظيم حاضر المجتمع وظاهره، لخيره في عاجلته، حتى يأخذ في حاضره لظاهره حرية الحديث عن الحياة، منكرا، أو مؤمنا، مخاصما، أو مسالما، لأعلام الحياة وأئمتها، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، لست عليهم بمسيطر، كل نفس بما كسبت رهينة، عليك البلاغ وعلينا الحساب.

يأتي حساب كل نفس يوم تحاسب النفس بما فيها من الحق نفسها، بيقظة الضمير على ما أتت من الباطل وقد كانت مخاصمة لحقها، مجافية له، ثم استيقظت في كرة من كراتها فأدركت الحق معها وأقرب إليها من حبل الوريد. {كفى بنفسك اليوم عليك حسييا} <sup>٣٣</sup>، {وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم} <sup>٣٤</sup>.

ومع من تكلم أيديهم؟ ولمن تشهد أرجلهم؟ إنها تكلم ضمائرهم، إنها تكلمهم، إنها تكلم أمانة الحياة فيهم قلوبها ففقدوها، فكانت أعمالهم كسراب بقيعة، جاؤوه فلم يجدوه شيئا ووجدوا الله عندهم، وجدوا الله كانهم فما ارتضوه، وما قبلوه ليكونوه اسما لله ورسوله تواجدوه، وأسماء لله ورسوله ما كسبوه، له الأسماء الحسنی منهم لهم بهم ما بعثوه. رددوا الأسماء الحسنی لفظا ما بها تخلقه بخلق قاموه وما عرفوا الله، مع الذين أحسنوا فوجها لوجه لاقوه. ما عرفوا الله مع المحسنين اجتمعوه ووجدوه، ما عرفوا الله هو الذين اتقوا فاقتدوه واتقوه، وما عرفوا الله عبدا فعبدوا له قاموه، داناهم من أنفسهم بليل سكينتهم فما سكنوه، وبنهار معاشهم فما شغلوه، ليلاقيهم بينهم من أنفسهم سعيا إليهم، ليعلمهم، ليحييهم، ليبقيهم، ما أدركوه، وحقا لهم لفنائهم عنهم يفنيهم، وبالحياة يبعثهم ويبقيهم، فتبقى الحياة لمعانيهم، على ما هي الحياة شهدوها بمبانيهم، فيذهب الناس بعيدا عنه فيهم إلى قائم مبانيهم على ما هم الناس، فلاأنفسهم به لم يتجددوه، وبأمانة وجودهم به أغفلوه.

إن القلوب مضغة غير مخلقة صالحة للحياة، (إن في الجسد مضغة لو صلحت، صلح البدن كله، ألا وهي القلب) <sup>٣٥</sup>. فإذا كانت الحياة هي الحياة، والناس هم الناس، فماذا من أمر القلوب؟

كل مولود يولد على الفطرة، بقلب فطري، في هيكل من فطرة الناس لسابقة وجود، ومن فطرة الوجود بدوام تجدده بتجدد خلاياه، ومن فطرة العالم، بقلب لأرض من فطرة الحياة من فطرة الحق. إنه أرض الله لم يعص الله عليها بعد.

فهل تعرض الناس بدين الفطرة، لإحياء هذه القلوب؟ لنشأة هذه الحضرات الحقية للإنسان بعوالمه، جديد وجود بقديم وجود علما عليه عنده، لمعلوم له بقيام فيه؟ (إن لله في أيام دهركم لفحات فتعرضوا لها) <sup>٣٦</sup>.

ما فعله إلا القليل، ولو فعلوه لكان خيرا لهم. أما الكثير، أما الجمع، فلم يقبل هذا القليل لقدوته ولم يقبل هذا النادر لمثاليته. واستعلى عليه واستكبر، ولوجه الله يدانيه، عنه أدبر، وباعد ونأى بجانبه، ووضع أصبعيه في أذنيه حذر الموت، حذر موت الموت هو فيه، حذر إعدام الإعدام لقائم قيامه معدوما، حتى تتواجد له الحياة.

فإذا ما نفينا عن أنفسنا، كائن النفي لله معنا، والمخاصمة له لنا، لتواجد الله بثباته، تواجد الله بديموميته، تواجد الله بقائمه لتقديمه وقادمه، بالإنسان، اسما لله ورسوله، لاسمه المؤمن، مرآة لاسمه المؤمن بالحق جاءه، ولاسمة المؤمن، واجب الوجود لوجوده كمؤمن، يعرفه الأعلى ويطلبه الأدنى، خلف إمامه أمر الله الوسط، أمرا وسطا لذاته ومعناه بين القديم لا يُبلغ مداه وبين القادم الباقي لا يُتجاوز بقاءه، في قائم باقٍ بالإنسان، حقا لله، في جلاب خلق لله.

حقا تسربل في جلابه، وأكثر من ثيابه، أمر، أيها المدثر، قم فأندِر، وثيابك فطهر والرجز فاهجر، ولا تمنن تستكثر، ولربك فاصبر، وها هو لنا برسالته من عالم الروح بثيابه من النور يظهر ومعنا يصبر، على ما أمر أبد الدهر رحمة للعالمين، فلا إله إلا الله، محمد رسول الله.

اللهم بمن جعلته نورا للقلوب، وكفارة للذنوب، به أنز قلوبنا، واغفر ذنوبنا.

اللهم بمن جعلته قلبا للقلوب، وقبلة للقوالب، وحوضا لكل وارد وشارب وبابا لكل طارق وطالب، أحيي قوالبنا ببعث قلوبنا، بنور وجوده، واكشف حجاب الغفلة عن عمائنا، لطلعة شهوده.

اللهم بمن جعلته علما عليك، واسما لك، أعليت أمره، وقربت شأنه، وبشرتنا به فيه منه، لنكون منك، جعلته لك بكوثره حضرات رحمتك، ونعمة آلائك، وحقيقة حقائلك، لحقائق خلقك...

أظهرته على الدين كله رسولا، وعلمته الأسماء كلها آدما، وأتممته لنا كتابا، وكلمة متوفاة، وجعلته بيننا لك لسانا، ومنك لعقولنا ترجمانا، وأحطته بجند عزتك، لإقامة حضرتك، لحاضر خليقتك.

ما كذبت، وأنت الصدق والصادق، وما كذبنا، فقد كان بنا، منك، لك، الصدق والصادق. بعثته بيننا أمينا، وأرسلت إليه أمينا، وجعلتهما منك علينا أمينا، وبنا حفيظا، وعلى الحياة لنا حريصا، ومن أنفسنا مُخلصًا. جعلته لنا الخلاص، وجعلته ركب الإخلاص، وجعلته للخلاص هو له، ومنه لا مناص.

رضيت الإسلام دينا، وقبلت المسلم حقا أمينا. اللهم بمن جعلته لنا ذلك، لنكون به كذلك، اجعلنا به على ما أردت لنا، وخلصنا من شرور أنفسنا، ومن شر أعمالنا، ومن شرور الأشرار من خلقك، فينا ومن حولنا.

اللهم به فأصلح شأننا، وقوم أمرنا، وولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا، وادفع عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم، وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم.

اللهم به فكن لنا في الصغير والكبير من شأننا، واجعل به اللهم خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك.

### مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة الأنفال - ٣٣
- ٢ من أشعار عبد الغني النابلسي من العصر العثماني: رويديك يا من بالتجاني أمتني ... وأهملت فيما بالوصلال وعدتني إذا قلت رفقا إني ذبتُ زدتي ... وإن قلت ما ذنبي إليك أجبتني ... وجودك ذنبٌ لا يقاس به ذنبٌ.
- ٣ حديث شريف: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم". أخرجه مسلم البخاري. وكذلك: "فإن الشيطان يجري من أحكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعاني عليه فأسلم". أخرجه أحمد بلفظه، والترمذي والدارمي. باختلاف يسير.
- ٤ وفقا لحديث شريف ذكره الإمام الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" أن الرسول قال لعائشة: ضيقي مسالك الشيطان بالجوع.
- ٥ حديث شريف: "ما من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا، إلا أن الله أعاني عليه، فأسلم، فليس يأمرني إلا بخير". أخرجه مسلم وأحمد. أيضا: "فإن الشيطان يجري من أحكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعاني عليه فأسلم". صحيح الترمذي.
- ٦ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٧ من الحديث الشريف "استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك". أخرجه أحمد بن حنبل والدارمي.
- ٨ من حديث شريف: إنَّ الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها فإنَّ أمتي سيلغُ ملكُها ما زوى لي منها وأعطيتُ الكثرين: الأحمر والأبيض... أخرجه مسلم في صحيحه.
- ٩ حديث شريف ذات صلة ذكره ابن العربي الحاتمي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله خلق مائة ألف آدم". ويصفه المحدثون بأنه لا أصل له.
- ١٠ عبارة للسيد رافع يمكن فهم مغزاها ومعناها من السياق.
- ١١ سورة المائدة - ٣٢
- ١٢ سورة هود - ٤٥
- ١٣ سورة هود - ٤٦
- ١٤ عبارة يذكرها السيد رافع ويمكن فهم معناها ومغزاها من السياق.
- ١٥ مقولة صوفية تتناغم مع خلق الله للإنسان كخليفة لله.

- ١٦ سورة النجم - ٣٩
- ١٧ حديث شريف: "ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار قالوا: يا رسول الله، فلم نعمل؟ أفلا تتكلم؟ قال: لا، اعملوا، فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى}، إلى قوله {فَسَنِّيئِرُهُ لِلْعُسْرَى} {الليل: ٥ - ١٠}. الراوي: الإمام علي بن أبي طالب. صحيح مسلم
- ١٨ من حديث قدسي: "يا عبادي! إنما هي أعمالكم ترد عليكم، فمن وجد خيراً فليحمدني ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه". الراوي: أبو ذر الغفاري. المحدث: ابن تيمية المصدر: مجموع الفتاوى، وحلية الأولياء حكم المحدث: صحيح. أيضا الحديث: "يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم بإياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه". صحيح مسلم.
- ١٩ حديث شريف: من رآني فقد رأى الحق؛ فإن الشيطان لا يتكلم بي. صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتشبه بي". صحيح ابن حبان.
- ٢٠ سورة الأحزاب - ٤٣
- ٢١ سورة التوبة - ١٠٣
- ٢٢ سورة المائدة - ١١٦
- ٢٣ سورة الروم - ١٢
- ٢٤ حديث شريف مجمع على صحته، جاء به جبريل عليه السلام عن معنى الإحسان "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك". صحيح البخاري، ومسلم.
- ٢٥ سورة الأعراف - ٢٠٥
- ٢٦ سورة الشعراء - ٢١٩: ٢١٨
- ٢٧ حديث شريف: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه". صحيح البخاري.
- ٢٨ حديث شريف: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى". أخرجه البخاري ومسلم.
- ٢٩ عبارة للسيد رافع يمكن فهم معناها ومغزاها من السياق.
- ٣٠ سورة الأحزاب - ٦
- ٣١ حديث شريف رواه الدارقطني، يتوافق مع الحديث الشريف: "ما من مسلم يسلم علي إلا رد الله علي روحه حتى أرد عليه السلام". رواه أبو داود بإسناد جيد، وحديثين ذكرهما الشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة": "أنا في قبري حي طري، من سلم علي سلمت عليه" و "الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون". أخرجه أبو يعلى والبخاري.
- ٣٢ تم تصويب هذه الكلمة وفقاً للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع.
- ٣٣ سورة الإسراء - ١٤
- ٣٤ سورة يس - ٦٥
- ٣٥ حديث شريف: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب". أخرجه البخاري ومسلم.

٣٦ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها"، رواه الطبراني في "الكبير" وذكره الغزالي في الإحياء.

(٩)

## الفقه والتفقيه للدين رسالة الإسلام والمسلمين كافة للناس أجمعين خلف أئمتهم والمتابعين من الحكماء والمجاهدين

حديث الجمعة

١٦ رمضان ١٣٨٥ هـ - ٧ يناير ١٩٦٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

به نبدأ، وبه نستعين، وله نسأل أن يفقهنا بيقين، وأن يقومنا على الدين. (فما من الله على امرئ بشيء أفضل من فقهه في دين)¹.

فما يكون فقه الدين؟ يوم يفقه الإنسان عن الدين، فيُسلم نفسه لربه، غير ضنين، ويؤمن بحقه، غير ظنين، فيعرف الله له، ويعرفه الله، فناءً فيه وبقاءً به، لا شريك له، من أمره، أو من نفسه، مسيح موجوده بمطلقه، لوجه وجوده لشاهده ومشهوده.

يعرفه الله، ويعرف الله له. هو به له لمعيته، مستغنيا به عن كل ما سواه، {أليس الله بكاف عبده}²، فلا يرى إلا إياه، يوم يراه، وقد أحاط بشيء من علمه لعلمه، بعلمه عنه، في علمه عن معناه، وعن مبناه، فيضيف مبناه بقاءه لمولاه، لقائم قيومه به لمعناه.

فيعرفه لكائنه الكون، ولوجوده الوجود، بمبناه، لمعاني العبد لله، بقاءه، في قيامه، ويعرفه بعبوديته مربوباً بربوبيته، لمعناه من الله، الحي القيوم على الحياة. فيعرف معنى العبد لمبناه، لا مغايراً ولا معزولاً عن مولاه، بيتاً للروح والحياة، لمعناه لاسم الله.

فيكم أمره بما يكشف له دون الجهر من القول عنه، ليبلغ رشد، من الفعل به، وليتسع بعمله في دائرة وجوده، ولينتشر بحقيقته في دائرة تواجده، وليقوم بإرادته، في حي ونافذ مشيئته، بناموس الله، في فطرة الله، بصبغة الله. فلا يذكر الله مجهولا عليه ولا غائبا عنه ولا مغيرا له...

فيعرف ما الإسلام.. ولمن يكون الإسلام.. ومن يكون الإسلام.. ويعرف ما الإيمان وبمن يكون الإيمان، وفيمن يقوم الإيمان.. ويعرف ما الساعة، ومتى تكون الساعة، وأين هي الساعة، ولمن وبمن تقوم الساعة.. ويعرف ما تكون القيامة، ومتى هي القيامة، وأين القيامة، ولمن القيامة.

إنه الكائن الحي.. إنه الموجود.. إنه الحياة وقد دخل في الحياة.. إنه الوجود وقد قام وبعث بالوجود.. إنه الموجود باسم الله، باسم الرحمن الرحيم، باسم الله له، لمعناه، ومبناه، أوجد معناه مبناه، ليُعلم له يوم يراه ليس في مغيرة له. {أعطى كل شيء خلقه}³، فما أعطى يوم أعطى إلا من هو كل شيء. وما كان كل شيء يوم كان، إلا الإنسان. {خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك}⁴.

أنت بمبناك لجسدك، وأنت بمعناك لروحك، هل ينفصل جسدك عن روحك؟ هل تنفصل روحك عن جسدك؟ يوم ينفصلان غبت عن الوجود بأنك، وعن العيان لمعناك.

كنت باجتماعهما من هو أنت، وبانفصالهما هنا ما بقيت! فهل تستطيع أن تبقى؟ هل تستطيع أن تغفل من الفناء؟ هل تستطيع أن تغفل من العدم؟ هل تستطيع أن تبقى في الوجود؟ هذا ما جاءت الأديان لتهديك إليه.

أرجع موجودك من الوجود إلى الوجود الذي أوجده، أرجع الروح إلى الروح، وأرجع الجسد إلى الجسد. وتواجد أنت من فعلك أنت، بموجود الوجود بجسده لجسدك، وروحه لروحك، بقاءم وجودك عارية مُوجدك، قبل أن يسترد المعير عاريته. أوجد لك وجودا من صنعك غير وجودك بعاريته بموجودك لموجدك، الله لك، عارية وجود لاسمه الخالق من الوجود الأكبر. {خلق فسوى}⁵ من الخالق الأكبر، الذي خلق الخالق، وما خلق الخالق.

إن روحك من الروح الأعظم، إن ذاتك ما هي إلا عنوان لوجه من وجوه من الذات الأقدس والذات الأكبر. فأنت بأمانة وعارية وجودك في قائمك بحضرك اسم الله، كلمة الله، أنت من تسميه الله، أنت من تذكره غائبا عن وجوده برؤية وجودك، فتغيبه عنك، وهو معك أينما كنت، وأقرب إليك من حبل الوريد واحدا لا شريك له، قائما على نفسك، بك هو ظاهر من غيبه ومن ورائك بإحاطته، {هل تعلم له سميا}⁶، هل تعلم له شريكا منك، أو من الوجود من حولك؟

أنت له وجه، وإنك لا ترى ما وراءك، من أمرك، لأمر الله بك، لأمر المحيط بك، إلا من أمامك، في مرآة قيامك، من جنسك، (المؤمن مرآة المؤمن)<sup>٧</sup>، تعرف أن الذي هو من ورائك بإحاطته، هو من وراء من تشهد بإحاطته. فإن لحقك بلطفه بانعكاسك إليك، أبصرت ببصيرة إحاطته، أنت وجهه، شهدت وجه إحاطته فيمن تشهد، هو إليك وجهه، هو مرآة وجهك له، تراه في مرآة وجهه لك. الله من ورائكما بإحاطته، {والله من ورائهم محيط}<sup>٨</sup>.

هذا فقه الدين، هذا فقه في الدين، يوم نرتقي ونرتفع بمعاني الفقه. إنه لا يكون إلا بمعرفة عن المكون، عند الكائن، وبمعرفة عن الموجد عند الوجود، بمعرفة عن الإله عند الآله، لقائم الله، عند قائمه، لمقيمه.

إن الفقه لا يسمى فقها، إن لم يكن فقها في دين. والدين لا يسمى ديناً، إن لم يكن فقها في الحقيقة. والحقيقة لا تكون حقيقة، ما لم تقم واقعا في مدركها، وقائم قيام لقائمه في حقيقته.

إنك لا تفقه عن الله، إذا لم تدخل في الله، ولا تدخل في الله، ما لم تقم بالله، ولا تقوم بالله، إلا يوم تعرف من أنت، وإلى أي أمر تغيرت وتبدلت!!! من أنت من الله.. من أنت مع الله.. مع من أنت في الله.. من الله لك.. من الله فيك.. من الله حولك.. من الله من قبلك.. من الله من بعدك.. من الله في قيامك، وقائمك.. من الله لقيومك، ورائدك.. من الله لهدفك ومنشودك.. من الله لسعيك ومقصودك.. أمع شيطانه كنت، أم مع رحمانه أنت؟!

إن علمت شيئاً من ذلك وعن ذلك وفي ذلك، فقد دخلت في فقه، أو حصلت على فقه. وبعيدا عن ذلك فلا يوصف علمك بفقه. ليس فقهاً أن تعلم أو تعلم كيف تتوضأ، أو كيف تصلي، أو كيف تحج.

ولكن فقها أن تعرف، كيف تستقيم مع الله.. كيف تتعامل مع الله، كيف تستجلب نظر الله إليك، كيف توجه نظرك إليه، كيف تهين آذانك وسمعك لتسمعه، كيف تهين لسانك وقلبك لتسمعته. هذا هو الفقه يوم يفقه الإنسان.

قد يدخل الإنسان في جماعة الإسلام، فيسلم لجماعته، وهو ليس فقيها. وقد يدخل الإنسان في الإيمان، فيؤمن بجماعة المؤمنين وهو ليس فقيها. إن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وقد جعل الدخول في الدين أمرا ميسرا، بالدخول في جماعته بأهله (المرء على دين خليله)<sup>٩</sup>.

ولكن الدخول في الإسلام والدخول في الإيمان، له نتائج حتمية، {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا}<sup>١٠</sup>، {واتقوا الله ويعلمكم الله}<sup>١١</sup> هي أن يفقه الإنسان بالإسلام وبالإيمان، عن نفسه. وإن فقه

عن نفسه، وقرأ كتاب نفسه، وأشرق نور كتابه في بنيانه لحسه، فقد "فقه الرجل"، ولن يكون له ذلك إلا بدخول البيوت لله من أبوابها. وما كانت بيوت الله إلا عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا. {يا أيها النفس المطمئنة.. ادخلي في عبادي} ١٢.

إن الفقه في الإسلام غاية، ينشدها المسلم والمؤمن، فانظروا كيف انخط الفقه عند الناس وعند المسلمين إلى مستوى، بعيدا عن الفقه في الدين، باسم الفقه في الدين. مَنْ تَعَلَّمَ كيف تكون المناسك وتؤدي فهو الفقيه. إنك تستطيع أن تتعلم كيف تؤدي المناسك، في بضع دقائق أو بضع ساعات أو بضع أيام، وإن كنت ذكيا حاضر الذهن فلست في حاجة لتحصيل ذلك إلى مُعَلِّم.

فقيمَ تنفعك حياتك وفيمَ تقضيها بعد ذلك؟ وماذا تطلب بها في ذلك، فقها وتفقهها في الدين والرسول يقول لك، (أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد) ١٣، (أطلبوا العلم ولو في الصين) ١٤؟ فما هو العلم الذي تطلب؟ وأين تطلب وقد استوفيت العلم وأحطت به في معرفة المناسك؟

هل يصح أن أشغل الحياة، بفقه في دين، لا يتجاوز بيان مناسك الدين؟! مهما لوتها في مذاهب المتذهبين، ومهما عبرت عنها بعبارات المتمشدين، إن لها حدود، وإنها في حقيقة أمرها قشور، فهي أمور تتعلق بحركات البنيان، ولا تتعلق باستقامة الإنسان أو تهذيب الوجدان، ولا تتعلق بإقامة علاقة مع الرحمن.

(الصلاة عادة، والصوم جلادة، والدين المعاملة) ١٥. المعاملة مع الله، باستقامة المعاملة مع نفسك أولا، ثم باستقامة المعاملة مع بيتك، ثم باستقامة المعاملة مع الناس، كوسيلة لغاية، هي القيام بالقيام عليك من الله.

ففي الاستقامة مع نفسك، يقوم علم النفس، وعلوم الطبائع، وعلوم الأخلاق والسلوك، والتشريح والطب، وما إلى ذلك من علوم عن الذات ومعنوياتها. وفي الاستقامة مع بيتك تقوم علوم الدنيا والآخرة، والمعرفة عن النفس الخالدة في جانبي الحياة، من الحياة الشبكية والحياة الروحية، والحياة الحقية الجامعة لهما، المنعزلة عنهما، القائمة بهما، وما إلى ذلك. وفي الاستقامة مع الناس تقوم علوم الاجتماع والسياسة والاقتصاد والقانون العام والخاص وما إلى ذلك.

إن الدين ما جاء لهذه المقابر من الأجساد، إن الدين جاء للعقول المتحررة من هذه الأحداث. إن الدين جاء للقلوب المتطورة من هذه الأرجاس. (إن في الجسد مضغة لو صلحت، صلح البدن كله، ألا وهي القلب) ١٦، {وترى الأرض هامدة، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج} ١٧.

إن القلب هو الأرض البيضاء، إنه الأرض الزهراء.. إنه الأرض الخضراء، إنه أرض الحياة، يوم يحيا في غلافه من بنیان هيكله، لمعنى العالم من حوله، لمعنى البيت، يذكر فيه اسم الله، لمعنى الغرفة، ترفع وتوضع، بيتا لله، لمعنى السراج، يُشعل ويوقد، في مشكاة الظلام، بصدر الإنسان.

تُشرق مشكاته لصدوره، بنور سراجهِ لقلبه، بذات الصدور، بذات الأمور، بذات الوجود، بذات البعث بالموجود، بذات القيام بالمشهود، بذات التحقيق للمنشود، بذات الله، لإنسان الله، لعبد الله، اسما لله، قيامه قيامه، من قيومه، بقائه، معاملة مع الله، واجب الوجود عند كل وجود به، يوم يشعر الإنسان أنه به وجد، وفيه يوجد، فبه لمعناه يتواجد.

{وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى}¹⁸، {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}¹⁹، {رَبِّ إِنْ ابْنِي مِنْ أَهْلِي}²⁰. إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح}²¹. فما كان الإنسان إلا عمله، وما تواجد الإنسان إلا بعمله، وما كسب الحياة ودوامها، والوجود وبقائه إلا من عمله، بأمانته قيامه باسم الله.

يعرف ذلك يوم يُعطى كتابه بيمينه، فيفيض برحمته، ويطلب الناس لمعناه، في معانهم لمولاه، ومولاهم في الأعلى، عطاء غير مجذوذ، في ذي المعارج، إلى اللانهائي، بالسير اللانهائي، في السائر الراضي بمسيرته، الساري فيمن دونه بمن هو بعالیه لأعلاه، مع القائم المرضي منه لمعنى رسول الله، من الأمر الوسط، من الإنسان الوسط، من الحق الوسط، من العبد الوسط، من الرب الوسط، من الإله الوسط، من الوجود الوسط المرضي من أعلاه لأزله في قائمه، الراضي عن أدناه في قيومه، الناقد لنفسه بنفسه في قائمه بقاءه.

المُسلم المؤمن هو المتفقه في الدين، العالم باليقين، المعلم بما علم لمن يريد أن يعلم، المدرك لما هو أحسن عند من أحسن، المُعرف بالإحسان لمن يعرف الإحسان ويطلبه لمزيدة لا إكراه في الدين، تبين الرشد من الغي، من شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر. (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)²²، علم ممن سبق، وتواصى بالحق مع من معه قام، وعلم من به التحق وله الحق.

من شاء أن يكون حاكما، (فالأخرة وعد صادق، يحكم فيها ملك عادل، يفرق بين الحق والباطل)²³، وما الملك عند الله، إلا أن يملك الإنسان نفسه، (الملك من مَلَك نفسه)²⁴، (وما الدنيا، لأهلها، إلا عرض حاضر، يأكل منه البر والفاجر)²⁵، ولولا رحمته بالذين آمنوا، {لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون}²⁶. ليس الإنسان عبداً للمادة بحبته ولكنه سيد عليها بعمله وإرادته وبذله وإشاره.

قال لهم نبيهم إن الله اختار لكم طالوت ملكا، فقال لهم ملكهم إن الله مبتليكم بنهر، من يشرب منه فليس مني، ومن يمتنع عنه فهو مني، وما كان النهر إلا الدنيا وزينتها، (والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تفتح لكم الدنيا فتنافسوها كما تنافسها الذين من قبلكم، فتأكلكم كما أكلتهم)<sup>٢٧</sup>، وقد فعلوا، وقد فعلت.

الدنيا ضرة الآخرة، وإن لم يخرج من الآخرة، والآخرة ضرة الدنيا، وإن لم تقس عليها وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع أهل الآخرة، {ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة} <sup>٢٨</sup>، ولكنه يؤخرهم، ولكنه يؤجلهم، ولكنه ينظرهم، ولكنه يمهلهم، ولكنه يبدلهم، ولكنه يغيرهم، ولكنه يطورهم، {ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق} <sup>٢٩</sup>.

فأنت تمشي على الأرض ولست من أهلها، ولكنك فيها وعليها وبها، تعمل على ما أنت، من جمعك في أهلك، لم تفارق، ولم يفارقوا. ويوم يكشف عنك غطاؤك، تعرف من أنت، ومن أين أنت، ومن أنت، وإلام أنت، ولم جئت إلى هذه الدار أنت، وكيف تخرج منها، ومتى تخرج منها، فقد تتعجل الخروج منها، وقد تبطيء في الخروج منها، وقد تتجدد فيها، وقد تتخلص منها، وقد ترغب في العودة إليها، وقد ترغب في الانقطاع عنها.

أنت في كل حال من هذه الأحوال، في معرفة بالدين، في ألوان من المعرفة من ألوان في الدين، في صور من المعرفة، في صور من الإنسان، في صور من الأكوان، في صور من الوجود، كلها في دائرة، لأحد في الله، لإنسان لله، من إنسانية الله، وآحاد الله، من الراشدين، من الكاملين، من المتوفين، تنشد به فيه لعينه، أن تكونه مسيحا له ومسيحا فيه وكلمة منه وحقا له ووجودا به.

إن البشرية التي نعيش فيها، بجمعها، آدم واحد بأوادمها لروح واحد بأرواحها، لقديم بعين معناها، هو لها أب ورب، مُرسلة لقادم منها، لعين معناها، هو منها لربها، عبدٌ مرسلٌ إليه، وابن يُرسل منها لقائمها بمعناها، في قائم إنسان واحد لله، لوجودها ومبناها، هو اسم واحد لله، لقائم ودائم رسول الله، منه إليه.

فكيف قدرتم الله لوعيككم؟ وكيف حكتم بمعنى الإنسان لبنيانكم؟ وكيف زعمتم وجه الله لمعانيكم؟ وإن كان الله بكل هذا لكم يعينكم، ولكن هل له عملتم وعليه حرصتم وله فقهتم، فأسلمتم، فجاهدتم وآمنتم، فاستقمتم، والمزيد من المعرفة طلبتم!

هل طلبتم العلم ولو في الصين؟؟ هل التقطتم الحكمة ولو من أفواه المجانين؟ هل عرفتم أن الله ناطق على كل لسان! وأن كل ما تسمع، لله به غاية! وله فيه حكمة! تستطيع أن تحصل عليها! إن الرجل الذي

سبّ الدين لرجل أمامك ما كذب! فقد كان دين من سبّ دينه، جديرا بالسب لأنه لا دين له، لأنه دين باطل، لأنه ما قام في دين حق. لقد كان الساب للدين، لدين هذا الرجل ناطقا بحق.

إن كل ما ينطق به الإنسان، من غث أو من ثمين، لله فيه حكمة، كيف يمكنك أن تعرف الثمين وأنت لا تميز الغث؟ ولو ميزت ما سمعت بموصوف الغث، لكان هذا إدراك منك للثمين، وكان بروز الغث فيه حكمة، هي تعريفك بالثمين، وهو لك غاية ما فرقت بين الغث والثمين، فإذا كان الغث في شهودك كان الثمين لطلبك في موجودك.

إنك يوم تدرك الأرض بمعنى الجماد، تدرك قيامك بمعنى الحياة. ويوم تعرفك ببنيانك جئت من الأرض ومنها نبت، تعرف هذا القيام من البنيان، بمعنى أصله من العدم، فتعرفك ببنيانك من العدم، وأنت لأنك به معدوم. {إنك ميت وإنهم ميتون} ٣٠. لأنهم من الأرض الميتة.

ولو أنهم نبتوا من الأرض الحية معروفة لهم بالحياة لكانوا أحياء. إن الأرض الحية، إنما هي أرض القلوب، يوم تحيا باسم الله، فتشهد بيتا وذكرا لله. ويوم تحيا، في قائم هيكلك الميت، مضغة القلب بالحياة، صلح البدن كله بالحياة، فكنت ببنيانك وهيكلك بالحياة، الأرض الحية، تمتد إليها يد الله فتمسك بها، نواة ودائرة للسموات والأرض، فتسيرها في فراغ الوجود، جبلا مسيرة، مبعوثة من مقبرة، دخانا للسموات والأرض في نشأتها سُدما في فراغ الوجود دائرة، تمتد إليها يده، ويستوي بحقه إلى أرضه لها، قبلة صلاتها وصلاتها ليُقَدَّر فيها أقواتها، في يومين، في طورين، في وجودين، في زمنين، في عصرين، في دهرين.

{وإن يوما عند ربك، كألف سنة مما تعدون} ٣١، وهو يوم الجمعة لدورة آدم برسالته، على مثال من دورة القرون بأبنائه إليه كلمات من الله له. (يبعث الله في هذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها أمور دينها) ٣٢، وهو مستوٍ إليها {في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة} ٣٣، مما تعدون، مسيرة الملائكة والروح، وقد امتدت إليها يده، فقطعت هذه الأرض عن سماواتها في هذا السديم للسموات والأرض وهو دخان، ثم ملئت بالحياة، ثم سقطت الحواجز، {ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كُلَّم به الموتى بل لله الأمر جميعا} ٣٤.

استوى إلى الأرض فقدر فيها أقواتها في يومين، في أمرين، في حقين، في رسالتين، في إمامتين، في كتابين، خلقنا الأرض كفاتا، أحياء وأمواتا، {ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير} ٣٥ وقد شاء أن تسفر مشيئته.

إنه الإنسان الكبير في نشأته.. إنه إنسان الله في بدايته، فيه الظلام والنور، فيه الغث والthin، فيه الحي والميت، هو شجرة وجود بفروعها وغصونها وبأوراقها، تتساقط وتتجدد، وبثمارها تُؤتي أكلها في كل وقت وحين، في مواسمها بدورة الحياة فيها.

إنها الحياة، إنها الناس يدورون في الحياة دورتهم، وتدور الحياة فيهم دورتها. إنها دائرة الخليقة، دائبة عاملة ناصبة، متجددة متقدمة، موجودة متواجدة، موجدة. إنها قضية الناس في الله، وإنها الحياة للناس بالله.

يقوم فيها الناس، فيجافونها بكنودهم فيفقدونها بتعاستهم في كرتهم أو يوادونها بحبهم فيكسبونها في كرتهم لسعادتهم. إنهم الأموات، يوم يقومون بمبانيهم مشغولين بها، وإنهم الحي القيوم، يوم يقومون بمعانيهم من الحياة، فيصيرون أحياء بعارية الحياة هي لهم.

فهل يستوي في معنى الإنسان، وفي وجود الإنسان، وفي قائم الإنسان، قائم فيه، كسب الحياة، وشيء فيه فقد الحياة، أو لم يكسب الحياة بعد؟ هل تستوي الظلمات والنور، أو الظل والحرور؟

رفعنا بعضكم فوق بعض درجات، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً. إن الله لا يحب المستكبرين. إن الله يحب المتواضعين. إن عباد الرحمن لا يستكبرون، ولكنهم يتواضعون، فلا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله. {الذين كفروا في عزة وشقاق} ٣٦.

كلكم لله وجوه، وكلكم بأمانة الله لكم أسماء له، ازرعوا كلمة الله في أرض ناسوتكم، واقبلوها لأنفسكم حية متحققة محققة لكم بينكم لتكونوا أبناء المعروف لكم.

كيف تكسبونها وأنتم في مجتمعكم، فيكم وبينكم تنكرونها؟ نعم إنها خفية بينكم لبعض الوقت فلن تعرفوها قبل أن تصدقوها، فبصدق تطلبوها، فإكراماً لها ومعرفة بها، في كل إنسان، فاشهدوها، حتى تعثروا عليها وتلاقوها، بمواصفات قامت بينكم، وفقهتموها. هذا من فقهكم يوم تفقهون، فافقهوها، وفقهوها، وابحثوا عنها حتى تلاقوها، فإن تلاقيتم بها فتواصوها. {من يهدي الله فهو المهتدي} ٣٧، {ومن يضل فلن تجد له وليا مرشداً} ٣٨، و{المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخال} ٣٩، فمن لا خلة له، لا هداية له. {الخير فيّ وفي أمتي إلى يوم القيامة} ٤٠.

إن البشرية بظاهرها وباطنها وحدة للحق، وهي لأهلها لمفرداتها سر الحياة، والوجود بجمعها، إنها الإنسانية لفردتها، وإنها الفرد لوحدايتها لجمعها لمعنى إنسانها، إنها آدمها، وعيساها ومحمدها وخضرها وموساها، إنها العبد لها فيها والرب عليها منها، (تلد الأمة ربها) ٤١، (أول من تنشق عنه الأرض

أنا<sup>٤٢</sup>، {أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم...<sup>٤٣</sup>}. إنها سيدها وخادمها، وإنها مولاهها ومولاها، إنها أميرها ومبتلاها.

هذا ما قامه فينا رسول الله، وما علمنا إياه رسول الله، وما حمل إلينا بشره رسول الله، وما أقامنا بمن أقامنا به، بعين معناه، رسول الله، تواضع لنا بظلاله وظاهر أحواله، فحملنا من تحت أقدامنا، وأظننا به بظلاله وعلى أحواله، فقام به من فوقنا، وهو ما انتشر به فينا، نورا للأعلى، وقياما للمطلق، ورسولا من حقيقتنا إلينا، لحقنا بنا، فرأى مرسله فينا، فتأدب معنا، أدبا مع مرسله إلينا. كل هذا كان لنا من رسول الله إلينا مع رسول الله بنا من أنفسنا، بشرنا به لنا معه، وحذرنا من فواته بتفريطنا في أمرنا لمتابعته.

{ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك<sup>٤٤</sup>} (واخفض لهم جناح الذل من الرحمة)<sup>٤٥</sup>، {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه<sup>٤٦</sup>، {اصبر وما صبرك إلا بالله<sup>٤٧</sup>، {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون<sup>٤٨</sup>، {ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما<sup>٤٩</sup>، {لا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا<sup>٥٠</sup>.

ظهر بعبوديته، لمعلوم ربوبيته، فرأى الله في الناس في كل وجه، وعرف حكمته بهم في كل أمر، فاستجاب للعلم الحكيم منهم، عليم الله وحكيم الله، وتخلّى عن الجاهل والظالم منهم، متأملا فيه، صابرا معه، معالجا له، متكبرا على المتكبر صدقة منه، حتى يفيق إلى موصوف نفسه عند نفسه، بالكبير لشهوده، بمن هو منه أكبر، لعين وجوده، ولعين موجوده، ولعين مشاهدته، فهدى وعلم، (الكبر على أهل الكبر صدقة)<sup>٥١</sup>.

لم يستعل ولم يدع إلى الاستعلاء، وفرق بين الاستعلاء والعزة بالله، (الأمير أجبر قومه)<sup>٥٢</sup>، (سيد القوم خادمهم)<sup>٥٣</sup>، فإن رأيتوني سيدكم، فاشهدوني خادمكم، وتأملوني لمعاني الحق لكم، (من رأيي فقد رأيي حقا)<sup>٥٤</sup>.

من رأيي مولاه، كنت مولاه.. من رأيي مولاه لمعنى السيادة والقيادة، كنت مولاه لمعنى الخدمة والريادة. (من كنت مولاه فعلي مولاه)<sup>٥٥</sup>. إن عليا يتقن ويحسن معناه، لمولاه بأعلاه، ولمولاه بأداناه، (أنا مدينة العلم وعلى بابها)<sup>٥٦</sup>، {رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين<sup>٥٧</sup>. (خلفت الله عليكم)<sup>٥٨</sup>، (علي مني وأنا من علي)<sup>٥٩</sup>، (فاطمة ابنتي روجي، من أغضبها أغضبتني<sup>٦٠</sup>، ومن أغضبتني أغضب الله<sup>٦١</sup>). أنا الحق الذي قد يتصف بالغضب، أما الحق لموصوف الله فإنه لا يغضب، وإن غضب فهو إنما يغضب بغضبي {وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى<sup>٦٢</sup>.

فهل أدركنا ذلك؟ هل أدركنا شيئاً من ذلك؟ هل حاولنا أن ندرك شيئاً من ذلك؟ هل حاولنا أن نتدارك أمرنا في ذلك، فنعوض ما غفل الآباء عنه من ذلك؟ هذا أمرنا في قائمتنا اليوم. ونحن أمام رسالة جديدة تجديداً لرسالة الفطرة القديمة فما هي بجديدة، فهي الرسالة القديمة، وما كانت يوماً بقديمة، وما ظهرت دوماً إلا جديدة.

إنها دائماً يوم يقوم الروح لرب العالمين. ومتى كان الروح، غير قائم لرب العالمين! إنها بذلك دائماً متواصلة متصلة، إنما هي اليوم أمر الله، يكشفه الله، على نطاق عام، وعلى نطاق واسع على مستوى البشرية، ليدور فيه فقه الدين.

وقد كشفه وأداره في قبل في دوائر ضيقة باسم الأنبياء على مستوى الفرد والبيت والجماعة والأمة رسالة متصلة متواصلة، حتى جاء عبد الله رحمة للعالمين، فجعل الناس جميعاً، لقيام النبوة لأطوارهم، ولحال الأنبياء لأسرارهم سواسية، وقدم معرفة الأنبياء لكسبهم.

ليقوموا لله بموصوف العباد للرب يلقونه معهم وفي أنفسهم أسماء له ووجوها له، معرفاً لهم عنهم، موقظاً لهم من غفلتهم عن حقهم، ومشرفاً لهم بهم، ييقظتهم لحقيقتهم، معروفاً لهم، متعارفاً إليهم برسوله من أنفسهم، بقيام لشهودهم بينهم، بيتاً يذكر فيه اسم الله...

حتى إلى تخلص لهم من عالم غفلتهم لعوالم يقظتهم في أعلى الوجود، ملاً فلاً، وملاً لملاً، بدءاً من ملاً ذواتهم، وبذلك يعرفون عن الله لهم قائماً قبل وجودهم، تجلى بهم، ويعرفون عن الله باقياً بهم، بعد تواجدهم، في قائم وجودهم لوجوده.

بذلك قام الرسول بشعاره (لا إله إلا الله، والله أكبر) لمن شهد به في نفسه (محمد رسول الله)، أولى به منها، وأبقى له بها. {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} ٦٣، جعل الله له نوراً يمشي به في الناس، يكفرون بشركه معهم فيهم، يوم يشهدونهم به، فيرون وحدانية الله معهم، بوحدانية الله لعقائدهم وحسبهم، يوم يدركون الرسول لهم عروة رباطهم وحلقة وصلتهم. {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً} ٦٤. هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين} ٦٥ {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} ٦٦، {فصل لربك وانحر} ٦٧.

إن الرسول، هو بيت الله الدائم بأبوابه بعترته، وهو قبلة الله بدائم طلعتة، وهو طريق الحياة بمنشور هديه وحكمته، وهو روح الوجود لكل من به تواجد، وذات الوجود لكل من له شاهد، وهو طريق الوجود في دناءه بكوثره بالناس وفي أخراه بخبره بالإنسان لله، حقاً وعبداء، عروجا إلى الله، وسيرا إلى الله،

طلبنا الله بالأكبر والأكبر لله في اللانهائي، وهو الطريق، وحياة الطريق، وروح الطريق، واستقامة الوجود بالطريق، وغاية الطريق بالحياة، لمن طلب الطريق والحياة.

نشهد أنه لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

إذا لم تُدرك الطريق، على ما قامها محمد، وأقامها، واستقامها، وفي الناس قدمها، وبالله أظهرها وقومها، فإننا لا ندرك ما قدمه عيسى من حقائق الإنسان، بأقانيه ونظريته، في وحدانية الإنسان وأحدثه، ولا ندرك ما قامه موسى بآدميته، وبطلبه الشهود لتام وصلته، ولا ندرك ما قامه إبراهيم، ببيته وحقيقته، جديد قديم لآوادم آدميته، ولا ندرك ما قامه نوح، لمعنى سفينته، جديد أبوة لبشريته، وطريق خلاص لأهل حضرته، ولا ندرك ما يقوم فيه الخضر، لمعاني إنسانه وإنسانيته، مُعلماً للنبيين، والحكماء والأولياء، بظهور علميته، لفيض علمه، لمن ظهر له بشخصيته.

إن هذا كله، قدمه دين الفطرة مع رسولها، وإنسانها، وقائمها، صبغة لله في أزله بأسمائه وبالإنسانية إنسانية الرشاد له، لا حد ولا حصر لها. فردها يتحدث عنه الوجود، هو له موجود حقه، بقائم حقه بفردته، اسماً للانهائي، ووجه طلعه في وجوده لموجوده.

فالحقيقة لا تُعرف، إلا في مجال الوجدانية، وأنت في موجودك وقائمك لا تعرف الحقيقة، إلا في مجالك أنت بقائمك أنت بالوجدانية، يوم تعرف من هو أقرب إليك من جبل الوريد، يوم يكشف لك عنك غطاؤك، لتعرف أنك كنت من كان أقرب إليك من جبل الوريد. وما كان أقرب إليك من جبل الوريد إلا أنت، إلا آدم إنسانيتك، إلا إنسان آدميتك، فهو كلمة لله، من كلمات لله، لا عد ولا حصر لها، كملت وتوفيت ووفيت، هو اسم لله، من أسماء لله، لا عد ولا حصر لها. هو وجه لله من وجوه لله، لا عد ولا حصر لها.

إن اللانهائي يُعرف عن طريق العلم، وهو لا يغيب ولا يُغيب، وعن طريق العلم يعرف أنه لا يتصل، فهو الواصل المتصل، فكيف يوصل؟ وعن طريق العلم ندرك أنه في حكم المعدوم عند الموجود به. فالموجود به لا يعرف عن معنى الوجود له، إلا أنه الوجود لمعناه. ولا يعرف شيئاً عن اللانهائي لمعنى غيره. فاللانهائية نعته، بالانهائية مرتقاه في تواجده له.

إن المجهول عليه إنما هي نفسه للانهائية، إنها الغيب. وبالغيب له به يقوم، يرى أنه منه له الوجود الواسع. ولكن من يكون هو؟ هل هو معلومه له بمبانيه، يدركه بقيامه فيه بمعانيه؟ إنه لا يرتضي المقيد لأناه، ويرتضي له الواسع بمعناه، يراه في الأوسع لغايته ومرماه في مرتقاه.

هو القدس، ولكن ينتظره ليراه في الأقدس له. هو العظمة ولكن يراه في منشوده للأعظم له. هو الوجود ولكن يراه في الموجود الأكبر له، إلى لانهائية.

إنه على أي حال، وفي كل الأحوال، تابع لمتبوع لا يعلمه، ويعلم أنه لا غيرية له معه، وأنه لا يراه فيه، إلا على ما يرى هو من فيه، على ما هم فيهم به، إنهم فيه يعلمونهم، ولا يعلمونه، إنهم موجودون به ولا يتواجدونه وهو يريدهم أن يتواجدوه، وما تواجدهم إلا ليتواجدوه ولكنهم لا يعرفونه فلاأنفسهم يطلبونه، فهو عليهم الصابر، ولهم المواسي.. إن حالهم فيه، هو عين حاله فيمن يعشقه ويعنيه حتى يلاقه، لموصوف الرفيق الأعلى يدانيه. فبذلك كان الأمر الوسط خير الأمور.

إن الذي خرج عن دائرة الأمر الوسط زلت به القدم، فإن رآه في القاع نهاية له أماته اليأس، وإن رآه في عظمة وكبرياء القمة له فقد أماته الكبر، ولكنه ما كان مع رسول الله كان في أمان من اليأس وفي أمان من الكبر.

إنه فيه لعين معناه وقائم معانيه، اتبعوني يحبكم الله، من كان مني كنت منه، فإن أردت رجلا ليكون مني فأنا منه، فعلي مني وأنا من علي، وحسن مني وأنا من حسن، وحسين من علي وعلي من حسين، ومن كان من علي وعلي مني، فهو مني وأنا منه، (من كنت مولاه فعلي مولاه)<sup>٦٨</sup>، (أنا مدينة العلم وعلي بابها)<sup>٦٩</sup>، إني وإياه، ومن كان منا لمعناه ومبناه قانون الفطرة للوجود وناموس الصبغة للحق من الله للشهود.

يا علي إن النظرة الأولى منك، والنظرة الثانية عليك، يا علي، تأمل الله، وانظر الله حيثما كنت، فالنظرة الأولى لك، فإن صلحت، ولما علمت علمت، وبما أمرتك، نفسك قدمت، فقامت، كانت النظرة الثانية عليك.

يا علي انظر الله وانشغل به حيثما كنت. وأحي قلبك بذكره ما تحدثت، ينظر فيك الله، للناس، ويرونك وجه الله على ما علمت، وعلى ما رأيته لك وكتمت، وما علمتك، وبكتمت ما علمتك أمرتك، إلا لأهله على ما أذنتك<sup>٧٠</sup> إلا ليربط الله على قلبك لتكون من الموقنين.

يا علي (إنا نرى أصحابك قد خولطوا)<sup>٧١</sup>، قال نعم فقد (خالطهم أمر جلل)<sup>٧٢</sup>. أرايت ربك يا علي؟ قال (كيف أعبد ما لا أرى)<sup>٧٣</sup>؟! (وفي فنائي فني فنائي.. وفي فنائي وجدت أنت)<sup>٧٤</sup>، من اسمه اللهم.

سُئل رسول الله، كيف رأيت ربك؟ قال عليه السلام والصلوات انعكس بصري في بصيرتي، فرأيت من ليس كمثل شيء.. إنه الأعلى داناني، فكنت الأدنى له، في عليائه، وكان الأعلى لي لبقائي في بقائه.

(فلست على هيئتكم)<sup>٧٥</sup>، (ما عرفني غير ربي)<sup>٧٦</sup>. لقد رأيتني ليس كمثلي شيء يوم بعثت بالحق. وقد صرت كل شيء وأحطت بكل شيء. وقد أظهرني على الدين كله.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

اللهم به فارحمنا، اللهم به فأنزل السكينة على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا. اللهم به فحقق طريقنا. اللهم به فأذهب الغمة عن أرضنا. اللهم به فقمنا. اللهم اجعله لنا معانا ومبنانا في مرتقانا، في قعودنا، وفي مسرانا، وفي أطوارنا، وعلانا.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

### مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ من الحديث الشريف: "من يُرد الله به خيرا يُفقهه في الدين". رواه البخاري ومسلم.
- ٢ سورة الزمر - ٣٦
- ٣ سورة طه - ٥٠
- ٤ سورة الانفطار ٧-٨
- ٥ سورة الأعلى - ٢
- ٦ سورة مريم - ٦٥
- ٧ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني
- ٨ سورة البروج - ٢٠.
- ٩ حديث شريف. "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل". أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.
- ١٠ سورة العنكبوت - ٦٩
- ١١ سورة البقرة - ٢٨٢
- ١٢ سورة الفجر - ٣٠، ٢٧.
- ١٣ حديث شريف: "اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد" المحدث ابن باز. يُصنف بأنه حديث ضعيف، ولكنه يوافق الحديث الشريف: "طلب العلم فريضة على كل مسلم". أخرجه ابن ماجه، والبزار، وأبو يعلي.
- ١٤ مقولة شائعة توافق الحديث الشريف: "طلب العلم فريضة على كل مسلم". أخرجه ابن ماجه، والبزار، وأبو يعلي.
- ١٥ مقولة للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. "الصلاة عادة، والصوم جلادة، ومعاملة الناس هي العبادة".
- ١٦ حديث شريف: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب". أخرجه البخاري ومسلم.

- ١٧ سورة الحج - ٥
- ١٨ سورة النجم - ٣٩
- ١٩ سورة الزلزلة - ٨-٧
- ٢٠ سورة هود - ٤٥
- ٢١ سورة هود - ٤٦
- ٢٢ حديث شريف. أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، وأحمد، والترمذي: "ألا كلّم راع وكلّم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وهي مسئولة عنه، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلّم راع وكلّم مسؤول عن رعيته".
- ٢٣ حديث شريف: "يا أيها الناس! إنّ الدنيا عرضٌ حاضرٌ، يأكل منها البرّ والفاجر، وإنّ الآخرة وعدٌ صادقٌ، يحكم فيها ملكٌ عادلٌ قادرٌ، يحقّ فيها الحقّ، ويبطل الباطل، كونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإنّ كلّ أمٍّ يتبعها ولدها". أخرجه الطبراني، وابن عدي، وأبو نعيم جميعاً بلفظه، والبيهقي مختصراً.
- ٢٤ استلهاما من الحديث الشريف: "ليس الشديد بالصرعة، إنّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب". أخرجه البخاري ومسلم
- ٢٥ أنظر الحديث في الملاحظة قبل السابقة.
- ٢٦ سورة الزخرف - ٣٣
- ٢٧ حديث شريف: "فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم". صحيح البخاري.
- ٢٨ سورة النحل - ٦١
- ٢٩ سورة الأحقاف - ٣
- ٣٠ سورة الزمر - ٣٠
- ٣١ سورة الحج-٤٧
- ٣٢ إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها". أخرجه أبو داود والحاكم.
- ٣٣ سورة المعارج - ٤
- ٣٤ سورة الرعد - ٣١
- ٣٥ سورة الشورى - ٢٩
- ٣٦ سورة ص - ٢
- ٣٧ سورة الكهف - ١٧
- ٣٨ سورة الكهف - ١٧
- ٣٩ حديث شريف: "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل". أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.

- ٤٠ تقول معظم كتب الأحاديث الشريفة إنه لم يثبت عن الرسول كحديث شريف، ولكن معناه صحيح ويتوافق مع الحديث الشريف: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك" أخرجه مسلم والبخاري بنحوه وغيرهما عن جمع من الصحابة بألفاظ متقاربة.
- ٤١ إشارة إلى الحديث الشريف: " (مَنْ أَشْرَاطُ السَّاعَةِ أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّهَا) . رواه البخاري.
- ٤٢ من الحديث الشريف: "أنا سيد ولد آدم ولا نخر وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا نخر وأنا أول شافعٍ وأول مشفعٍ ولا نخر ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا نخر." صحيح ابن ماجه.
- ٤٣ سورة النمل - ٨٢
- ٤٤ سورة آل عمران - ١٥٩
- ٤٥ استلهاما من {واخفض جناحك للمؤمنين} سورة الحجر - ٨٨، {واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين} سورة الشعراء - ٢١٥
- ٤٦ سورة الكهف - ٢٨
- ٤٧ سورة النحل - ١٢٧
- ٤٨ سورة النحل - ١٢٨
- ٤٩ سورة الأحزاب - ١
- ٥٠ سورة الكهف - ٢٨
- ٥١ قول مأثور ذكره عدد من العلماء بصيغ مختلفة، منها "التكبر على المتكبر صدقة، لأنه إذا تواضعت له تهادى في ضلاله، وإذا تكبرت عليه تنبه، يرجع إلى إسماعيل بن محمد العجلوني (المتوفى سنة ١١٦٢ هـ / ١٧٤٩ م)، وهو عالم محدث وشافعي المذهب، واشتهر بكونه مؤلف كتاب "كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس". كما نقل عن الشافعي "تكبر على المتكبر مرتين".
- ٥٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.
- ٥٣ حديث شريف. أخرجه أبو القاسم الشهرزوري في ((الأمالي)) كما في ((سلسلة الأحاديث الضعيفة)) للألباني.
- ٥٤ حديث شريف: مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنِي. صحيح البخاري. وقد جاء بلفظ "مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَى، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَشَبَّهُ بِي". صحيح ابن حبان.
- ٥٥ حديث شريف، يوم غدیر خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بيدِ عَلِيٍّ رضي الله عنه، فقال أَلَسْتُ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ قَالُوا بَلَى قَالَ أَلَسْتُ أَوَّلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ قَالُوا بَلَى قَالَ فَهَذَا وَلِيُّيُّ مَنْ أَنَا مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ اللَّهُمَّ عَادِ مِنْ عَادَاهُ. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.
- ٥٦ حديث شريف: "أنا مدينةُ العلم، وعليُّ بابها، فمن أرادَ العلمَ فليأتِهِ مِنْ بَابِهِ". المحدث: السيوطي. المصدر: الجامع الصغير، أخرجه الطبراني، وابن عدي، والحاكم..
- ٥٧ سورة الأنبياء - ٨٩
- ٥٨ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

- ٥٩ حديث شريف: "إن علياً مني وأنا منه وهو وليّ كل مؤمن بعدي"، أخرجه ابن حبان واللفظ له، والترمذي وأحمد باختلاف يسير.
- ٦٠ حديث شريف: أخرجه البخاري ومسلم، بصيغ متعددة، "فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني".
- ٦١ استلهاما من حديث شريف، جاء بصيغ متعددة: "فاطمة بضعة مني وأنا منها، فمن آذاها فقد آذاني، من آذاني فقد آذى الله". المكتبة الشيعية. بحار الأنوار.
- ٦٢ سورة الأنفال - ١٧
- ٦٣ سورة الأحزاب - ٦
- ٦٤ سورة النساء - ٦٥
- ٦٥ سورة الشعراء - ٢١٨:٢١٩
- ٦٦ سورة الأحزاب - ٦
- ٦٧ سورة الكوثر - ٢
- ٦٨ حديث شريف، يوم غدیر خم، بعد حجة الوداع، حيث أخذ صلى الله عليه وسلم، بيد علي رضي الله عنه، فقال ألسن أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى قال ألسن أولى بكل مؤمن من نفسه قالوا بلى قال فهذا ولي من أنا مولاه اللهم وال من والاه اللهم عاد من عاداه. صحيح ابن ماجه، أخرجه ابن ماجه وأحمد.
- ٦٩ حديث شريف: "أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت من بابي". المحدث: السيوطي. المصدر: الجامع الصغير، أخرجه الطبراني، وابن عدي، والحاكم.
- ٧٠ هذه الكلمة تم تصويبها وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع، والنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.
- ٧١ من كتاب نهج البلاغة، في وصف الإمام علي للمتقين: "نظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض. ويقول قد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم. لا يرضون من أعمالهم القليل. ولا يستكثرون الكثير. فهم لأنفسهم متهمون. ومن أعمالهم مشفقون".
- ٧٢ أنظر الملاحظة السابقة.
- ٧٣ من حديث للإمام علي حين سأله أحد الرجال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أفأعبد ما لا أرى؟ فقال: وكيف تراه؟ فقال: لا تراه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان. قريب من الأشياء غير ملامس. بعيد منها غير مبين. متكلم لا بروية، مريد لا بهمة. صانع لا بجارحة. لطيف لا يوصف بالخفاء. كبير لا يوصف بالجفاء. بصير لا يوصف بالحاسة. رحيم لا يوصف بالرقّة. تعنو الوجوه لعظمته، وتجب القلوب من مخافته. من نهج البلاغة. المكتبة الشيعية
- ٧٤ من أبيات للإمام علي بن أبي طالب: أَحَطَّ عَلِمًا بِكُلِّ شَيْءٍ فَكُلُّ شَيْءٍ أَرَاهُ أَتَاوَفِي فَنَائِي فَنَائِي وَفِي فَنَائِي وَجَدْتُ أَنَا
- ٧٥ من الحديث الشريف: "إيّاكم والوصالَ إيّاكم والوصالَ قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله قال: إنّي لست كهَيْئَتِكُمْ إنّي أبيتُ يطعمُنِي رَبِّي ويسقِينِي" أخرجه مالك، والبخاري ومسلم باختلاف يسير.
- ٧٦ حديث ذكره بعض المتصوفة ومنهم الشيخ الكاظمي بلفظ "ما عرفني حقيقة إلا ربي".

(١٠)

## وجوها لله نقوم لوجوه لله نشهد في الله لا شريك له

حديث الجمعة

٢٣ رمضان ١٣٨٥ هـ - ١٤ يناير ١٩٦٦ م

أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس. به أومن، رسولا لرب العالمين، مالك يوم الدين. من له نعبدنا، وبه نستعين، لنعرف أنفسنا، وربنا، وربنا، وربنا، وقائمنا، وقائمنا، الله لا شريك له.

إن الله يعلمنا، على ما علمنا، من منه به، بُعث بيننا، رسولا من أنفسنا، وحقا، قائما، وقائمنا، لإيماننا، لا نفرق بينه وبين الأعلى له، ولا نفصلنا عنهما ونراهما معاني الحياة لنا فينا، لقيامنا، بقيوم الرب علينا في أنفسنا لقائم الله لكلينا وفي معيتنا، من ورائنا بإحاطته، قائما أبديا، ومن ورائه بإحاطته، قيوما أزليا.

وجوها لله نقوم، لوجوه لله نشهد، في الله لا شريك له منا، ولا غير له معه بنا. في قيامنا بلا إله إلا الله، لشهودنا لا إله إلا الله، أقرب إلينا من جبل الوريد، مصدقين، محققين، مسلمين، مؤمنين، موقنين، مع من حقق ذلك لنفسه، وأيقنه لحسه، وأدركه لعلمه، وقامه بفعله، ونشره برحمته عزيزا، معزوزا، معززا، بقدرته.

لم يُشارك الأعلى في مكانته، وإن بعث بالحق عين طلعت، فقام به علينا، فكان عليه علما، بيننا، لنراه لنا، فينا، بمتابعته لإيمانه منشود إيماننا، وإسلامه منشود إسلامنا، ويقينه مقصود يقيننا، وشهوده لمرجؤ شهودنا.

فكاه بحبته، يوم رضينا فأحبنا، فتشاهدنا، وشهدنا، أنه لا إله إلا الله، قائما وقيومنا، بقائمنا لنا محمدا رسول الله، وقيومه علينا، قائم الحق من الله.

جاء من جعله الله صفوة القديم، للإنسان، وأصل القادم، للإنسان، فقام بيننا عين شبحنا لمثلنا، قائم الإنسان لمعناه العلم والعنوان، ولكتابه البيان، ولقيامه بيننا الإحسان، يوم نحسن التخلق بخلقه، فيطورنا الخالق لخلقه بحقه.

هل عرفناه سبقنا في تطوره؟ هل عرفناه سبقنا في تحصيل حكمته؟ هل عرفناه سبقنا في تطوير خليقته؟ هل عرفناه علانا في أطوار غيبته؟ هل عرفناه مبعوثا بيننا بقديم حقيقته؟ هل عرفناه مدانينا في دوام بداني رحمته؟ هل عرفناه نور الله؟ هل عرفناه حق الله لأهل السماوات والأرض؟

هل عرفنا السماوات والأرض، ذرة فيه وفي حقيقته؟ هل عرفنا السماوات والأرض كتابا يقرأ بمعانيه لكتاب الوجود رسولا عن موجدته؟ هل عرفناه وجه الله، فشهدنا وجه الله، حيثما ولينا؟ هل عرفناه الحق من الله، فآمنا به، في أطوارنا، على ما نحن، وعلى ما كنا، وانتظرناه لنا على ما نكون، فله قبلنا، وخلفه عرجنا، وله في دوام استقبلنا جديدا لاقينا، فبالجديد تجددنا، فإلى القديم عرجنا، فبالقديم قننا، فن جديد تقادمنا، ومن قديم تجددنا، فبالقديم والجديد قننا، وواصلنا، وبالحياة علونا، وعن الوصف تعالينا؟

فعرفنا في الوجود وكهفه كم لبثنا، فعرفنا ما قدمنا وما أخرنا، وعمنا نحن فيه قائمون كشفنا، ففي أغلفتنا، ما حصرنا، وأحرارا منطلقين عتقنا، من سجين ذواتنا لجلودنا، كم أمسكتنا، وفيها حبستنا ونحن بها تعلقنا، ولها عشقنا...

الحرية رفضنا والسجن طلبنا، وبالسجن أغرمنا وبالدينيا فتننا، فعلى باطلنا اجتمعنا، حول نصب من الباطل، أنفسنا لها عبدنا، وأنفسنا لله ما قدرنا، طاغين لطغاة قننا. نفوسنا للباطل جندنا. وما لباطل فينا خاصمنا. وباسم الله لنا ما نطقنا، وبقلوبنا لذكره بنا ما رددنا، وما لاسمه خشعنا، أول كتابه قرأنا، فلمسناه ولمسنا فأشرقنا وعلمنا، فقام بنا نورا عرفنا، لا ألفاظا بألسنتنا لكنا، فوهوم فقه تمشدقنا وهرطقنا.

فنحن بحالنا لا لحق طلبنا، ولا حقا عرفنا، والحق لأنفسنا زعمنا، ونصبا بالباطل قننا، وباسم الحق وهما وأوهما، ضالين أضللنا، ومضلين فجرنا وتكاثرنا، وللطغيان والفجر نشرنا، ولله نسبنا، ووهم العمل باسم الله أنفسنا قدمنا، جريئين على الله، ما خشعنا وما اتقينا.

فأي رحمة نطلب؟ وأي إله نسجد؟ وأي قبلة نستقبل؟ وأي حكمة نعقل؟ وأي كتاب نحمل؟ وبأي أمر نعدل؟

لو سألنا ضمائنا لصدقنا، ولو مع أنفسنا صدقنا، ما لباطل صدقنا، ولا لنفس خضعنا، ولا وراء الضلال مشينا، ولا لنصب الشيطان سجدنا، بل قبلة الرحمن عرفنا، وبيت الإحسان أطعنا، وإنسان الله لإنساننا ما أخطأنا، لو أننا بصفاء للحق طلبنا.

إن الحق، لا يُطلب، عن طريق الطرب للاستماع، ولكن الحق يطلب بالعمل عند الارتجاع، فيلقاه الإنسان عند الضمير يوم يستيقظ، وعند القلب يوم يهجع فيخشع، فعما فيه من الأوهام يرجع، وعند العقل، يوم يتحرر، من سجن التقليد، ومن مزاعم التعبيد، ومن أنغام التردد لعبارات الكتاب المجيد.

إن العقل، في سجن ظلامه بالتقليد، في طريق هلاكه بأوهام التعبيد. إن العقل ليس عبداً، إن العبودية إنما هي للنفس، وإن الربوبية إنما هي للعقل، وإن الألوهية إنما هي للروح. إن الإنسان، بمعناه لذاته، فيه كفاياته، لألوان آياته، لعدد كلماته، لأحدثه بمعناه وصفاته لواحديته لوجوده.

الإنسان بحقه هو يد الله، هو عين الله، هو أذن الله، هو فم الله، هو قدم الله، هو وجه الله، هو اسم الله بمعناه لجماعه، عند ارتجاعه، لأحسن تقويم، ظل وجوده، بنفسه لموعوده، لأحسن تقويم. فما كان الإنسان في أحسن تقويم، إلا علم المحسن له، بموجوده، علماً على وجوده.

إن الإنسان في أحسن تقويم، هو اسم الله، هو أسماء الله، هو الاسم الأعظم لله، هو جماع أسماء الله لصفاته ووجهه لذاته. هو ظاهر حقائق الله لكلماته، هو قيامة أمر الله لآياته. الله للإنسان له، هو باطنه، والإنسان لله هو الله وجهه وظاهره، هكذا عرّف الإسلام الإنسان وربّه، هكذا عرّفتها رسالة الفطرة في أحديتهما اسماً لله بالعبد والرب وجوهاً له كلاهما لله ومن الله.

هكذا عرّفت آيات الوجود عن الإنسان لنفسه وعن الإنسان لله، فكان الإسلام هو الطريق لكل موجود إلى حقه لفطرته بشعاره لا إله إلا الله، في متابعة رسول الله، إلى الله أكبر، والله أكبر، ويطول بنا إسناد عننة، من ذاتنا، حتى إلى ذاته، في الله ذي المعارج، تعرج إليه الملائكة والروح، ويعرج بالملائكة والروح إلى الإنسان له لمعنى المثل الأعلى له.

{وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان}¹. هل دعوني فلم يجدوني، وفي أنفسهم لم يلاقوني، في يعرفوني؟ فما عرفني غيري فإذا ما وهمهم غيري، فكيف يعرفوني؟ {إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء}².

الذين كفروا بي معيتهم، الذين كفروا، بما بلغوا، من أن الله معهم ولم يصدقوني، من أني أقرب إليهم من جبل الوريد، فلم يتقوني، وأنا معهم ومن ورائهم بإحاطتي أبعدونني ولم يعشقوني لشهودهم. وأنا المشهود لهم والمشهود بهم. أينما توجهوا أولئك كيف يعرفوني؟

كيف يعرفوني ولم ينشدوني لهم شاهدا ومشهودا، فلم يتأملوهم ولم يكشفوهم؟ كيف يعرفون الحق لهم، وقد اختفى في شدة ظهوره، إلا يوم يؤمنون بهم له، هو من حولهم، وهو فيهم بظهوره بهم لهم، يوم يشهدوهم له، فيما يشهدون لهم يوم يعرفوهم فيما يعرفون، ويوم يلاقوهم فيما يلاقون؟ الله من ورائهم بإحاطته، والله لهم عليهم بيد نجاته، والله من تحتهم بيده ثقلهم، على عين أمره من فوقهم بيده تظلمهم، هم بين يدي رحمته دائما وأبدا، على ما كان الإنسان فيه أزلا وسرمدا.

جاءت رسالة الإسلام لأهل الدنيا، لتكشف عن الدنيا مزرعة للآخرة، جاءت بمشروع للحياة الأبدية بإنسان أولية لعباد، لا آخريه لهم، على ما عرّفت وقامت في الحياة الأزلية، تعريفا عن الفطرة السرمدية. جاءت تضفي الحياة على الموتى، جاءت لتبعث هذه القلوب المنقبرة بالحياة. جاءت لتحرر القلوب التي لمستها الحياة في الجلود المحددة للعوالم المنظرة، التي جاءت إلى هذه الحياة الأرضية لتستوفي لمعانها فكانت هياكلها لها هي المقبرة للقلوب منقبرة. جاءت تخاطب النفوس زاجرة، وتخاطب العقول مذكّرة، وتخاطب القلوب منبعثة، للحياة بمزيد مفتقرة. جاءت لتخلق الحياة في هياكل الحياة.

إن رسالة الإسلام، إنما هي بجالات أعمالها رسالات كثيرة. أهمها وجوهرها ثلاث، مجالها للخطاب والعمل، النفس، والعقل، والقلب. فهي ليست رسالة واحدة في ذاتها ولا تقوم في مجال واحد بذاته. فإذا أعملنا هذه الرسالات الثلاث الجوهرية، فاستقبل العقل منشوده من المعرفة تفاض عليه نورا فيرضى، ويشرق، ويهيئ للقلب منشوده من الروح، فيحيا، ويبعث، فيهيئ للنفس منشودها من العزة، فيشعلها من نار الأقدس فتزدجر، وتخضع وتسلم، لاستقام الإنسان في نفسه لأمره، ولبعث الإنسان في أمره بأمر ربه، فعمل بالله وقام بالله، وانتشر بالله فصلح مجتمعه لفرد بعد أن صلح فرد له لجمعه.

تعددت أشباح الفرد لذاته بالله، واتحد الجمع لبعث ذات الحق بالإنسان الموحد الفرد والجمع فعرف وأدرك قول رسول الله، إن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، ألا وهي القلب، وأدرك قول الله، يوم ندعو كل أناس بإمامهم وقوله لا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله، فلمس نور الله لقلبه وعقله ونفسه.

هذا ما قام ويقوم بإبراهيم دائما، يوم يقوم الحق بالناس، بالقائم على إبراهيم والقائم من إبراهيم، للقيام الدائم لإبراهيم إذ يقول له أذن في الناس بالحج، يأتوك، يحجون إليك يوم يستقبلونك، قبلة صلاتهم، وبيت حجيجهم وطوافهم وغرفة قعودهم واعتكافهم.

استقم كما أمرت يا غرفة الله، يا بيت الله، يا قبلة الله، يا نصب الله، يا وجه الله لوجهك، وجوها لله، الله من ورائك وورائهم بإحاطته.

إذا أذنت فيهم بالحج، أن هلموا إليّ، يأتونك سعيًا، فقد صرتهم فصاروك وكنتم فكانوك، ومرضتهم حتى توحدوك بالنور الذي أنزل معك، ففي أبعاضهم لوحدهم عرفوك، وكل كلهم طلبوك ونشدوك. يا أول العابدين ألسنت والدا لأبيك؟ ألسنت ابنا لبنيك بجديد وليدك جددت والديك، ورفعت للأبوة بنيك، إذ أنت العروة الوثقى بين الأزل والأبد لمعانيك، يوم تتجدد في معانيك بمغانيك مطهرا البيت لمن عناك وهو عانيك!

يومئذ يكفرون بشرككم، يوم يظهر الحق بكم، أمة للحق لا شريك له منكم ومن أمركم، كسبتموه، فتواجدتموه، وفي شائئكم خسرتوه ففقدتموكم فيما تواجدتموهم وطلبتم لهم منكم الإنظار، فأنظر رحمانكم شيطانكم، بما أنتم رحمة للعالمين، وعلمها للغني عن العالمين.

هل أدركنا شعارنا لا إله إلا الله، لشعار لا إله إلا الله، مرفوعا دائما برسول الله، في قديم وقادم، على ما هو في دوام قائم؟

إننا نردد لا إله إلا الله، لا وعي لنا بها، ولا إدراك عندنا لها، ولا قيام لنا فيها، لنقومها بجفوتنا لها لكشف الغطاء عنا بها، نحن فيها بفطرتنا لها، وما نحن بقائمها بعملنا بها، فكيف نقومها ونحن نجهلها ولأنفسنا لا نؤمنها ولا نرضيها، وننكر على الله لنا فيها، وننكر على رسول الله، قائم قيامها قدوة للعالمين بها؟

فكيف تكون لنا قيام، وهي السلام، ونحن مع الله في خصام، لا ندخل السلم معه أبدا، كلما أطفأ حربا أوقدناها، فبغفلتنا جددناها، وبالحقد أشعلناها، وفي دوام خاصمتها ما سالمناها؟ فكيف نكسب الحياة ونحن خصوم الحياة؟

كيف نكسب الحياة، ونحن نزهق حياتنا بفعالنا وبمحاقتنا، (لكل داء دواء يستطاب به إلا الحماسة أعتت من يداويها)<sup>٣</sup>. كيف نكسب الحياة ونحن حريصون على أن يفقد كل حي الحياة، في سبيل شهوة تافهة قامت في نفوسنا، أو عرض زائل من دنيا، نظرناه في يده، فطلبناه لنا، ساليه منه، غير ناظرين إلى ما في أيدينا، ولا إلى ما فينا، مما نملك من الحياة لنا، بأمانة الحياة لوجودنا؟

بهذا جاء دين الإسلام، لإقامة هذا الدين، بأول العابدين ولنشره بيننا بالقيمة العارفين، ولبعثنا به في أطواره لنا أجمعين، ولم يترك أمور ديننا باعتبارها بيئة للزرع والحصاد والكتاب واليقين. نخطط لها، ورسم لها طريقا، به نملك الدنيا والدين فنسعد الدنيا والآخرة جنتان، ونتجنب الدنيا والآخرة ناران.

رسم لنا طريقا، به نملا فراغ الوجود بالحياة، مجددين عوالم وجودنا، لتتواجد بجديتنا، لأطوار ذواتنا، عالم السماوات والأرض، لرب العالمين، رسولا إلينا، وإماما لنا، وقياما حقا من أنفسنا، تتحقق به

ذواتنا، وتبعث به عقولنا، وتحيا به قلوبنا، وتستقيم به نفوسنا استدار به الزمان على هيئته كيوم خلق الله السماوات والأرض.

فماذا كان منا؟! عزلناه عن عالمنا ودائرة وجودنا وعوالم قيامنا وعوالم مآلنا وأبعدناه عنا، ولم نعرفه منا، ولم ندركه لنا، منه تواجدنا، قديم أبوتنا، وقادم بنوتنا، وقائم حقنا، يقوم ويتقلب في الساجدين منا، وينطق في دوام بحكمته من الحكماء بيننا، ويواصل مُعلما، في العلماء لنا، والعلماء منا، والعلماء فينا، كوثر ذاته، كوثر معناه، كوثر حقه، كوثر عقله، كوثر قلبه، كوثر نفسه، كوثر روحه.

رضيه الأعلى له لنا، وما رضيه لنا إلا يوم قدر المساواة بيننا، وما سوى بيننا، إلا يوم محانا عنا، ففيه وُجدنا، وبه بُعثنا، وبرسالته قنا، وييقينه نطقنا، فعلى بصيرة دعونا، وحقا مثَلنا، ونورا أشرقنا، وروحا سرينا، والظلام خاصمنا وحاربنا، فقهرنا ومحونا، وبالنور في الناس مشينا.

فأمة محمد، شرفنا وأعلننا، وعلى الملائكة، واسم الله رددنا، ومنبر الله نصبنا، وقبله الله اتجهنا، وإليها لكل وجهنا، فبدین الفطرة قيمة قنا. فبدین الإسلام ظهرنا.. نحن الأنبياء.. نحن الأولياء.. نحن الحكماء.. نحن العلماء.. نحن الفقهاء.. نحن الأتقياء..

بذلك، كما عباد الله حقا، وحقائق الله صدقا، ووجوه الله قياما وفعلا، نار الله الموقدة قدسا، وإنسان الله المبارك قربا، وقياما وشهودا وحقا عملا وقولا وفعلا، كما أمة محمد وكفى، بمن كان من محمد مصطفى.

هل نحن اليوم في ذلك؟ هل نحن من قرون بذلك؟ هل أخضعنا الدنيا للآخرة؟ هل جئنا بالآخرة للدنيا؟

هذه رسالة محمد، (كان لي شيطان ولكن الله أعانني عليه فأسلم فهو لا يأمرني إلا بخير)، أنا عبد الله الذي يستجيب لصوت الله، والذي يستمع للسان الله، والذي يشهد لوجه الله، والذي يقوم باسم الله اسما لله.

أنا المعلم، أنا المربي، أنا عين ربي، أنا كتاب علمي، فما كان الكتاب إلا في قديم نطقي، وفي قائم فعلي، وفي قادم أمري، ما انفصلت عن كتابي، ولكني، بيني وبينكم ما أسقطت حجابي، إكبارا لكم في حجابكم، وإشفاقا عليكم في سجنكم، ورحمة بكم، لضيق عقولكم.

ما عرفني غير ربي، ولا أعرفكم لتعرفوني، إلا يوم إياه تروني فأكون لكم أولى بكم من أنفسكم، فأكون الرب الذي يعرفكم ولا تعرفوه، والذي يشهدكم ولا تشهدوه، وأكون الأمر إليكم تستجيبيوه، تعرض عليّ أعمالكم، فإن وجدت خيرا حمدت الله، وإن وجدت شرا استغفرت لكم، أمة مذنبه ورب غفور.

فلو صارحتكم فكفرتموه لهلكتم وما كنتموه، فأنا رحمة بعثت، وبالرحمة أرسلت، ومن الرحمة جئت، وللرحمة نشرت، وسأبقى للرحمة لا أمل، ولغيرها لا أعمل. تكفيكم أنفسكم لحسابكم، وتكفيكم ضمائركم لعذابكم، فأني غافر لكم مهما أسأتم، أمة مذنبه ورب غفور.

فإذا عرفنا في رسول الله؟ ما عرفناه لله عبدا، وما عرفناه لنا ربا، وما عرفناه إلينا أمرا، وما عرفناه فينا سرا، وما عرفنا له خلقا وظهرا، ما عرفناه لنا أبا وآدما، وما عرفناه لنا روحا ومعلمها، وما عرفناه في قديم، للإنسان، قديم حقه، ظهر بإنسان خلقه، ما عرفناه آدما وسبقا، وما عرفناه الإنسان قديما ولحاقا، وما عرفناه اسم الله، وأسماءه، وما عرفناه حق الله، وحقائقه.

ولو عرفناه لتابعناه، طرائقه، واستقبلناه، حقائقه، وعرجناه، سمواته ومراقبه، فكلها صعدنا سُلها، وجدناه على الذي يليه، فإذا ما سقطنا من سُل وجدناه السُل الذي يستقبلنا في الهبوط، فيعيدنا للصعود وبقينا شر أنفسنا في السقوط.

من كان رسول الله عنده له أمه وأباه، ولييته آواه، ما كان لنفسه غير الله هوية، وما كان لعقله في معارجه نهاية، وما توقفت إرادته في طلب الحياة له غاية، يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله دائما وأبدا، والله هو الغني الحميد، دائما وأبدا. عطاؤه لا يجز والسير فيه لا ينتهي.

هكذا عرفه عبده ورسوله، وهكذا عرض أمره علينا، في قائم أمره بأمر الله بيننا وطلب إلينا أن نتابعه كوثرا لا يحتجب عن الوجود بيننا بعترته إلى انشقاق للأرض عنه لعين بدايته. وقد جعله الأعلى كافة للناس، يكونه يوم هم يعشقوه، ولا يعشقوه حتى يلاقوه، ولا يلاقوه حتى يعرفوه، ولا يعرفوه حتى يصاحبوه، ولا يصاحبوه حتى يتابعوه، ولا يتابعوه حتى يصدقوه، ولا يصدقوه حتى أنهم لأنفسهم يرتضوه، إذا كان هذا كله لكلنا، فكيف يغيب من بيننا؟ وكيف يغيب عنا فينا، يوم نشده من الله لمعانينا، وقد تلاقت عليه مبانينا؟

نفثة الشيطان (أوحى بعد رسول الله!) ° {إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون} ٦، {الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، تنزل عليهم الملائكة، ألا تخافوا ولا تحزنوا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة} ٧، {إن الإنسان لربه لكنود} ٨، {يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده} ٩. كيف تقوم دعوة على بصيرة ولا وحي؟ وكيف يتمتع الوحي وقد أصبح الرسول هو الوحي الذي يوحي.. وهو روح القدس الذي يبعث، ويمثل بشرا سويا؟

{قتل الإنسان ما أكفره} ١٠. يدعو ربه لأخوة الملائكة المقربين تعارفا إلى الله فيرفض ويكر على أنه بنفسه في ظلامها وقطيعتها. فإذا زج به في النور وسجدت له الملائكة إماما لهم فلا أعلى يكند ومعه يعند

ويزعم لنفسه السجود لله، لا يعرفه ولا يلقاه، في حركة آلية على ما يهواه فلولهم يسجد ويضرب وجهه في الرغام<sup>١</sup>، بوهم السجود للمعبود، وما كان السجود، في عرفان الوجود، إلا إدراك العدم للوجود بعيدا عن الموجد، ورؤية الوجود في الموجود لكل ما تواجد.

إن الإنسان في قائمه بأعلاه، تواجد أزواجا، وارتقى أزواجا، ودانى أزواجا، عبد وربّه، الله ورسوله، الكلمة ومَن احْتَمَتْ فيه، الإنسان وعاليه، الآدم وبنيه، الآدم لأوادمه فيه، ظاهرا لباطن، لإنسانية مَن يعنيه، لا يشهده إلا في إنسانه، يوم ينشده ويعنيه. وفي أنفسكم أفلا تبصرون!

ارجع البصر كرتين ينقلب البصر إليك، يرتد البصر فاشلا في كرتيه، خاسرا في تجربتيه، مرتدا إليك، ليبدأ جديدا من أمره.

هديناه السبيل، كافرا، فارتد، من كفره وسبيل كفره، إلى نفسه عرفها وأمره خسره، فطلبنا معه، فطلبنا في معيته، طلبنا لنجدته فتلاقينا في بيتنا من جلده، بإحياء قلبه، لقلبه، حييت القلوب، فعرفتها بيوت الله، وأرض الله، لم يُعص الله عليها قط.

أنزل الأعلى عليها الماء، فاهتزت وربت، وأنبتت، مجددة أصول معانيها لمبانيها، خلقناكم أزواجا، أنبتت من كل زوج بهيج، صنوان وغير صنوان، يسقى بماء واحد، حتى يتواجد الإنسان كلمة طيبة وشجرة طيبة، هو أصلها أرضا وأديما وآدما وفي السماء فرعها ابنا وأمرا وإنسانية فيستحيل إلى عالم كبير، من عالم صغير، وخلق السماوات والأرض، كبير خلق الناس، يوم يصلح الناس، يوم يعمل الناس، يوم يستقيم الناس، يوم يطور الناس أنفسهم بأمانة الله لهم، متوحدة فيه قلوبهم.

قَدَّرَ فهدى، جعلهم في هياكلهم أرضا للجديد ومرعي للوليد، فأخرجت الأرض بما دب عليها أشجارها وعوالمها، فجددت الوجود بوجودها لمن جعله الله عضدا لمن أوجدها.

أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم، بلى، وهو الخلاق العليم، كما بدأ أول خلق من الناس، من الإنسان، يعيد فعله كما هي صفته السرمدية، ويخلق من الناس جديد عوالم ووجود، يملأ بهم فراغ الوجود بالحياة، أسماء لله، وحقائق لله، وعبادا لله، ووجوها لله، ورسلا لله، تعالى الله عما يصفون.

نقول إننا أمة التوحيد، فهل توحدنا، وعبد الله عندنا وحيد ما جددنا، وما معه اتحدنا؟ فلا نحن له ربا قبلنا، ولا إلها وصفنا، وقلنا إنه عبد، وما به أنفسنا عبدا ولكنا له عنا أبعدنا ما به أنفسنا جددنا، ومعه ما تكاثرنا، فما به قننا، وما في خلقه، لأنفسنا تخلقنا فأدركنا كيف تَخْلُقُ بِخُلُقِ الأعلى، فتواجد به الأعلى ففيه تواجدنا، وبه شرفنا يوم أنا بالله ورسوله معه آمنا، وبه حقا حيننا، يوم أنا فيه دخلنا، فجنة به لنا

من الله قبلنا ولها سعدنا، فنفسا مطمئنة كئا، {يا أيها النفس المطمئنة.. ادخلي في عبادي وادخلي جنتي} <sup>١٢</sup>، فعرفناه لنا عالما كبيرا، (ما وسعتني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن) <sup>١٣</sup>.  
(وتحسب أنك جرم صغير... وفيك انطوى العالم الأكبر) <sup>١٤</sup>

هل تابعنا من انطوى فيهم العالم الأكبر؟! هل قبلناهم لمثاليتنا؟ هل رضيانهم لنجدتنا؟ هل توسلنا بهم إلى الأعلى لكسب قضيتنا؟ وقد أمرنا أن نبتغي إليه الوسيلة، فما بالرسول توسلنا، ولا بأهل بيته تضرعنا، ولا بعترته استسقينا وتشفعنا، فأرضينا وسقينا، وتابعنهم رجا وسفينا، ولكنا عليهم استكبرنا، وبعرض من عرض الدنيا بعنا، وللعرض بالحق اشترينا، فصفقة خاسرة تعاملنا، وكلما ذكّرنا قسونا، وكندنا، وتكبرنا، وأصابنا في آذاننا وضعنا.

هذا حالنا، فما يكون بحالنا مآلنا. إنا ندور بدورات لا تنتهي في حلقة مفرغة جئنا من إنظار وننتهي إلى إنظار، هذا ما أصبح حالنا في هذه الدار، بموالد الفطرة بالفطرة فيها نولد، فنعطى فرصة نادرة لبداية الحياة دخولا من بابها وعروجا في سلمها. فهل نضيع فرصتنا أم نكسبها؟

جاءنا دين الفطرة، بحق الفطرة ورسالتها مع أهل عترته، وعشيرته وأمته وبشريته صفوة الإنسان بقديمه، بعثا بأطواره وحقايقه، كتاب الله مجسما، نفاصمنا، وقلونا، بوهم متابعة من أسميناهم صحابته، ما صحبوا إلا جسده، ثم من أسميناهم متابعيهم، وما تابعوهم إلا أجسادا لأجساد، نعم هؤلاء صحبوه، ونعم هؤلاء تابعوهم ولكنهم رذاذ من ماء الحياة معه ما سقوه، وبحار الحياة لهم ما استسقوه، وبحار الحياة معه ما غابت بل مجددة بيته وعترته قامت. وكان أمامهم مسلمين له ماء الحياة ما اغترفوه، وما اهتبلوه <sup>١٥</sup>، فسعدوه، ودخلوه، ففاتهم ما حصله المؤمنون بيته.

موائد الحياة.. مع عترته ببنيه، من ابنته لحقيقة معانيه، ومع ربيبه ووليدته، ووريثته، في كل معانيه، بهم بقيت وتبقى رسالته، وبهم تجددت، وتتجدد ذاته وحضرته، وبهم لا تبدد متبخرة بحار رحمته بل تترد أنهارا لري أمته، بها تجري أنهاره لري أراضيه، لتثمر جنانه بثمارها لمعانيه ومبانيه، على معادنها فيه. (الناس معادن، خيرهم في الجاهلية، خيرهم في الإسلام) <sup>١٦</sup>.

حقا إن صحابة رسول الله، محلا للتأمل وللتفكير وللتبصرة، لقد كانوا زوايا في آدم رسول الله لأطوار الإنسان اجتمعت في بيئة وزمان، ولكن لم يكن أحدهم كُلا لرسول الله، فما كان رسول الله بكله لمعناه، إلا في روحه، منه تواجدت وبه وجدت، روح قدس، لقدس الله به، من أغضب روحه فقد أغضبه، ومن أغضبه، فقد أغضب الله.

فماذا أدرك صحابة رسول الله؟! إنهم عرفوا أطفالها أطفالاً لهم، فداعبوهم، وبالخلوى حاولوا أن يشتروهم، ولمعنى الحق أغفلوهم، وبالدينيا باعوههم، فما لأنفسهم كسبوهم، ولا على موجودهم أعلوهم، وآباء لهم بالحق نظروهم، فجعلوا من أنفسهم كراسي لهم هم لها الحقائق عليها أجلسوهم، فاستحالوا عروشاً، لهم بهم تواجدوهم، ولهم لأنفسهم بالحق تجددوهم، {قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى، ومن يقترب حسنة نزل له فيها حسناً} ١٧.

بالحق أنزلناه وبالحق نزل، فهل بالحق أنزلوا؟! أم بالحق نزلوا في متابعتهم على ما هو بكوثره؟! ولكنهم على الحق لهم بهم تصاعدوا واستعلوا، نظروهم معهم من أمر الدنيا، بمولدهم بينهم فيها، فأروهم بالمولد قد سبقوهم، وأسَّ منهم عرفوهم، وبالأعمار إليهم بأعمارهم قاسوهم.

ما عرفوهم إنسانية الله قبل أن يوجد الوجود لهم، كلمات الله، تواجد الوجود لهم ليكون داراً لهم، وبيوتاً لهم، وساحات لهم، جديداً لقديم لإنسانية الله الخالدة الدائمة القائمة، ولدان مخلدون، وكلمات لله، لكلمات لله، لرجال لله، فيهم يقومون، وبهم يبعثون، وفي الناس بالحق ينتشرون ويتواجدون.. فللناس بالحق يجددون، وأطواراً بهم يسرون. قائم ودائم رسالة الله الرحمن الرحيم.

إنهم.. وهم الأطفال لأمرهم يحكمون، صبيانا للملك يأخذون، وبالحق يقومون، وفي ممالكهم يتحكمون، لقد كان أبوهم طفلاً خالف الناس فلم يسجد لما يسجدون، كفر به قومه، لأنهم منه أسَّ، (انظريا أبا طالب، كيف يؤمر ابن أخيك ولدك عليك) ١٨، وهو يقول لهم (وهذا خليفتي فيكم) ١٩، مشيراً إلى عليّ، فينكر صحابة رسول الله مقالة رسول الله لعشيرته، كما جحدوا مقالته لهم وقد أجلسه بجواره عند مؤاخاة المهاجرين والأنصار مشيراً إليه، (وهذا أخي) ٢٠، ومقالته في يوم الأحزاب {رب لا تدركني فردا وأنت خير الوارثين} ٢١، ومقالته (عليّ مني بمنزلة هارون من موسى) ٢٢، وموسى يقول {واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي} ٢٣.

وما زلنا طوال ألف وأربعمائة من السنين نقول إن رسول الله لم يخلف. إن رسول الله خلف على دينه، خلف على أمره، خلف على نور السماوات والأرض، لا يتركه بدون قيادة فهو لا يترك الناس يطفئوه بدون إشعال دائم، بمصباح ومصابيح موقدة، لإرشاد أهل الظلام بالأمر القائم.

إن الرسول خلف في رسالته على رسالته، ولم يخلف على الدنيا لدناه بالناس، فكيف يخلف على الدنيا، وهي تحت نعاله، لا يرتضيها لآله! فما ارتضاها لنفسه وصحبه وحاله، إنما أمرها مرده إلى الناس، اختباراً لهم، وكيفما يكونوا يولّ عليهم، ومن الذي يولّ عليهم؟ إنه هو بحقه لربه الذي يولّ عليهم، (إنا لا نعطي الأمر لمن يطلبه) ٢٤، طالب الولاية لا يولى.

فمن تولى الدنيا طلبا لها، أعطيناها له بلاءً بها، وما له في الآخرة من نصيب، ومن رآها حرث الآخرة، نزد له في حرثه، من الذي يزيد له في حرثه؟ أليس هو الحق من الله؟ ومن كان رسول الله؟ هل كان غير الحق من الله؟ {من يقترب حسنة نزد له فيها حسنا} ٢٥. وما كانت الحسنة إلا المودة في القربى، أتظنون أن الإنسان الذي أجلسه الله على عرش السماوات والأرض وكان ربا وخليلا له يمنع عنه حكم مدينة أو قرية أو حكم الأرض مزوية له؟ هو {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين} ٢٦، قيام الحق لقيومه بك قياما لرب العالمين.

{لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد} ٢٧. أكان رسول الله يقنعه ويرضيه، مدينة من التراب، يسكنها هياكل من المتارب، ويرى في ذلك من الله عطاء، أو من الله جزاء، أو من الله وفاء؟ إن السماوات والأرض، لعلمكم أو تقديركم، في مدينة رسول الله، غرفة من الغرف، أو بيت من البيوت.

فرسول الله يوم قال وفي دوام يقول لنا (أنا مدينة العلم وعلى بابها) ٢٨، كيف ندرك هذا الحديث أو نعرف أو نلمس معناه دون إدراك لما لمسه عيسى كلمة الله وروحه، يوم قال عنه (عند أبي منازل كثيرة) ٢٩؟ بشرى بما بشر هو به، (أقربكم مني منازل في القيامة...) ٣٠، فعرفنا ما في عبارة رسول الله من خطر، يوم قال أنا مدينة العلم.

وهذا ما يمكن إدراكه وفهمه من حديث رسول الله وهو يقول (آخر من يخرج من النار يعطى عشرة أضعاف هذه الدنيا) ٣١، وقول الله في محكم كتابه {جعلنا الشمس عليه دليلا} ٣٢، دليلا على عبده الذي جعل منه، (سراجا منيرا) ٣٣، {وداعيا إليه بإذنه} ٣٤. جعل الشمس دليلا على المؤمن، {والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى} ٣٥، فما كان أهل بيته إلا شمس سماء العلا، كما عرفهم أحبابهم، من رجال الله، في أمة رسول الله على ما شهدوهم في الله.

فرسالة الإسلام.. لها جوهر، ولها ملحقات، فما كان جوهرها إلا ما قام فيه رسول الله، ووعد أمته بقيامه ودوامه في عترته، وفي أهل بيته عن طريق محبتهم، يكسب ويوهب لمحبيهم محبة له لمحبة ربه. وجعل صحابته - الصادقين منهم - قدوة بما صدقوا، وبما عرفوا، وحجة له على صدقه وتحقيق وعده، أو على كنود الإنسان لربه. ولم يكن بهم للناس لا قدوة كاملة ولا ناقصة لرسول الله. يمكن أن نقول إن فيها قائم رسول الله، كُلا أو بعضا، أو أن فيهم نور كتاب الله قياما أو فيضا. لقد كان الرسول لهم لأنفسهم دون غيرهم فكانوا مثالية للناس بحالهم لصالح أحوالهم بما صلحت به بينهم أحوالهم. وهو ما كانوا قدوة به لإمكان الإفادة بالرسول وعترته وأهل بيته، لمن يستفيد بهم.

فقال لهم الرسول.. تركت فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي، ولم يقل صحابي.. ما إن تمسكتم بهما، لا تضلون أبداً، فإنهما لا يفترقان أبداً.. فلن وجه الرسول هذا القول؟ هل وجهه لغير صحابته؟! فن كان أول عترته؟ وما معنى عترته؟ ومن تكون عترته؟ إن أول عترته كان علياً وزوجه وولده وابنته، ومعنى عترته، أن يكون الرجل في الله، من دمه وروحه، (هؤلاء أهل بيتي)<sup>٣٦</sup>.. (هؤلاء أهل الخيمة)<sup>٣٧</sup>، فن دمه لا تكفي، ومن روحه لا تكفي؟!

فالناس بأرواحهم من روح القبضة النورانية للرسول من الله في جملتهم، فهم في زاوية من زوايا الحق على قدر نصيبهم من المعرفة، وعلى قدر طاقتهم للروح ووطأتها، وعلى قدر نورانيتهم من الإشراق، فن صلح لنفسه صلح لأهله فهو قدوة، نعم قدوة بما أفاد لنفسه وأهله، (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)<sup>٣٨</sup>، وما كان لهم ذلك بعيدا عن رسول الله من شمول روحه ونوره لكن هذا لا يجبّ موجود العترة في الشهادة يستفيد ويستقي منهم الناس بجمعهم لأحوالهم.

بذلك.. كان أبو بكر، وعمر، وعثمان، ومن تابعهم هم نفس عليّ، إذا أردنا أن ننصفهم وتنصف أنفسنا في الإدراك، فما كانوا إلا ظلّالا لعليّ، على حقيقتهم بظاهريهم وباطنيهم، حرص عليّ على أمره بهم. (الخلافة بعدي ثلاثون عاما، ثم تصير ملكا عضودا)<sup>٣٩</sup>، وهي إقامة عليّ على الأرض بعد الرسول حرص على أمر نفسه لهم.

فإن كان قد بدا أنه في عزلة عنهم لبعض الوقت، مع كل منهم على حدة ليصل بهم إلى يقين ما هو أمره بالرسول معهم، فإنه ما لبث أن حوّل البعد عنهم إلى إقبال عليهم عندما أدرك صفاء نفوسهم بعد اختبار الرسول لهم، وتجاوزهم عما عجزوا عن إدراكه عنه بعليّ بينهم، وقد حققت لهم الدنيا، وحقق لهم الناس مطلبهم من أمرها، بمجاهدة منهم لأنفسهم لخير أهلها.

فما خاصمهم عليّ أو أحدهم على أمر الدنيا قط. وما قصد في مباحثته أن يسلبهم ما طلبوا من أمر الدنيا لمجاهدتهم، ولكنه كان يريد لهم ما أراد لنفسه، من صادق وعي، ومن صادق فهم في أمر الدين وأمر الدنيا، قصرت أيديهم عن الامتداد إليه بعد رسول الله، بوهم غيبتهم عنهم. ولو أنهم رجعوا إلى عليّ معه متذاكرين، وله مستشيرين، وبما في أنفسهم مصارحين، وبما عرفوا أو بما قدروا متذاكرين فلا ندري ما كانت تكون النتيجة. ومبلغ ظني بل يقيني أنهم لو تلاقوا ما ظهروا مختلفين، ولوضعوا نظاما غير الذي عرفناه وغير الذي قام بيننا فأفسد علينا أمر الدنيا والدين، وأفسد عليهم أمرهم إلى حين.

لو أنهم تواءموا وتفاهموا، لاختاروا من بينهم رجالا غير من عرفناهم، ورجالا غير من قدرناهم، وظاهروهم بالحق، وتعاونوا في تجديد ومواصلة رسالة رسول الله، ولأجمعوا أمرهم على ما يجب في أمر كل جديد صادفهم. فالرسالة هوامهم وكلهم يعشقها، وكلهم يحبها، وكلهم يريدونها حية نامية منتشرة.

ولكنهم وقد تنافسوا عليها عطلوها بتجاهلهم، بينهم حامل لوائها وخليفة رسولها وكتاب علمها. عوقوها فأقاموها، ولكن بموصوف الأمر من أمر الدنيا وصفوها وذكروها ونشروها. وهي ما جاءت إلا للقلوب تحيياها، وما كانت الدنيا تملك للقيمة عليها، إلا مجالا لأعمالها، ولو حييت بها القلوب، لوجدت من الله بها ما يغنيها، ولعرفت الدنيا بما يزهد المؤمنون منها، فقدم الناس كل ما يملكون للناس، معاملة مع الله، وما أمسكت أيديهم إلا الكفاف، بما يقوم أودهم ويصلح أمرهم فأخذوا من الدنيا كفايتهم لكفاف منها، وقدموا كل جهدهم وكسبهم لكسب آخرتهم في مرضاة الأعلى بالإيثار والبذل لما يملكون منها، ولفرقوا بين إمامة الدين وإمارة الناس، وما ألحقوا الإمامة بالإمارة.. سنة ابتدعوها.. وما زالت على ما شرعوها.

فالإسلام، ليس الاشتراكية، ولكن الاشتراكية من فتات موائده. والإسلام ليس الديمقراطية، ولكن الديمقراطية من أوليات تعاليمه. الإسلام ليس العدالة، ولكن العدالة هي حروف البدء للهجاء فيه. الإسلام هو الحق والحقيقة.. الإسلام الذي يطلب إلى الناس ألا يتثاقلوا إلى ذواتهم من الأرض، وأن ينطلقوا إلى ما فوق السماوات، لا يقاس بمذاهب من وضع الخلق.

الإسلام الذي أراد أن يكون من هذه القلوب لهذه القلوب صواريخ منطلقة بانفجارات متعاقبة في عمدة ممددة من الأرض إلى عنان السماوات بقلوب مؤلفة لرجال، رجل سلم لرجل حتى يخرج الإنسان بقدرته، وبطاقته، وبحكمته، وبإرادته، وبمشيئته، من سجنه في دائرة ذاته ومن سجنه في دائرة الأرض، ومن سجنه في دائرة السماء الدنيا، إلى سمو لانهائي طريقا ممهدا ميسرا ممتدا من ملأ الأرض إلى الملأ الأعلى.

(إن قومي ععموا بالشمس هاماتهم.. ومشوا فوق رؤوس الحقب)٤٠.

تأملوا رسول الله، وهو يداعب علياً، وهو يمزح ولا يقول إلا حقاً، (أتى عليّ تحت السحاب)٤١، (لو اتبعوه لأوردهم الجنة أكتعين)٤٢، (إن أصحابك قد خولطوا)٤٣. نعم.. فقد خالطهم أمر جلل، {وقالوا مجنون وأزدجر}٤٤، لقد أسس الرسول بعليّ بين الناس طريقه وما كان للرسول طريق غيرها وهي التي تقومون فيها، وقد انتهت إليكم، طريق الله ورسوله، طريق أبي الحسن، طريق عليّ، طريق من شذ عن أهل الدنيا وعن أهل الآخرة، طريق الشاذلي، جديد عليّ السابق إلى الله قائم قائمه بيننا وقد سبق

السابق إلى جوار الرسول لقيوم الرفيق الأعلى له، وإنسان الله عنده هو له وهو منه وهو فيه، والرسول منه وفيه بكل جديد.

طريق الله ورسوله، وهي اليوم طريق الإنسان تؤيدها السماء على ما كانت مع الرسول وخليفته هي طريق السماوات والأرض، طريق تقيمها وتجدها لتقديمها الروح وتؤيدها بعوالمها وتأتي بها بمعارفها وتجمع عليها بمستوياتها إلى الحق، تجند لها عوالم الكواكب مسددة، وتعد عوالم الجن بها متقيدة.. لإعلاء كلمات الله بالبشرية مجددة حول بيت الله لإنسانه عاملة راحة ساجدة حتى يبعث الله بالحق بها عقولا مشرقة راشدة برجال قلوبهم فارغة من كل موجدة. هذه هي رسالة الإسلام تقوم مجددة واحدة غير متعددة.

تأتي اليوم من السماء كما أتت في بدئها وفي كل تجديد ببدء.. إنها رسالة الإسلام تنبع من الأرض عيوننا بماء السماء كما بدأت من إنسان الأرض مبعوثا بإنسان السماء.. إنها رسالة الإسلام في السماء والأرض.. إنها رسالة الإنسان يقومها رسول الله لا انقطاع له.. لا غيبة له.. لا جديد له.. لا قديم له.. إنسان الإنسان.

رسول الله مبعوث القديم بجديده، ومبعوث الجديد لقديمه، دورة الحياة في الله.. حياة الطريق إلى الله.. روح الوجود لله.. مصباح الظلام.. علم السلام.. حوض الورود، سلم العروج.. أبواب المعرفة.. مدائن القيمة.. عوالم العطاء.. كتب الهداية.. كوثر النبوة وسفين الإمامة.. بيت الله.. وساحة السلامة.

ماذا قلنا عن رسول الله، وماذا عرفنا عن رسول الله؟! عاملناه وما زلنا نعامله على ما عامله أهله وعشيرته في بداية رسالته، ما سالناه إلا لمحمة من الزمان لا تعد ولا تحسب يوم قهرنا بسلطانه الزمني، ثم عدنا لتقديم آبائنا بآبائنا وأبنائنا في مخاصمته إلا من رحم.. وقليل ما هم.

ما زالت رسالة رسول الله في مجال الفرد، بعيدة عن مجال الأسرة، بعيدة عن مجال الجماعة، بعيدة عن مجال الأمة، بعيدة عن مجال الأمم وهو نبي الأمم، بعيدة عن مجال البشرية وهو سيد البشرية، الأرض له مزوية جعلت له مسجدا وطهورا.

إن رسالة الروح تأتي من السماء لتجديد رسالته، ولكشف علميته بالمؤمنين روح قدس الله، ولكشف دينه بالقيمة من العارفين جماع رسل الله.. إنها رسالة الإسلام تتجدد.. إنها حقائق الله تبعث، فوجوها لله فتعدد بما كان من تعددها في القديم بتعدد الأزمان والأوطان، يتواجدتها في تآلف في جديده قائم الإنسان.

قلوب مترابطة، ونفوس متجانسة، وعقول متآلفة، وأنوار متحدة، أمة وسطاء، دائماً متجددة من الفرد إلى البيت وإلى الجمع وإلى الجماعة إلى الأمة متواجدة. ويوم يجتمع ظاهر أمر الناس من قائم إرادتهم بظاهر أمر الله لمشيئتهم فتلك ساعة لساعة الإنسان، وبداية لقائم الإنسان، ونهاية لدورة الإنسان.

وهنا يقول الرسول (بعثت والساعة كهاتين ما سبقتهما إلا كما سبقت هذه تلك مشيراً بإصبعيه)<sup>٥٠</sup>، ويقول ناصحاً أميناً مرشداً، إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة، مشيراً إلى فساد الحكم الزمني، (لو لم يبق من عمر الزمان إلا يوم لمد الله في عمر ذلك اليوم حتى يخرج رجلاً من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً)<sup>٥١</sup>، إنه من هدى الله لاقتفاء أثري، (المهدي ولدي)<sup>٥٢</sup>، (لا مهدي إلا عيسى)<sup>٥٣</sup>، {وإنه لعلم للساعة}<sup>٥٤</sup>، ويقول عيسى (أنا هو الحق والطريق والحياة)<sup>٥٥</sup>، أنا القيامة<sup>٥٦</sup>

اللهم يا من كنت لنا في كل كون عوناً لنا بكل عون.. اللهم بالحق فابعثنا دوماً، وبالحق قنا يوماً فيوماً، ولأنفسنا لا تكلنا، ولا إلى من لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهم ولِ أمورنا خيارنا ولا تولِ أمورنا شرارنا بما كسبنا، واجعل اللهم خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك.. اللهم وفقنا وانصرنا على أنفسنا، حكماً ومحكومين، أئمة ومتابعين، مجاهدين ومجتهدين..

لا إله غيرك سبحانه إنا كنا من الظالمين.

### مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة البقرة - ١٨٦
- ٢ سورة النساء - ٤٨
- ٣ مقولة للشاعر أبو الطيب المتنبي.
- ٤ حديث شريف: "ما من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا، إلا أن الله أعانني عليه، فأسلم، فليس يأمرني إلا بخير." أخرجه مسلم وأحمد. أيضاً: "فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم، قلنا ومنك يا رسول الله؟ قال ومني، ولكن الله أعانني عليه فأسلم." صحيح الترمذي.
- ٥ عبارة جاءت في الأثر في أكثر من قصة على لسان بعض الصحابة والمتابعين يعبرون بها عن اعتقادهم بأن وحي السماء توقف بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى.
- ٦ سورة يوسف - ٨٧
- ٧ سورة فصلت - ٣٠
- ٨ سورة العاديات - ٦
- ٩ سورة غافر - ١٥
- ١٠ سورة عبس - ١٧

- ١١ التراب الناعم أو الرمل المختلط بالتراب، وكذلك الذل والهوان والكره.
- ١٢ سورة الفجر - ٣٠، ٢٧.
- ١٣ حديث شريف أخرجه أحمد بن حنبل في الزهد. وذكره الغزالي في "إحياء علوم الدين".
- ١٤ من قصيدة شعر للإمام عليّ كرم الله وجهه: وَتَحَسَّبُ أَنَّكَ جِرْمٌ صَغِيرٌ ..... وَفِيكَ إِنطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ
- ١٥ لم يحرصوا عليه أو يبذلوا جهدا لتحصيله.
- ١٦ من حديث شريف: "تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، نَحْيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَتِحُوا. أخرجه البخاري ومسلم. صحيح ابن حبان.
- ١٧ سورة الشورى - ٢٣
- ١٨ جاء فيما أورده الطبري عما سمي "حديث يوم الدار" أو "حديث دعوة العشيرة" بعد نزول آية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ جمع الرسول صلعم عشيرته، ودعاهم إلى طعام وشراب، ثم حدثهم ولكنهم رفضوا دعوته، ثم تكلم الرسول صلعم " فقال: «يا بني عبد المطلب؛ إني والله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتم به؛ إني قد جئتم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأياكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيتى وخليفتي فيكم؟» قال: فأجم القوم عنها جميعا، وقلت: «وإني لأحدثهم سنا، وأرمصهم عينا، وأعظمهم بطنا، وأحشهم ساقا؛ أنا يا نبي الله، أكون وزيرك عليه. فأخذ برقيتي»، ثم قال: «إن هذا أخى ووصي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا». قال: «فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع. »
- ١٩ أنظر الملاحظة السابقة.
- ٢٠ نفس الملاحظة السابقة.
- ٢١ سورة الأنبياء - ٨٩
- ٢٢ حديث شريف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعليّ: أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس بعدي نبي". أخرجه النسائي.
- ٢٣ سورة طه - ٢٩-٣٠
- ٢٤ في معنى الحديث الشريف: "إنا لا نولي هذا من سألّه ولا من حرص عليه". أخرجه البخاري ومسلم.
- ٢٥ سورة الشورى - ٢٣
- ٢٦ سورة الشعراء - ٢١٩:٢١٨
- ٢٧ سورة البلد - ٣:١
- ٢٨ حديث شريف: "أنا مدينة العلم، وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأتها من بابها". المحدث: السيوطي. المصدر: الجامع الصغير، أخرجه الطبراني، وابن عدي، والحاكم.
- ٢٩ إشارة للآية في الإنجيل: "فِي بَيْتِ أَبِي مَنَازِلُ كَثِيرَةٌ، وَإِلَّا فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ قُلْتُ لَكُمْ. أَنَا أَمْضِي لِأَعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا". (يو ١٤: ٢)
- ٣٠ حديث شريف: "إن أحبكم إليّ أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكفأ الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إليّ المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة". أخرجه أحمد والطبراني وابن حبان.

- ٣١ في إشارة للحديث الشريف "إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبُوءًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ امِّثَالِهَا." أخرجه البخاري ومسلم.
- ٣٢ سورة الفرقان - ٤٥
- ٣٣ سورة الأحزاب - ٤٦
- ٣٤ سورة الأحزاب - ٤٦
- ٣٥ سورة النجم - ١:٢
- ٣٦ إشارة لعبارة قالها الرسول صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية: {فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَ كُمْ} دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي". الراوي: سعد بن أبي وقاص، المحدث: مسلم
- ٣٧ إشارة للخيمة التي أقام فيها أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم عن سيدنا علي والسيدة فاطمة، وسيدنا الحسن وسيدنا الحسين، في حجة الوداع. أخرجه أحمد والترمذي.
- ٣٨ حديث شريف. أخرجه الترمذي في صحيحه، والدارمي
- ٣٩ أحاديث شريفة ذات صلة: "خِلَافَةُ النَّبِيِّ ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُلْكَ - أَوْ مُلْكَةً - مَنْ يَشَاءُ." صحيح أبي داود. وحديث شريف: "ستكون خلافة نبوة ورحمة ثم يكون ملك ورحمة ثم يكون ملك وجبرية ثم يكون ملك عضوض." رواه مسلم.
- ٤٠ إشارة إلى أبيات شعر مهيأ بن مرزويه الديلمي، وهو شاعر كبير بالعصر العباسي: قَوْمِي اسْتَوْلَوْا عَلَى الدَّهْرِ فَتَى ... وَمَشَوْا فَوْقَ رُءُوسِ الْحَقِيعِمَمِ بِالْشَّمْسِ هَامَاتِهِمْ ... وَبَنَوْا أَيْمَاتِهِمْ بِالشُّهْبِ
- ٤١ من حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم حين كسا علياً عمامة يقال لها السَّحَابُ، فأقبل عليٌّ ذات يوم وهي عليه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا عليٌّ قد أقبل في السَّحَابِ". الراوي: محمد الباقر بن علي بن الحسين، المصدر: ذخيرة الحفاظ، وجاء في المكتبة الشيعية بأكثر من صيغة وسند.
- ٤٢ حديث عن استخلاف الرسول عليه الصلاة والسلام للإمام علي كرم الله وجهه، رواه الطبراني عن عبد الله بن مسعود: "قلت: يا رسول الله ألا تستخلف أبا بكر؟ فأعرض عني فرأيت أنه لم يوافقه فقلت: يا رسول الله ألا تستخلف عمر؟ فأعرض عني فرأيت أنه لم يوافقه. فقلت: يا رسول الله ألا تستخلف علياً؟ قال: "ذاك والذي لا إله إلا هو إن بايعتموه وأطعتموه أدخلكم الجنة أكتعين". مجمع زوائد الهيثمي. المكتبة الشيعية، وكتاب أحمد بن أبي بكر البوصيري "السيرة النبوية: علامات النبوة".
- ٤٣ من كتاب نهج البلاغة، في وصف الإمام علي للمتقين: "نظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض. ويقول قد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم. لا يرضون من أعمالهم القليل. ولا يستكثرون الكثير. فهم لأنفسهم متهمون. ومن أعمالهم مشفقون."
- ٤٤ سورة القمر - ٩

- ٤٥ حديث شريف: " بعثت أنا والساعة كهاتين"، (وفرق بين إصبعيه الوسطى والتي تلي الإبهام) صحيح البخاري، ورواه أحمد ومسلم والترمذي.
- ٤٦ حديث شريف رواه الإمام على ابن أبي طالب كرم الله وجهه، أخرجه أبو داود، وأحمد باختلاف يسير. وجاء بلفظ "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً مني-أو من أهل بيتي- يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً." أخرجه أبو داود، والترمذي مختصراً.
- ٤٧ حديث شريف: "المهدي رجل من ولدي، وجهه كالكوكب الدرّي". أخرجه الطبراني.
- ٤٨ حديث شريف رواه ابن ماجه.
- ٤٩ سورة الزخرف - ٦١
- ٥٠ (أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الْآبِ إِلَّا بِي.) (يو ١٤: ٦)
- ٥١ قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا» (يو ١١: ٢٥)

(١١)

## إن محمداً كان الناس جميعاً لو يعلمون إنه آدمهم وأول العابدين وإنسان الله لهم يوم الدين

حديث الجمعة

٣٠ رمضان ١٣٨٥ هـ - ٢١ يناير ١٩٦٦ م

الذين آمنوا بما أنزل- من النور- على محمد. وهو- أي محمد- الحق من ربهم، كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم.

آمن الرسول، بما أنزل إليه من ربه.

من أطاع الرسول، فقد أطاع الله.

(أظهره على الدين كله) .. (وعلمه الأسماء كلها) .. (مزوية له الأرض) .. (جعلت له مسجداً وطهوراً) .. جعل كافة للناس قدوة لهم بما هو عليه، وأسوة لهم بما عامله الأعلى به أمامهم.

إذا جاءوا الرسول فاستغفر لهم الرسول، وجدوا الله غفوراً رحيماً. {ما يفعل الله بعذابكم، إن شكرتم وآمنتم} ..

الرسول أول العابدين، وبالعبودية أول المتحققين .. وبالتحقيق أول الخالدين .. وبالخلود أول الباقيين .. عنوان الآزليين، وقيام الآبديين، وهو بذلك قدوة به لا بغير بذلك رحمة للعالمين.

به يؤمن المؤمنون، وفي إيمانهم به يتفاوتون، لأنه معارج الحق، في الأولين والآخرين والقائمين، قائم الحق للطالبين، وقيام الحق للمكبرين المكبرين، وغيب النفس للموحدين، ونور العقل للعالمين، وحياة القلب للمصطفين.

شهيدا على الشاهدين .. ومشهودا للمسعودين .. إن الرسول هو الدين، وهو العلم، وهو اليقين، يوم يؤمن المؤمنون، ويوم يسلم المسلمون، ويوم هم لإيمانهم في دوام يجددون، وبإسلامهم يسالمون فيعلمون أن

الذي يعتقدون، هو من في كل نفس إنسانا يشهدون، وبه إنسانا بهم يشاهدون، هم بحكمته معهم يعاملون، وهم بحكمة منه لهم يتعاملون، فهو الحق لهم من ربهم فيما هم فيه يختصمون وبالحق يقومون. فماذا أدرك المدركون؟! وماذا قام المسلمون؟! وماذا قرأ الكاينون؟! إنه الإنسان لهم.. إنه الإنسان بهم، لو يؤمنون فيحيون ويعلمون.

إن محمدا كان الناس جميعا، يوم كانوا في أحسن تقويم، ويكونوه جميعا يوم يكونوا في أحسن تقويم.. إنه آدمهم وأول العابدين، إنه الحق من ربهم يلاقون.. إنه كوثر النفوس، في جلودهم مجددين، إنه الإنسان ليوم الدين.. إنه رب الناس للمسلمين، يوم يشهدوهم في المصطفين، فيدخلون بنفوسهم مطمئنة، في عباد الرحمن، لهم يرافقون، ومن أنفسهم يظهرهم، وبالحق ينطقون، ويد الله يعملون، وبقدمه للخير يسعون.

عباد الرحمن بينكم لا ينقطعون، مع القلوب يتعاملون، وللأشباح يتواضعون، وللعقول يستجيبون، ومتاعب العقل، عنه يزيحون، وله يريحون، ومشاق النفس عليها يعينون، ولها يقمعون.. إنهم جوهر الدين، وحوض الحياة وكتاب اليقين.

مالككم كيف تحكمون؟ وعلى أي صورة للحق تذكرون؟ وأنفسكم للحياة تضيفون، وما أنفسكم أحييتكم، كما علمتم وكما في دوام تُذكرون وتعلمون.. إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم على ما تقومون وتشهدون، فلم أنتم له عنكم تبعدون؟ وإن الله أقرب إليكم من حبل الوريد، قائما على كل نفس، ومن ورائها محيط، فلم أنتم بعيدا عنكم للحق تطلبون أو إليه تشيرون؟

فأي شيطان تخاصمون وفي منسك ترجمون؟! وأي رحمن تطلبون في موعود جنة تلاقون؟! وأي إنسان تذكرون ولأنفسكم تدعون؟ وأي رسول تعرفون لفظا بألسنتكم تلوكون، وقياما فيكم أو معكم أو من حولكم لا تشهدون؟ وأي هدي تتبعون؟! إنكم عن وحي أنفسكم تصدرون، وعن وحي قلوبكم تغفلون، ووحى عقولكم لا تلبون وعلى وحي الله إليكم تنكرون، وللوحى قائما دائما تجحدون.

هل أنتم في حالكم وتصريف أمركم، عند العقل، درأكا، تُقبلون؟! هل أنتم في قيامكم عند القلب، تُحمدون؟! هل أنتم حتى عند النفس المستقيمين فبالاستقامة توصفون؟! إن أمركم أصبح دون مراد النفس، حتى في نزواتها، وحتى في شهواتها.

إنكم بحالكم، على ما أنتم، بإرادتكم، وباختياركم، وبعقلكم يصدر عنكم عملكم، خلاقين لجديدكم أسفل سافلين. إن الله الذي تذكرون، لا يغير ما بكم حتى تغفرون، هل غيرتم ما بكم، حتى يتغير ما منه لكم؟ إنه خلقكم لنفسه.. إنه خلقكم لمعاني بيته.. إنه خلقكم لكونه.. إنه خلقكم لوجوده.. إنه عاملكم في خلقه

لكم بجوده، قدّركم لتتدوا، وهذاكم لتتدوا، فما اهتديتم بما قدركم، وما اقتديتم بمن بلّغكم، وبكوشه بينّ لكم.

لا إله إلا الله، علمكم.. ولا إله إلا الله أقام من أقام منكم.. فلا لمن قامها عرفتم، أوله تابعتم، فبهدي عقولكم أدركتم، وبهدي قلوبكم أحبتهم، وبهدي نفوسكم أسلمتم، فلها في أنفسكم أقمت، وإخوانا في الله قمت.

فما أصبركم على النار.. ما أقنطكم من الرحمة، وما أعجلكم على الدنيا، وما أضعفكم أمام الباطل، وما أقواكم في مخاصمة الحق، حقا إن الإنسان لربه لكنود.

ما كان للإنسان وهو الحق، أن يكون له رب، إلا من جنسه سبق على خط التطور في مشروع الحياة الأبدي. {ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}.. لقد جاء أحواض الرحمة وماء الحياة.. لقد جاء جماع أعلام الحقيقة.. لقد جاء حياة الطريق ونور الطريقة.. لقد جاء نور السماوات والأرض، بمثال وحال، لقد جاء الحق من الله.. لقد جاء الرب من الرحمة.. لقد جاء وجه الله الله، أينما نولي فوجهه.

جاء جماع وجوهه لوجه تقيده، ولوجه علم فتحدده، وجه تكاثر فتجدده.. وجه سبق أن تواجد بنفسه، بالحق أزلا لنفسه، فعرف كيف يتواجد فتواجد، فكانت رسالته في كل من به تواجد، في كل من بالحق فيه لنفسه منه جدد، وحقه على ما عرف بحق الأعلى أوجد، فبه وبأتمته توحده وتعدد.

أمة هي محمد، ومحمد هو أمة محمد، ظاهرا لغيبه من قديم الإنسان في أزله، فردا وأمة، وموعد الإنسان لأبده، فردا وأمة، وقائم الإنسان للإنسان، في قائمه، فردا وأمة وأمرأ وشأنا وإنسانا وسطا.

كلكم، لإنسان واحد بعث بالحق يوما، وتواجد آدم بينكم دوما لسبق لمعناه في مطلق الله، بإنسان لآدم واحد، تعدد في نفسه وتجدد، وفي حقيقته ما تعدد وما تجدد، وما لغير له أوجد، ولكن بموجده تواجد، فتكاثر، فانتشر، موحد ما تعدد، قل هو الله أحد، إنه الإنسان الأحد.. إنه الإنسان الذي خلد وصمد.. إنه الإنسان الذي بآدم توالد وبإنسانه لم يولد ولم يلد، ما ظهر الله في شيء مثل ظهوره في الإنسان.. ما ظهر الله بشيء مثل ظهوره بالإنسان.. ما ظهر الله لشيء مثل ظهوره للإنسان.. إنه الإنسان على ما هو الإنسان، يجري فيه مجرى الدم معنى الشيطان، ويجري فيه في مسالك الحياة معنى الرحمن، فهو برحمته، وبشيطانه، سر الوجود، على ما هو الوجود، بوجدانه، كون ومكونه.. معلوم وعالمه.. وجود وموجده، آدم وشاهده.. إنسان ومشهوده.. حق وموجوده..

بهذا جاء دين الفطرة.. فهل قبلنا الفطرة؟! هل رضينا الفطرة؟! بهذا جاء دين الصبغة، فهل قبلنا الصبغة؟! هل رضينا الصبغة؟ هل كسبنا الصبغة؟ ومن أحسن من الله صبغة، ليكون لنا به صبغة، فيكون لنا نعم (المؤمن مرآة المؤمن)°، برحماننا؟ ولا نكون بثس الاسم الفسوق بعد الإيمان بشيطاننا؟ هل آمنا بالله ورسوله لنا قوام الحياة بنا، ولم نرتب في إيماننا حتى نكون لله ورسوله بمعانينا، وبمبائينا، بنفوسنا وبعقولنا، بأرواحنا، وبقلوبنا، بهياكلنا، وبكلنا؟ هل استعنا على شياطين أنفسنا ولم نعن؟! هل خاصمنا أنفسنا، وهي أعدى عدو بين جنوبنا فلم نعرف معنى نفوسنا؟ هل عاجلنا أمرها فاستعصى علينا أمرها؟! هل تابعنا من عاجل نفسه فأعين عليها؟

إن إمامنا وقودتنا لكافتنا كان له شيطان، فأعانه عقله.. فأعاته روحه.. فأعاته عاطفته.. فأعانه قلبه.. فأعانه صفائه.. فأعانه حقه.. فأسلم الشيطان، قائم أدناه، لقائم الرحمن معنى لأعلاه، وهو فيه عبدا في معناه، لقائمه بمبناه، فطوره الله، إبراز قديمه، وذات عليمه، فجعله وجودا، لمعاني أناه، وجعله مبنى لقيوم معناه، لمطلق الحياة، فقال مقاتله، بشرى لمن تابعه ووالاه، (إن الزمان استدار على هيئته، كيوم خلق الله السماوات والأرض)⁶.

إن الدين لواقع، هذا ما بشر به الناس، وبه علم الناس، وأعلم الناس، وقدر الناس، فعرف المؤمن أن الدين هو واقع الوجود بالحياة، وأن (آخر من يخرج من النار يعطى عشر أضعاف هذه الدنيا)⁷.

فما يكون شأن أول من يخرج من النار؟ وما تكون النار؟ {فن زحزح عن النار، وأدخل الجنة فقد فاز}⁸. {وجنة عرضها السماوات والأرض}⁹. {قطوفها دانية}¹⁰. {وجنى الجنة دان}¹¹. {ولن خاف مقام ربه جنتان}¹²، جنة دنياه عاجلة، في سلامة دينه، وجنة عطائه آجلة، في سلامة طريقه.

هي جنة نفسه في قائمها، وجنة ربه لداخلها، وجنة فردوسه لفردده، يوم يشهد الله أكبر، والله أكبر، في الله ذي المعارج.. هو له اسم، وعليه علم، وله وجه، فأدرك ما بين يديه من البلاغ، {كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك}¹³، يوم عرفه وجه ربه، ذا الجلال والإكرام، عرفه من الباقيين.. عرفه من الخالدين.. عرفه من الوارثين.. عرفه من المتعلمين.. عرفه عالما لرب العالمين.. عرفه لعالمه أول العابدين وأول المعلمين.

أولئك يحشرون مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا في حضرة الله رب العالمين، لا فرق بين نبي والمنبئين، لا فرق بين ولي والمتولين، لا فرق بين رب عاكف على عباده والعابدين، بالله قائمين، ولله لا يغيبون، وبه لا يحيطون، ولكنهم بالله يؤمنون، يوم هم بأنفسهم يؤمنون، فلله في أنفسهم يعرفون ويشهدون، ويقومون فيرفعون شعار لا إله إلا الله، به يدركون، ووراءه يتابعون، خلف من

كان لهم شعار لا إله إلا الله، قائد ركب العالمين، إلى إله العالمين، ربا للعالمين، يوم أنهم به يقومون، ولأنفسهم يعلمون، وكتاب قيامهم يقرأون، بأيمانهم يأخذون، وبفعلهم واستقامتهم في الناس ينشرون. فكيف عَرَفَ المسلمون الله؟ وكيف قَدَّرَ المسلمون كتاب الله؟ وكيف أدرك المسلمون كلام الله؟ إنهم ما زالوا يضعون أصابعهم في آذانهم حذر الموت، من لسان الله بينهم ناطق، بالصدّيقين الصادقين، لهم صادق.

لو أن ما في الأرض من شجرة أقلام، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر، لنفذ البحر ومثله، ومثله معه مهما تضاغت، ولقصفت الأقلام مهما تكاثرت، دون انقضاء كلام الله متكلمها، ودون كوثر وجوهه في الخلق معلّمها.

ولكنهم بوحى الشيطان ينطقون - أَوْحِيْ بعد رسول الله- ما أجهلكم! ما أسمعكم! وهو الذي يقول، ألهمها فجورها وتقواها، فكيف يتوقف إلهامه للنفس بفجورها وتقواها؟ كيف يتعطل الله، في قائمه، وفي قيومه، وفي صفاته؟ كيف يتعطل الله في ذاته؟ كيف يتعطل الله في روحه؟ كيف يتعطل الله في نوره؟ كيف يتعطل الله في وجوده؟ وكيف يتعطل الله في جوده؟

أي دين هذا؟! ولمن ينسب دينكم؟! وأي علم هذا؟! ولمن يُنسب علمكم؟! وهل كان لكم رب غير الشيطان لوجودكم وإلهامكم، يجري منكم مجرى الدم، فضيقتم مسالك الرحمن لكم، بملء بطونكم، وتفرغ عقولكم، وإماتة قلوبكم؟!!

أين هو الله، إن لم يكن معكم؟ وأين هو رسول الله، إن لم يكن إنسان جمعكم؟ وما هي قبلتكم لحججكم وصلاتكم؟ إن لم تكن لرسول الله، هل هي إلى مقابر تعممرها جيف؟ أم هي إلى غرفة، تجعلونها مقبرة لمعانيكم وسجيناً لعقول مبانيكم، ولا تتخذون منها عبرة لكم لما يعينكم، فتعرفونها رمزا لمبانيكم وما تحوي من حق لقائم معانيكم (القلب بيت الرب) ١٤؟

إن القرآن يقول لكم، في عبارة عربية صريحة، لا تحتاج إلى تأويل، {أولئك يجزون الغرفة بما صبروا} ١٥، فما تكون الغرفة تجزى؟ وما تكون غرفتكم قبلتكم؟ تقولون شادها آدم، وجددها إبراهيم، ثم جددها قوم محمد، قبل أن يظهر لهم بها محمد. إنها غرفة من صنع الإنسان، والإنسان هيكل، غرفة من صنع نفسه، فسواء كان آدم أسسها أو إبراهيم جددها، أو قوم محمد شادوها، فما كان ذلك إلا إشارة ورمزا لبناء أنفسهم. وها هي قد تجددت في عصركم، بالكنودين من بينكم، إشارة لقرب صاحبها لكم، سنة الله في الآخرين، كما هي سنة الله في الأولين، مُجددة دائماً في قيام القائمين.

نعم بناها آدم، لمعنى نفسه، وجددها إبراهيم لمعنى بيته، وجددها قوم محمد لمعنى أمة الخير به، أمة الرحمة بمحمد، فكان محمد وعمران وإبراهيم، الأمر الوسط مُجَدِّدين، وكان آدم بها أمر الأولين، ويظهر بها مسيحه ليوم الدين، يوم يظهر كلمة الله، أخا للمؤمنين، قائماً في رسول الله، إنسان العالمين.

فيقدر الله حق قدره، لا يغيب ولا يحتجب، ولا يحاط به ولا يظهر جزؤه ب كله. محيط لا يحاط به، مُدْرِك يدرك عند مدرِّكه بما دَرَّكُه<sup>١٦</sup>، من الإدراك به لنفسه، فبالإدراك به يكون الإيمان، وبالإدراك فيه يكون الإحسان، وبالإدراك عنه يكون اليقين، إنه دقات القلب للعارفين.. إنه نبضات الحس للموقنين.. إنه إشراقات العقل للمعلمين.. إنه انطلاق الذات للهووبيين.

إنه الحياة للأحياء.. فاقده إنما هو فاقد الحياة.. فاقده هو الميت.. وكاسبه هو الحي.. إنكم به اليوم بأمانة الحياة تحيون، ولستم أحياء، إنها الأمانة حية، بقاءكم، فإن كسبتموها كسبتم الخلود ولا موت، وإن فقدتموها، كسبتم الموت ولا حياة.

تحبون العاجلة، وتذرون الآجلة، فلا العاجلة ولا الآجلة غايتكم على ما أراد الحق بكم. ما خلقكم لآجلة ولا لعاجلة، ولكن خلقكم لنفسه، ولكن خلقكم لتعبدوا هياكلكم له، فتكونون نفوساً له. ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوا أنفسهم لقيامه، يوم يدخلون معه في سلامه.

يا أيها الناس ادخلوا في السلم كافة، فهل في السلم دخلنا؟! فن أنفسنا وضيقها عُنُقنا وسلِّنا؟! ولكن ما أصبرنا على السجن، في سجين أنفسنا، لا نفتحم عقبة، ولا نعق رقبة، ولا ننطلق من مادي وجود، إلى محرر وجود.

مالكما دعيتم إلى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض!! ما لكم لا تحيون داعي الله إلى ما يحييكم!! أنا فرطكم على الحوض، يؤتى بأقوام أعرفهم ويعرفوني ويؤخذ بهم دوني.. علَّمت الأسماء كلها، مزوية لي الأرض، مسجدا وطهورا، ما عرفني من عرفني، إلا يوم عرفني حقاً، على ما أنا، وكيف أنا، وحيث أنا. إن الزبد يذهب جفاءً، وما ينجع الناس يمكث في الأرض.

أنا حي في قبري.. أنا أول من تنشق الأرض عنه.. أنا الدابة التي عرفت ممطيها.. أنا الداني الذي عرف الأعلى.. أنا من قال أعلاه لأدناه لا فرق بيني وبينك.. أنا الحق جئتكم.. أنا الحق أعمل دائماً وأبداً بينكم.. (تعرض علي أعمالكم، فإن وجدت خيراً حمدت الله، وإن وجدت شراً استغفرت لكم)<sup>١٧</sup>.

بالحق أنزله الأعلى، وبالحق نزل، لأنه لا يشهد إلا المطلق، إنه عرفه بما عرفه للأعلى رفيق.. إنه عرفه بما اصطفاه للمطلق طريق.. إنه عرفه بما كلفه للمؤمن صديق.. إنه عرفه بما أرسله للعارف خليل

ورفيق.. إنه بما آواه الدين كله.. إنه بما أقامه الكتاب كله.. إنه بما هداه العلم كله.. إنه بما أعطاه الوجود كله.. إنه بما بعثه الحق كله.

فهل وُردت<sup>١٨</sup> أحواض الحق بمعانيه؟! هل استقبلت قبلته بين الناس بمبانيه؟! هل قبل الناس أن يكونوا كوثر وجوده لذاته على ما عرفوه، ليكون لهم به كوثر وجودهم، يوم هم به يشرفوه؟! ولكنهم إلى أنفسهم بمبانيهم سخبوه بمعانيه وما إلى نفسه سخبوهم لمعانيه ومغانيه، ثم هم لأنفسهم بمعناه ادعوه وزعموه، فأنفسهم لمعناه حرموه، وما تواجدوه، وعلى ما هم بأنفسهم مسخوا فما شرفوه. ولكن أبالسة بعثوا وقد فقدوه.

دين ودين.. دين الرحمن لقائمه الدائم، ومعناه القائم.. ودين الشيطان لقائمه الدائم أيضا ولمعناه القائم أيضا.. لكم دينكم ولي دين. فهل نحن في دين رسول الله؟! {ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا}<sup>١٩</sup>، أم في دين أنفسنا، (تداعى علينا الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها)<sup>٢٠</sup>.

نتكلم عن الحرية، ونتكلم عن الاستعمار، ونتكلم عن الرجعية، ونتكلم عن الشيئية، ونغفل الكلام عن الرحمن، ونغفل الكلام عن الرحمة، ونغفل الكلام عن الرحمانية، فما يكون أمرنا في موجودنا، لوجود الله بنا؟ هل حقيقة نحن موحدون، أم حقيقة نحن المشركون؟ هل نحن بحق المؤمنون، أم إن تأملنانا بحق، فنحن الكافرون، الكنودون، الجاحدون المارقون؟ المارقون من حقائقنا، الكافرون بحقنا، هو لنا أمانة الحياة لوجودنا، أحياء بأمانتها، بالحي القيوم، {الله لا إله إلا هو الحي القيوم}<sup>٢١</sup>.

فهل آمننا به، ونحن الحي، ونحن الحي القيوم، بالحي القيوم، رفيقا أعلى ورفيقا أدنى، ونحن الأمر الوسط بالله نؤمن؟ كنا برسول الله، يوم كنا برسول الله أمة وسطا، خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله تعرفه، لقائمه وقيومها برسوله، في قائمها لقيامها بلا إله إلا الله، وقيومها برسول الله، في الله أكبر.

فهل نحن لإيماننا جددنا، وفي إيماننا تواجدنا، على ما علمنا معلمنا (إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم سبعين مرة<sup>٢٢</sup>، أغيان أغيار يا رسول الله، حاشا وكلا.. بل هي أغيان أنوار<sup>٢٣</sup>)، في معارج المعرفة، في انطلاقات الحياة، في معارج الحق في طلب اللانهائي، لا يحاط به، سبحا في اللانهائي لا يشرك به، بحو النفس فيه، قريبا مقاربا برسوله في همة النفس به، عليا معليا، متعاليا.

بهذا جاءنا دين الإسلام، فإذا محترفو الدين المسترزقون به، فإذا من يتحدثون من قدس بطونهم، ومن كتاب فروجهم، يتحدثون من مخارجهم، لا من أفواههم، يقولون: (أوحى بعد رسول الله!)<sup>٢٤</sup>.. إنه ختام النبیین، قفل باب الاجتهاد.

وهم يفتحون لأنفسهم ولتابعيهم أبواب الفساد والعناد على مصراعيها، يسنون السيئ من السنن، ويتابعون السيئ مما سن آباؤهم، أشكال تلتئم على أشكالها، في القائم والقديم لظلام الوجود بعيدا عن نور الحياة، ويفرضون سخافات إدراكهم على الأجيال قائمة وقادمة، يحملون أوزارهم وأوزارا مع أوزارهم، (فُقهَاء أُمِّي في الدرك الأسفل من النار) ٢٥.

تُقطع ألسنتهم، وشفاههم بمقارض من النار بما كانوا به يتحدثون، وإضافة إلى الحق ينسبون، يكتبون الكتاب بأيديهم ثم هم إلى الله ينسبون، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، حتى إذا قام الأمر بالمعروف، الناهي عن المنكر، لم يجد من يعينه، لفساد فقهاء هذه الأمة يقومون وراء طغاتها، للدنيا يعملون، وبالأخرة يجهلون، وبالله لا يعرفون ولا يؤمنون، فتولد رسالات الله بكوثر رسوله في جو خائق وبيئة مجافية وتتجدد رسالة الشيطان بهم كوثرًا بها. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم بمن جعلته رحمة للعالمين فارحمنا، اللهم بمن جعلته قدوة لكافة للناس، اللهم به فارفع حجاب الغفلة عنا، واكشف الغطاء منا، حتى نشهدك أقرب إلينا من جبل الوريد، فتوافق ألفاظنا بلا إله إلا الله شهادتنا لها، فنشهد أنه لا إله إلا الله حقا ويقينا وعلمًا، ونرفعها شعارا وكتابًا وعلمًا، أمة وسطًا، بين قديم الإنسان بها، وقادم الإنسان لها.

اللهم بلا إله إلا الله فانصرنا على أنفسنا، اللهم بلا إله إلا الله فانصرنا على كل مُنكرٍ لها، اللهم بلا إله إلا الله فانصرنا على كل طاغٍ عليها.

اللهم بلا إله إلا الله، قائم قيامنا، لقديمنا وقادمنا، بقائمتنا، فقوِّم طريقنا ويسر سبيلنا.

اللهم بلا إله إلا الله، عَرَفْنَاهَا فِيمَنْ قَامَهَا رَسُولًا بِهَا، فَكَانَ لَنَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَوْمَ نَكُونُ بِهِ لَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

اللهم به بنا فانشر لا إله إلا الله، على ما أردتها لمن خلقتهم لها.

اللهم اجعل لا إله إلا الله، كتاب علمنا وقويم طريقنا، واجعل محمدًا رسول الله، علم وجودنا لنا لموجودها لها.

اللهم لا تكلنا لأنفسنا، ولا لغيرك طرفة عين ولا أدنى من ذلك.

اللهم قنا شرور أنفسنا، وشرور الأشرار من خلقك من حولنا.

اللهم اكشف الغمة عن بلاد المسلمين، وعن الأرض جميعا.

اللهم أنزل سكينتك على قلوبنا، والسلم والسلام على أرضنا.

اللهم كن لنا برحمتك وكرمك وجودك وعزتك، حكاما ومحكومين، روادا ومرودين، مجاهدين ومتابعين، مسلمين ومؤمنين وعارفين، لا إله غيرك ولا معبود سواك، سبحانك إنا كنا من الظالمين، اللهم لا تردنا بعد أن هديتنا، إلى جاهليتنا، اللهم أوفر حظنا من الإسلام لرسولك إسلاما لك، ومن القيام بمعارجه معراجا إليك، جودا وكرما منك.

لا إله غيرك ولا معبود سواك.

### مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ إشارة للحديث الشريف: "إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا فَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَتَنَيْنِ: الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ..." أخرجه مسلم في صحيحه.
- ٢ إشارة للحديث الشريف: "أُعْطِيتُ نَحْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نَصَرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتُهُ الصَّلَاةَ فَلْيَصِلْ، وَأَحَلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يَبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبَعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً". حديث صحيح متفق عليه. صحيح البخاري.
- ٣ سورة النساء - ١٤٧
- ٤ سورة آل عمران - ٦٤
- ٥ حديث شريف: "المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ، والمؤمنُ أخو المؤمنِ يكفُ عليه ضيغته، ويحوطه من ورائه". أخرجه البخاري وأبو داود، والبزار والطبراني
- ٦ حديث شريف: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض". أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود.
- ٧ في إشارة للحديث الشريف "إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يُخْرَجُ مِنَ النَّارِ كَبُورًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَهَا مَلَأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلَأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا". أخرجه البخاري ومسلم.
- ٨ سورة آل عمران - ١٨٥
- ٩ سورة آل عمران - ١٣٣
- ١٠ سورة الحاقة - ٢٣
- ١١ سورة الرحمن - ٥٤
- ١٢ سورة الرحمن - ٤٦
- ١٣ سورة الرحمن - ٢٦-٢٧
- ١٤ عبارة دارجة عند المتصوفة يذكرونها كحديث قدسي يتناغم مع الحديث القدسي (لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن) الذي أخرجه أحمد بن حنبل في الزهد.

- ١٥ سورة الفرقان - ٧٥
- ١٦ تم التشكيل وفقا للنسخة الخطية المراجعة من السيد رافع.
- ١٧ حديث شريف: "تعرض عليّ أعمالكم، فما رأيت خيرا حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم." أخرجه النسائي والطبراني.
- ١٨ تم تشكيل هذه الكلمة وكلمات أخرى في نفس الفقرة وفقا للنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.
- ١٩ سورة النساء - ١٤١
- ٢٠ من الحديث الشريف: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل يا رسول الله: وما الوهن؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت" رواه أحمد وأبو داود
- ٢١ سورة آل عمران - ٢ ، سورة البقرة - ٢٥٥
- ٢٢ حديث شريف: "إنه ليغان على قلبي وإني أستغفر الله في اليوم سبعين مرة." أخرجه مسلم وأحمد وابن حبان. وجاء في الصحيحين، وسنن أبو داود بصيغة "إنه ليغان على قلبي وإني أستغفر الله في اليوم مائة مرة".
- ٢٣ مما ذكره الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في كتابه "لطائف المنن" أن الشيخ أبا الحسن الشاذلي قال: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فسألته عن هذا الحديث (إنه ليغان على قلبي) فقال لي: يا مبارك ذلك غين الأنوار لا غين الأغيار."
- ٢٤ عبارة جاءت في الأثر في أكثر من قصة على لسان بعض الصحابة والمتابعين يعبرون بها عن اعتقادهم بأن وحي السماء توقف بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى.
- ٢٥ إشارة إلى حديث شريف ذات صلة: "مررت ليلة أسري بي بأقوام تُقرضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ من نارٍ، قُلْتُ: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: خُطباءُ أمتِكَ الذين يقولون ما لا يفعلون ويقرؤون كتابَ الله ولا يعملون به." أخرجه أحمد والبخاري وأبو يعلى.

(١٢)

## اقتديناه لعين معناه طلبا لقيومه بقائه عيد غريبا، أبا سريعا، وروحا رشيدا

صلاة العيد

١ شوال ١٣٨٥ هـ - ٢٢ يناير ١٩٦٦ م

{ كما بدأنا أول خلق نعيده، وعدا علينا إنا كنا فاعلين }<sup>١</sup>. صدق الله العظيم..

إن اليوم.. عيد، فمن الذي عيد؟ إنه الإنسان يوم عاد، فمن الذي عاد؟ نحن في كل يوم نعود، ونعاد، فنحن في كل يوم في عيد، ما جددنا أنفسنا في الله، وما آمنا بالله، معيتنا، في القديم والجديد، معيتنا في القائم، وقائمتنا في القادم، ما ذكرناه وذكرناه، وذكرناه وأكبرناه، وأكبرناه وأكبرناه، بلا إله إلا الله، حتى كناه، أسماء لله ورسوله في لباس من خلق جديد.

فنحن يوم نعود، إلى قديمنا أو قادمنا في أحسن تقويم، فهذا لنا عيد، وهو يومنا، ويوم عيدنا، ما لبسنا في الله ثوب رحمته، وخلعنا عن أنفسنا ثوب فتنته، يجري منا مجرى الدم.

فليس العيد، في لباس، بأن نلبس ثوبا جديدا من دثار من الأرض، ولكن العيد أن نلبس ثوبا جديدا من دثار من نور الحق، أن نلبس ثوبا جديدا من التقوى، أن نلبس ثوبا جديدا من حسن الخلق، أن نلبس ثوبا جديدا من الحياة، أن نلبس ثوبا جديدا من الروح، أن نلبس ثوبا جديدا من الكون، أن نلبس ثوبا جديدا من الوجود.

إننا يوم نعود إلى قديمنا في أحسن تقويم، لبيعثنا بوجوده في قادمنا لأحسن تقويم، فنحن لأحسن تقويم ننشد، ونحن إلى أحسن تقويم نعمل ونعود، وهذا هو لنا معنى العيد، يوم نعاد فنعود، ويوم نتجدد في الله، فنَغْنَى<sup>٢</sup> فنجدد، نورا على نور للوجود، وروحا على روح في الشهود، وحياة على حياة في السجود، ووجودا على وجود للقيام والقعود.

ها نحن تقطعنا الأيام، فهل نحن قاطعوها؟ ها هي الأيام تتجدد، فهل نحن بوجود لنا مجدودها؟ نحن مجدودها ما عرفنا محمدا عيد غريبا، أبا سريعا وجدا جديدا، وروحا قائما رشيدا، فاقتديناه لعين معناه طلبا لقيومه بقائه لمولاه مولى لمن والاه، هو فيه الوليد السعيد والحق الجديد.

إن الذي لا يتجدد، مع أوقاته، لا إلى قديم يعود، ولا في قادم يسود، فكيف هو في عيد! هل هو في أمره بجديده؟ إن الإنسان الراكد، والإنسان المتجدد، إنهما لا يستويان، رجل حي يتجدد، ورجل ميت يموت كيف لميت أن يتعدد؟ ومن لم يتعدد كيف يتوحد؟

إن الذي أُعطي الكوثر، أُعطي الحياة، فكان بالحياة كوثرًا، وكان عن القديم الخبير والمخبر، وكان عن القادم الذكرى والخبر. كان المثل للناس، كان المثل للناس في قديمهم بقديمه، وفي قادمهم بقادم، وفي قيامهم بقاءه، كان بهم كوثر الحياة، وكانوا به حقائق الحياة.

فهل عرف الناس أنفسهم فيه؟ وهل عرفوهم في نفسه؟ وهل عرفوه لأنفسهم فطلبوه فتواجدوه؟ أم أنه خيالا ذكروه، لا في أنفسهم أعادوه، ولا بهم عليه اجتمعوه؟ تقطعهم الأيام، ما قطعوها، وتتجدد الأيام عليهم، ما بجديد لها في أنفسهم جددوها، يوم جددوه.

فلا آمنوا برب الليل والنهار، ولا برب الأزمان، ولا برب الأيام، فكانوا فيه الأزمان، والليل والنهار، فارتفعوا بهم يوم ارتفعوا به فوق الزمان وفوق المكان فعادوا به إلى الله.

عادوا إلى الله في أنفسهم، أسماءً له، يوم هجروهم، ومعانيم عن أنفسهم أبعدهم، فعادوا إلى الحق، فعيدوا إلى الحق، فكانت أوقات عودتهم، لهم عيد، فعرفوا معنى العيد. وعرفوا معنى القديم والجديد. {علمت نفس ما قدمت وأخرت}³.

فهل تواصلينا بالحق، وتواصلينا بالصبر، في أوقاتنا، على دوام بهما، فحققنا شيئا من أمرنا لأمرهما، فاجتمعنا اليوم بعد صيام عن الدنيا، وحالها، لنفطر بالدنيا، نحن سادتها في أحوالها، إليها نعود، وعليها نجود، ولها نسود، في إياب إلى الله وغيبة عنها، بعد مفارقة، قنا فيها لله طالبين، في ليلنا، وفي نهارنا، في نهارنا عن الدنيا صائمين، وفي ليلنا لله ذاكرين، وله ساجدين، عبادا قانتين، غير الله لا يعرفون، وغير الله لا يذكرون، فيعيدون في العيد إيابا إلى الناس والأرض والدنيا بجديد، يجددون ويصلحون، ويقومون من أمرهم فيها، على ما يعرفون في غيبتهم عنها؟

ما العيد يوم عيد؟ ما الدين به الإنسان وليد؟ إنه لقوم هم به عن اللغو يمسكون، وعن الحديث في غير الله يصومون، فبصيامهم في جديد من لون يتجددون، يصومون عن المحارم، فبالابتعاد عما نهوا عنه، يتوضؤون، وبالقيام فيما أمروا، يصلّون، لله يسجدون وبالله يقومون، وفي الله يعملون، وبالله يقدرّون،

والله يستعينون، حتى يتوفاهم على ما ينشدون ويطلبون ويريدون، فإلى حظيرة الله يعودون، ومن ظلام أنفسهم يخرجون، وبنور السماوات والأرض يتواجدون...

عبادا لله، حقائق لله، أقباسا من نور الله، إنسانية الله، في الله يرشدون، ومن الرشد يستزيدون، فالله بموجودهم يذكرهم، وبفعلهم يُذكرون، وفي الناس باسم الله ينتشرون، بما جعل الله لهم من نوره به في الناس ينتشرون، وبهم يمشون وفي الطريق يسرون.

هم حول بيت الله بإنسانه لشهودهم يطوفون، رجالا لله لأنفسهم عبادا له يعرفون، وقبله صلاتهم بقلوبهم إليها يتجهون، وصوت الحق منها، إليهم يسمعون، وبيت الله لوجودهم فيه يعكفون، منه لا يخرجون، فيه جناتهم بها يسعدون، هم فيه، وهو فيهم، على ما يشهدون ويعرفون.

فبالله يؤمنون، يوم هم بالله يقومون، وعلى غير الله ينكرون، وموجود الله يوحدون، بلا إله إلا الله، لأنفسهم يشهدون. وبالله أكبر، لرسوله به يؤمنون وخلفه يسرون، عطاء غير ممنون، لا يجز على ما يشهدون، لحقائقتهم للانهائي يعبدون، خلف من هداهم، وسجد بهم يوم يسجدون، وقام بهم يوم يقومون، وحيا بهم يوم يحيون.

هم به، على ما يرون، وهو ليس بهم على ما يعرفون. هم به السعداء يوم يسعدون، وإليه حظيرة الحق له يرجعون فيه حقا لهم يقومون. وهم بأنفسهم التعساء، يوم هم منه ينفرون وعنه ينقطعون وبعيدا عن معنى العبد لأنفسهم به، يزعمون أو يتوهمون.

هو لهم من الله الرب أنكره، فكيف يتعبدون، وهم بدونه لا يقومون! إنه العبد والرب، يوم يوحدون، ووحدانية الله لأنفسهم يطلبون، فكيف يقوم لهم دين، وهم عن لا إله إلا الله بعيدون، وبشهودها لا يقومون، وأبوابها في أهلها لا يطرقون؟ فكيف هم إلى ساحتها يدخلون، وهم ما زالوا، عن الباب يبحثون، ولمعالمه بينهم ينكرون، لأنهم عمي القلوب لا يبصرون فكيف هم إلى الحق يعودون!

إن العيد، لمن إلى الله عيد، إن العيد لمن إلى الله يعود، إن العيد، لمن الله إليه عاد، يوم خرج من العناد، لا يغير الله ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، اسألوا أنفسكم صباح مساء، اسألوا أنفسكم في كل يوم، ماذا كسبتم وماذا خسرتم؟ وأي خطوات في الطريق قطعتم؟ وإلى أي غاية مع الزمان سرتم؟

هل جديدا حصلتم وجديدا أدركتم، فإلى الحق في معيتم عدتم، وهو الأقرب إليكم من جبل الوريد ما طلبتم؟ فهل طلبتم فوجدتم فجددتم فتبينتم فشهدتم فعرفتكم أنه لا إله إلا الله؟ هل بها قتم فأدركتم أن الله

أكبر؟ هل كنتم أسماء لله، فكنتم عبادا لله، أم أن الإنسان لربه لكنود، فأنتم ما زلتم معه في الكنود وفي المجود؟

عباد الله، اتقوا الله، وجددوا لباسكم، وجددوا عودتكم، وجددوكم لمعية الله لكم، أقرب فأقرب، حتى تكونكم، يوم تنكروكم، وبه تذكروكم، حتى تذكركم، وتذكرونها، يوم تنسون أنفسكم، فتتواجدونها، يوم تنسون أنفسكم بالشيطان، فتتواجدونها بالرحمن.

اشهدوا أنه لا إله إلا الله، ولن تشهدوا لا إله إلا الله، إلا يوم أن تعلموا أنه لا إله إلا الله، ولن تعلموا أنه لا إله إلا الله، إلا يوم تجاهدوكم الشيطان يجري منكم مجرى الدم، فتضيقوا مسالك الشيطان بالجوع والعطش، على ما فعلتم في رمضان، فعدتم إلى الله وعاد إليكم الله، فكنتم في يومكم هذا في عيد، حقا، وكنتم في يومكم هذا في لباس جديد حقا، وكنتم في يومكم هذا في أمر وليد حقا، فحق لكم أن تتبادلوا التهنة بالعيد، وأن تتواصوا بالعيد، وأن تقوموا في أمركم في الأمر الجديد.

لا إله إلا الله، محمد رسول الله

والله أكبر، والله أكبر، والله الحمد

وكل عام وأنتم بخير.

### مصادر التوثيق والتحقيق

- ١ سورة الأنبياء - ١٠٤
- ٢ تم التشكيل وفقا للنسخة المطبوعة المراجعة من السيد علي رافع.
- ٣ سورة الانفطار - ٥

(١٣)

## الإنسان

في ذاته لا اسم له وبحكمة صفاته لا باطل له  
وبحقيقته لا عدم له وبحقيقته لا بدء له  
أما يكفي الإنسان أن يتواجد إنسانا

حديث الجمعة

١٤ شوال ١٣٨٥ هـ - ٤ فبراير ١٩٦٥ م

تصحیح التاريخ الهجري: ٣ شوال ١٣٨٤ هـ

الله أكبر.. الله أكبر.

الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا. لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، لا موجود بحق إلا إياه.

ما خلق السماوات والأرض إلا بالحق، وما تواجد بهما إلا الحق، وما قام عليهما إلا الحق، وما تواجد فيهما إلا الحق، سبحانه وتعالى عما يصفون.

قام الإنسان وجودا بالحق، وقام عليه الأعلى بالحق، وتواجد منه الأدنى بالحق، فتعالى الحق، وتدانى الحق، وأبان الحق، وبان الحق، وغاب الحق بعظمته، وقارب الحق برحمته.

غاب بعظمته، ليترك المجال لرحمته، تخلفت رحمته عظمته، على وجوده، وكان الإنسان في علميته على حقيقته علما على عظمته، وعلما على رحمته، وعلما على وجوده وجوده.

كان الإنسان فيه جماع الأشياء فيه، على ما هي جميع الأشياء فيه، والكائنات فيه، والعوالم فيه، فكان به أوسع ما فيه وأقل ما فيه، وأكرم ما فيه وأخبث ما فيه. كان أكرم ما فيه ييقظته لطلب حقيقته بقاء عبوديته.. وأسفل ما فيه بغفلته عن أمره في ربوبيته، وفي ألوهيته، وفي حقيقته، وفي انطلاقه

وحريته، يوم فَضَّلَ الظلام على النور، ووضع أمر حريته دون قبره في مقبرته، بشيئته، وضيقه في كينونته.

الإنسان في الله، والإنسان بالله، والإنسان فيه الله، الإنسان شرف الإنسان، والإنسان خالق الإنسان، والإنسان رب الإنسان، والإنسان إله الإنسان، والإنسان عبد الإنسان، وهو في كل ذلك في صورة لمعنى الإنسان في مجهوله من أمر الإنسان.

إن الإنسان بذلك، وبغير ذلك، إنما هو في الله، إنما هو لله، والله له، والله فيه، لنفسه ولمعانيه، الإنسان أحد واحديته، وأحدية أحديته.

الإنسان في ذاته لا اسم له، والإنسان بصفاته لا باطل له، والإنسان بحقيقته لا عدم له، والإنسان بحقيقته لا بدء له، ولا انتهاء له.

أما يُرضي الإنسان أن يكون إنساناً! أما يكفي الإنسان أن يتواجد إنساناً! ألا يُسعد الإنسان أنه في طريق الإنسان! إن الله هو الله، وإن الإنسان هو الإنسان. نعم جعل الله من الإنسان عليه العلم والعنوان، أما يكفي الإنسان أن يكون إنساناً ليكون على الله العلم وله العنوان!

أما يكفي الإنسان أن يتخلق بخلق الله، وأن يقوم باسم الله، وأن يتحلى بصفات الله، وأن يعمل وأن يظهر بقدرة الله، وبغزة الله!

ولكن الإنسان، يطغى، أن رآه استغنى، إنه يريد أن يتجاهل الله، إلى اسم الله، ويريد أن يعتزل عن الله، بقائم صفات الله، يريد أن ينسى مُوجده، بحي وجوده، يريد أن يغفل عن مُشْهده بمشهوده لموجوده.

شرفه بأنه أقرب إليه من حبل الوريد، وأنه من ورائه بإحاطته، وأنه عليه بقيوميته، وأنه له بقائمه، وهو يريد أن يتجاهل ذلك كله، إلى أمانة وجوده، باسم مؤتمنه.

لا يقنعه أن يكون اسماً لله، بقائم نوره به، ولكنه يريد أن يزحزح الله عن مكانته عنده، إلى ساكن مكانه من نوره له بوهم مطلقه لوجوده، لعين موجوده، لا يقنع أن يكون وجهاً وعنواناً لموجده. لا يكفي أن يكون وجهاً لمطلقه، وطلعة لشهوده.

إن الإنسان، في أمره من الله، مسبوق بالله ورسوله، وملحق بالله ورسوله. فهو مسبوق بالله ورسوله، مهما تكشف له عن معاني القدم له، والذي يبقى، بعد بقائه، ما بقي، وما تأبد، إنما هو الأبقى، وإنما هو الله ورسوله. فالإنسان بين الله ورسوله، لتقديم حقيقته، لقائم خليقته، والله ورسوله أبقي من بقاء

حقيقته، لقيوم خليقته، مهما تأبد وجوده فبعده الله ورسوله. فنهاية الإنسان لتمامه وكماله، قيامه في قائمه لقيومه بالله ورسوله كلمة منه ومسيحا له وجه واسم وعبد مطلقه.

إن الإنسان، بين قديم الله ورسوله له، وقادم الله ورسوله به، بُعث قديمه، لبقائه بباقيه، من خلال قائمه، لوجوده كوثر تواجده لموجوده، يبقى في دائمه بين يدي رحمته، بالله ورسوله.

فالإنسان في اتجاه الأعلى، والإنسان في اتجاه الأدنى طلبا للمحيط المطلق تتواجد به فيه له الأوضاع، من قائم الله ورسوله به، فإذا نظر إلى الله ورسوله، يقلانه في وجوده بقائه لمعاني الرب عليه، بقدسية الحياة البشرية الأرضية فإنه يجدهما يدا حمله وإقلاله، بتواجدتهما فيه دونه، يرتفعان به، ليعلم عنهما في الوصلة بهما في عليهما عليه هو له، مرثيان له، من دونه فيما ترك من عمله في مرآة وجوده، إكبارا وإعزازا له، وإرشادا وهديا له، وتحقيقا له، من معاني خلقه، إلى قائم حقه. {وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون}¹.

بدءا منه تبدأ معرفته، وبدءا منه تبدأ كينونته، وبدءا منه يبدأ عمله، وبدءا منه يبدأ كتابه، وبدءا منه تبدأ حقيقته، ولكن الناس بجاهليتهم يريدون أن يبدأوا بالله علما أو أن يبدأوا بالله اعتقادا، أو أن يبدأوا بالله وجودا، أو أن يبدأوا بالله وُصلة وشهودا.

أنى يكون لهم ذلك، وليس لهم وجود بعد! إن لهم أمانة الحق لقائهم، بها يخلقون أنفسهم، وبها يتواجدون حقيقتهم وبها يعملون خيرهم، وبها يشيدون كونهم، وبها يكتبون صحائفهم، وبها يحركون أقلامهم، وبها تحيا إرادتهم، وتستقيم مشيئتهم، ويتحرر أمرهم، ويعلو شأنهم، ويتأبد وجودهم، فتتأزل معانيهم. {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون}²، أي يكون عيسى خلف آدم وفي خطوه، ليكون نفسه على ما كونها وأتمها لنفسه أبوه آدم فصار بها إنسانا رسولا.

وبعد ذلك، يفتح لهم الإدراك عن الله، فيعرفونه سبق وجودهم، بالرب وعنده، وباقي موجودهم، للعبد وربّه، فتتكشف عنهم لهم أخطيتهم عن العبد وربّه، لأمرهم في قائمهم، على ما كان في قديم، وعلى ما يكون في قادم، وعلى ما هو في قائم، فطرة الله التي فطر الناس عليها، وصبغة الله للوجود ومن أحسن من الله صبغة.

إنهم ثلاثة في واحد، وإنه الواحد في ثلاثته، هذا أمر الإنسان في علميته على ذي المعارج والحق الصمد، لحقية عبده لعباده منه. إنه الإنسان، في ثالوثه بأقداسه لكوثره لقدسية بيته بأركان البيت وعمده.

إنه الإنسان، في أحديته لواحديته جماع موجوداته، وجماع صوره، وجماع أشيائه، وجماع أشلائه وأشتاته لجماع أعضائه، وجماع جوارحه، وجماع خلاياه لواحديته بأحديته.

إن الإنسان، بظاهره وباطنه، يعبر عن عابده ومعبوده بموجوده بمعنى الغيب له ربا، لقائه ظاهر غيبه عبدا.

وإن الإنسان، بقاءه، يعبر عن موعوده لقادمه، على ما كان في قديمه لقاؤه. فالإنسان في قائه، أمر وسط، بين الإنسان في أحسن تقويم لقديمه، والإنسان في أحسن تقويم لقادمه.

فإذا كان الإنسان في أحسن تقويم بقاءه، جديد قديمه معه، وقائم وقديم جديده لموجوده، بموجود منه به عنده، فهو الأمر الوسط، وهذا هو الإنسان، بثالوثه، لأحده، لمعاني واحدته، فهو بقاءه، عين قديمه، وقائم جديده به منه.

إنه في قائه بذلك، يعلم أن قديمه لا بدء له، وأن جديده لا تعطل له، لمعاني الحق بالقديم والجديد لقاؤه أمرا وسطا، إنسانا بين يدي إنسانية الله، بين يدي رحمته، مظلة بالقديم، ومُقلة بالقادم، صامدة في القائم.

هذا الإنسان.. هو الإنسان الجدير بوصف الإنسان، والكاسب لصفة الإنسان، والقائم باسم الإنسان، والعامل لمعنى الإنسان، والقادر لقدرة الإنسان، والحق لحقيقة الإنسان. هذا إنسان الله.. هذا إنسان حق الله.. هذا ما قامه لنا بيننا لنكونه، بكائه له، من عرفناه محمد الله، من عرفناه رسول الله، من لاقيناه عبد الله لاقتدائنا، وفقدناه لأننا في أنفسنا ما شهدناه، فما شهدنا محمدا رسول الله نورا ينتشر فينا لله.

فقدنا ما قتنا مما كنا بلا إله إلا الله، يوم أعلمناها، فشهدناها، فأمنّاها وتجاوزنا، وما كانت لنا غير معناه، فما كان لنا إلا مولاه، {يا أيها الذين آمنوا، اتقوا الله وآمنوا برسوله}³.

طلبنا مولانا بعيدا عنه، فباعدنا بيننا وبين مولاه، فكيف يقاربنا وقد جافيناه؟ كيف يقبلنا وقد خاصمناه؟ كيف يحبنا وقد قلوناه؟ كيف نصدق معه وقد كذبناه؟ قال لنا جاء الحق، فما قبلناه، ولا قلنا جاء الحق فخيّنناه، ولكنا في التراب وبين الجيف قبرناه، وما من أنفسنا قناه فبعثناه.

قال لنا هو الذي يقوم ويتقلب في الساجدين نشهده ونراه، فحافينا أن نُشهد من مولاه وأنكرنا عليه مشهودا نراه، فلم نقبل أن يقوم فينا لنكون ظلّالا لمعناه، ونقول كيف نعبد من دون الله؟ وهل كان لنا من دون الله، أليس هو رسول الله؟ هل كان لنا من دون الله، أليس هو عبد الله؟

هل عرفنا ما يكون عبد الله، ونحن ما كنا عبادا لله! ولكن كنا عبادا لأنفسنا، وعبدنا الله موهوما وهمناء، وعن وجودنا غيبناه، وفي الوجود ما ذكرناه ولا شهدناه، وفي أنفسنا فما اتقينا، ولا رهبناه، ولا أحببناه، لفظا رددناه، ووجودا خاصمناه.

ثم نحن نزعم بعد ذلك أننا المؤمنون بالله، وأتينا العباد لله، فإذا اتخذ بعضنا بعضا أربابا، اتخذوهم من دون الله معبدين أنفسهم للطغاة، والمارقين عن أمر الله، وراء دعائهم باسم الكتاب لله، والسنة لرسول الله، مردة الشيطان باسم الرحمن.

إن الذين عبدوا أو يعبدون الأوثان، خير من أولئك الذين يعبدون أهل الطغيان، فإن خدعة الأوثان إلى نهاية، ولكن خدعة الإنسان للإنسان ليست لها نهاية، إنها الهاوية، إنها دائم الغواية.

{فمن يكفر بالطاغوت، ويؤمن بالله، فقد استمسك بالعروة الوثقى، لا انفصام لها}٤. فرعون {يقدم قومه يوم القيامة}٥، فليس الطاغوت وهما يؤهم، ولا قياما خيالاً يتهم، وكذلك الرحمن، لا يعرف إلا بالإنسان، يشهد الإنسان الإنسان وجهها لوجه فيه.

هو {الرحمن فاسأل به خبيرا}٦. {وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا}٧، فالشيطان ليس معنى مجردا عن وجود، والرحمن ليس معنى مجردا عن وجود، فالشيطان معنى ووجود، هو معنا، يلهمنا ويسمعنا، والرحمن ليس هو دون الشيطان، إنه معنا، يلهمنا ويسمعنا. إن الله لنا معنا بهما من ورائهما، برحمته وبفتنته، تجمعهما فيه له، حكمته وإرادته، وهدايته ورحمته، يحملها في نفوسنا عوالم وجود لحقي وجوده لتواجهده.

إن قائم الإنسان على ما هو الإنسان، له نصيب من الرحمن ونصيب من الشيطان يتفاوتان في قائم ذاته ومشهودها لهما. كما أن له نصيب من الرحمن، ونصيب من الشيطان لغيب معناه بهما، يعبر عنه لقيومه لمعناه، بمشهوده لوجوده بقاءه قائم غيبه.

هذا ما جاءكم به الدين، فكيف أنكم من الحق تنفرون؟ إنه يقول لكم (إن الشيطان يجري منكم مجرى الدم)٨، فلم لا تصدقون ولأمر أنفسكم تعرفون؟ إنه يقول لكم إن الله أقرب إليكم من حبل الوريد، فلم ترفضون، وبينكم وبين الرحيم تباعدون، وعن موجودكم تعزلون!! فكيف بعد هذا تعرفون!! وهو الذي يقول لكم {وفي أنفسكم أفلا تبصرون}٩.

فإن أبصرتم في أنفسكم فإذا ترون؟ وإذا كشف عنكم الغطاء ماذا تجدون؟ ألم يقل لكم {سنريهم آياتنا في الآفاق، وفي أنفسهم، حتى يتبين لهم أنه الحق}١٠؟ أفلا تعقلون! ولم يتحدث بضمير الغائب؟ ولم

يتحدث بضمير المخاطب؟ لأن الحديث غير موجه لأهل الإيمان، لأن أهل الإيمان وجدوا الحق في أنفسهم، وفي الآفاق، لم لا تفكرون؟

إن أهل الإيمان لم ينتظروا ولا ينتظرون ساعة، ولم ينكروا ولا ينكرون قيامة، ولم يجهلوا ولا يجهلون حشراً، ولم يحرموا ولا يحرمون نشرأ، ولم ينتظروا ولا ينتظرون بعثاً، اللهم إلا بعثاً بعد بعث، في مراقي الله ذي المعارج، مبعوثين بالحق دوماً، في الحق يعرجون يوماً فيوماً، وللخلق يجددون، وبخلق الخالق يتخلقون، وبخلقهم في خلقهم يتصفون، فلا حقا في الخلق ينكرون، ولا عن طلب للحق يغفلون، حقا من بعد حق يتواجدون، وخلقاً من بعد خلق يتجلون ويتجددون.

الله بعيداً عن أنفسهم لا يعرفون، إلا إكباراً له في مطلقه ولانهايه، حق قدره يقدرون، وإيماناً بمعاني الغيب لهم لا غيرهم سكينه لهم ينتظرون، وفيها وبها يتكثرون عما يوجدون، تخلقاً بأخلاق من صنعهم، فكما صنع يصنعون، وكما تخلق يتخلقون، وكما فعل يفعلون، وتعالى الله عما يصف الجاهلون.

له يقدرون، وله يكبرون، وفي أنفسهم لا يجهلون، وبذكره في معانيهم لا يكفرون، به مستعينين، له مقدرين، وبقدرته، هم على عملهم هم القادرون، وبه على موجوداتهم يعلون ويقدرون ويحكمون، ثم هم لها، برحمته فوق رؤوسهم يرفعون، ويكبرون صنع القديم بهم، ومأمول القادم لهم، لمن لا قديم ولا قادم له.

ذلك كله، قدّمه من أظهره الأعلى على الدين كله، وعلمه الأسماء كلها، وتجلاه الحق، باسم العبد، أشرف أسمائه، وأقدر الأسماء على إكبار حقيقته، في قائم حقه، يوم أنكر معنى الحق على مشهود نفسه إلى تعريفه لموصوف خلقه، إكباراً للنفس باسم عبده وإعزازاً لحقية العبد باسم ربه، رحمة بالخلق في اقتدائه بوجوده لعين موجدته.

أمره ربه أن يخفض جناح الذل من الرحمة، وقد أنزله الحق بالحق، فبالحق للحق نزل، خفض جناح الذل من الرحمة، ورفع الناس إلى السماوات، لعين هامته بهالته، وسبح بهم في الوجود لمعنى جلدته.

أسرى به من أسرى فيه ما أسرى منه، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فالكل فيه له به يسري، وقد جعل المسجد الحرام لمعنى ومكانية قلبه، لقائم وواسع وجوده، والمسجد الأقصى لمعنى ومكانية رأسه له فيه تتجول حقائقه فيه بمعانيه معنىً مقابلاً لكرات الدم فيه، من عوالم النار، وعوالم النور، حمراء وبيضاء، تسبح في مجالها، من موجوده، لعين موجدته، علماً لعين كبيره، لموجود السماوات والأرض لقائم إنسانه علماً على أعلى لمعاني ربه في الله، رفيقاً أعلى لمقصوده ومعبوده.

ينكرون عليه الإنسان الكبير، ويجحدوهم فيه الإنسان الصغير، وهو الذي نزل بجناح الذل من الرحمة بهم، ليرفعهم لمعناه بالإنسان الكبير قائم الرب والحق لهم، وليظهر فيهم بمعناهم من الإنسان حتى يرتضوه لأنفسهم فيبادلهم على كبير وجوده، بصغير وجودهم، {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله}،<sup>١١</sup> يبيعهم الله به نفسه ويشترى بثن قليل منهم أنفسهم، يتبادلون معه على أنفسهم، وهم إذ يتبادلون معه على أنفسهم، وهم إذ يتبادلون مع الله نفسه ويضعون يدهم في يد الله يوم يضعون يدهم في يده، ويد الله هي العليا، ويدهم هي الدنيا.

ولكن الناس عليه يستعلون باسم الإكبار لله، وما يدرون أنهم باستعلائهم على رسول الله وعبد الله إنما هم على الله يستعلون وعلى الله يستكبرون! والله في عظمتهم لا يستعلي، وعليهم لا يستكبر، به يبايعهم بيده، ويشترىهم لنفسه، فيعطيهم عاجلة نفسه حقيقة، ويأخذ منهم آجلة أنفسهم خلقية، هو إنسان الله لهم، به يتطورون انطبعا عليه إلى معنى الإنسان لهم بتآلف القلوب على قلب بينهم.

هذا هو دين الإسلام.. هذا هو دين الفطرة.. هذا هو دين الوحدانية من التعديد والاثنية.. هذا هو دين الأحدية للثلاثية.. هذا هو دين التوحيد للتعدد.. هذا هو دين الإطلاق يشمل التقييد.. هذا هو دين لا إله إلا الله.. هذا هو دين لا إله إلا الله لنفسها وذاتها، يوم تعرف الله أكبر في قائمها بالإنسان.

إن الذي يقول لا إله إلا الله إنما هو من يطلب الله لنفسه.. وإن الذي يقول الله أكبر إنما هو من وجد الله في نفسه.. وإن الذي وجد نفسه الله أكبر، لما تواجد فيه بلا إله إلا الله، إنما هو عبد الله، الذي عرف الله فعرف أن ليس كمثل شيء، ولا يحده شيء، ولا يحجزه شيء..

الله عند عارفه به ليس له وجود يحجزه، وليس له زمان ينجزه، إن الله قبل الأزمان، وخالق الزمن.. إن الله قبل الأكوان وخالق الكون، إن مخلوق الكون لم يخرج من خالقه، وإن موجود الزمن، لم يخرج ممن هو فوق الزمن.

إن الإنسان في الله، هو الزمن، وهو المكان، وهو الكون، فهو بزمنه فيمن لا زمن له، وهو في كونه فيمن لا كون له. إن الله هو الناموس، للمنتفع بالناموس، والإنسان بانتفاعه بالناموس قام بنفسه لنفسه، فكان الإنسان لمعنى الناموس، للإنسان بمعناه، قائم الناموس.

(خلقت كل شيء من أجلك، فلا تتعب، وخلقتك من أجلي فلا تلعب)<sup>١٢</sup>، هدى الإنسان للإنسان، هدى إنسان الحق لإنسان الخلق.

ف لعب الإنسان بنفسه، واشتغل بملكه، ليكون مالكة، رَبِّبَ مملوكه وملك يده، وأعلاه على نفسه، ووضعته فوق رأسه، فقبر نفسه في وجوده.. قبر نفسه بنفسه في نفسه، (لا تقوم الساعة إلا على لكع بن لكع)<sup>١٣</sup>، بموصوفها الإرهابي فهي قائمة على دوام بموصوفها الإيجابي.

يتكلم الإنسان عن الدنيا، عن دنيا نفسه، عن مادة نفسه، عن مادة إحاطته به. وهو إن تجاهل محيطه بماديته، وقد دخل بيته من قلبه، للقي ربه. لو دخل في شيطانه، لتعارف إلى إنسانه ورحمته.

تأملوا رسول الله، وقد أبرز الناس لله جميعا، يوم دخل مكة حقا منتصرا، وحقا قاهرا، وعبدا منصورا، فأشهر أن من دخل بيته فهو آمن، ومن دخل بيت أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل البيت فهو آمن، (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك)<sup>١٤</sup>.. إن الله {قائم على كل نفس بما كسبت}<sup>١٥</sup>، {إن الله بالغ أمره}<sup>١٦</sup>، {وليس للإنسان إلا ما سعى}<sup>١٧</sup>.

إن شيطان الله أرحم بك منك، إن شيطانك بين جوانحك أقسى عليك، من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن...

ما أرحمك يا رسول الله!! لأنه مَلَكُ الشيطان لأمره، ومَلَكُ ما يدخل فيه، ولكنه لم يخجله ولم يخزيه، فلو أنكر الإنسان على نفسه، ولو إلى كبير شيطانه، لتعرض لرحمة الله بالإنكار على قدس بنيانه، لأن رسول الله كان له شيطانه، ولكن الله أعانه عليه فأسلم، أسلم لله، شهودا للحق برسول الله، فملكه رسول الله، ومَلَكُ من دخل فيه، ثم نزل عنه إليهم، واستقبل بهم منه، فقال (فهو لا يأمرني إلا بخير)<sup>١٨</sup>. وما أفلت من يد هدايته إلا من كان أسفل من السافلين، فما كان السافلون إلا الشياطين الذين لم يقبلوا رسول الله لهم مثلاً يحتذى. فالإنسان بكنوده لربه من جنسه أسفل من الشياطين.

إن الرسول أُرْسِلَ للأبيض والأسود والأحمر، فأبرزه الله آدمًا بحمده، أمرا وسطا بين الأبيض والأحمر فكان ناشئة الليل على كاهلها، وآدمًا في تمام إنسانه، وكان ليلة القدر في أتم مثلها، فبعث حجاب السكينة، كان قدسية الليل على ما هي قدسية النهار، {سلام هي حتى مطلع الفجر}<sup>١٩</sup>.. {والفجر وليالٍ عشر، والشفع والوتر، والليل إذا يسر}<sup>٢٠</sup>، فما كان الفجر والليالي العشر إلا الإنسان، وما كان الشفع والوتر، إلا طريق الإنسان بالإنسان للإنسان للرحمن، {قل إنما أعظكم بواحدة، أن تقوموا لله مثنى وفردى، ثم تتفكروا}<sup>٢١</sup>.

إن القرآن.. إن الكتاب.. إنما هو كتاب كل إنسان منكم، إنما هو قصة الحياة لكل إنسان، إن معنى آدم، معنى قائما لكل واحد منكم، إن معنى البيت، معنى قائما لكل قلب منكم، في قلبه.. إن معنى أهل البيت، إنما هو معنى قائما لكل أسرة يؤسسها فرد منكم على التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

إن معنى البشرية، إنما هو معنى قائماً، لكل كائن بشري بذاته بكيونته نواة لبشرية كاملة. {من قتل نفساً [مؤمنة].. بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً} ٢٢، من قتل نفساً مؤمنة، وبغير نفس، أما من قتل نفساً مؤمنة، أو غير مؤمنة، بنفسه حية، فخل بها بنور الله معه فقد أحياها فأحيا الناس جميعاً.

إن القرآن.. يبين ما أودع الله في رسول رحمته، {فصل لربك وانحر} ٢٣.. (تقوم وتقلب في الساجدين) ٢٤ بالنور الذي أنزلنا معك، {نهدي به من نشاء} ٢٥، {وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس} ٢٦. كل ذلك كان لرسول الله، وما زال له كائن وهو لكم بينكم كما تواجد من أنفسكم بكائن.

فما غاب رسول الله، وهو الحق من الله، وكيف يغيب الحق وما مات رسول الله، وهو الحق من الله؟ فكيف يموت الحق؟ وكيف تموت الحياة؟ وما انقطع عن عمله رسول الله، وهو علم الحياة، وكيف تنقضي أعلام الحياة؟ وكيف توصف بالانقضاء الحياة عند الأحياء؟ وكيف توصف بالبداية الحياة للحي القيوم؟

إن الحياة.. يكسبها، من لم يكن أصلاً في حياة، فاصطفته الحياة، وأدخلته فيها الحياة فدخلت فيه الحياة، من جعلت له الحياة، يقوم ويتقلب في الساجدين بالحياة، فيحيي الموتى، بقاء الحياة له، فينكشف لهم الغطاء، فيعرفون الحياة، ومصدر الحياة، ويسمعونه (أنا هو الحق والحياة) ٢٧.

هذا هو الخلاص والنجاة.. هذا هو الصفاء والموالاتة.. هذه هي الطريق لله، بالله، في الله، من الله، لمن يطلب الله، فيعرف الله، فيقوم الله، فينكشف عنه غطاؤه، فإذا هو اسم الله.. وكلمة الله.. وحبيب الله.. و خليل الله.. ورفيق الله.. ووجه الله.. ويد الله.. وعين الله.. وأذن الله.. وإنسان الله.. (ازرع كلمة الله في أرض ناسوتك) ٢٨.

هذا هو الإنسان في الله، يوم يؤمن بالله، ويسعده أن يكون إنساناً لله، وعبداً لله، وحقاً من حقائق الله، لا يقصر معناه على مبناه، ولا يحتجز لنفسه في نفسه مولاه، بل يشهده في كل من والاه، وكل من ناداه، ويبشره لكل من طلبه وسعاه، ويهدي إليه من تواسى معه بالحق لله.

ويكون للإنسان ذلك يوم يهديه الله إلى الله في نفسه، وهو إذ ينكر معنى الله له مقصوراً عليه في نفسه عند مواليه أول العابدين، خفضاً لجناح الذل من الرحمة، فهو إنما يذكر لا ينفر، ويسر لا يعسر، وطريق الله يعلم وينشر، وللحق في الناس يكشف ويبشر، فبالطريق يقوم ويقيم، يحيا ويذكر، طريقاً ممهداً، سبيلها لا يعكر، وبعيداً عنها فإن الإنسان يضل ويضل، ولا يلجأ إلى ظل بل لا ترهقه حمارة القيظ ٢٩، ولا ينتهي من التواء النفس، يطيب للظلام والخصام، ولا يستشرف للنور والسلام.

هذا ما جاءنا به رسول الله، وما قام به بيننا رسول الله، بذاته عرفناها، محمدًا، لجماع معناه، وبذواته لمعاني ظلاله سبقته على عين مثاله من كوثر ذواته لحقته، الكل له ظلال إنسانه، ظل الأعلى لحق رحمانه.

فكان بالحق بيننا وفي دوام، وكان لنا جميعا وفي سلام، وكان لنا جميعا، مقاربا وفي انتظام، وطالبا وفي قيام، وباخعا نفسه على آثارنا في غير خصام، يطلبنا الله في أنفسنا، ويجمع علينا هو في أنفسنا، ويجمعنا على من اجتمع عليه في نفسه، اجتماعا عليه في أنفسنا، يوم نجتمع عليه في أنفسنا لنفسه، لا فرق بيننا وبينه فنشهدنا محمدًا رسول الله، ويشهدنا لا إله إلا الله، ثم نشهدنا محمدًا رسول الله، فيشهدنا الله أكبر، ثم نشهدنا محمدًا رسول الله، فنشهده الله أكبر والله أكبر.

يسبقنا في كل شهود، لينحنا السكينة فيما سوف تسود، ويلحقنا في كل شهود لصعود، لينحنا مزيدا من المعرفة، فلا يتركنا نهوى في هاوية أنفسنا بالكبرياء، وفي طغياننا بإيماننا، أننا قد استوفينا الجزاء، وأنا قد استكملنا العطاء، حتى لا ينقطع عندنا معنى الرجاء، وحتى يبقى لنا بنا للانهائي معنى الفقراء.

كان الرسول لنا من كل زلل وجاء، حتى لا يمتنع الخير عنا، غير مجذوذ ولا العطاء، وحتى لا تنزل بنا نفوسنا إلى هاويتها، فتكون أمنا هاوية، لا آمنة، ولا ناجية، فنحن به أمنا نفوسنا آمنة، شجرتنا زاهرة، ووجوهنا به ناضرة، وعقولنا به عالية، ونفوسنا فاطمة متواضعة، حالنا بها خديجة، إلى ربها راجعة، في مقعد صدق مضجعة، في مرتقاها هاجعة، مجددة ثيابها مطهرة، ولمعناها بدائم جديد من مولاهما مستقبلة شاكرة.

فهل آمنّا بالرسول، على ما يليق بمرسله، فكأن الرسول على ما يليق بمرسله، يقوم ويتقلب في الساجدين؟ هل قام بنا؟ هل به لله سجدنا؟ هل لأنفسنا به لنفسه أسجدنا، ولأرواحنا أطلقنا، ولعقولنا أشرفنا، فعن الخلق سمونا، وفي الخالق بالخالق بعثنا، وله عرفنا، وكتاب أنفسنا قرأنا، وشعار لا إله إلا الله على رؤوسنا رفعنا، به قننا، وبه قلوبا غزونا وأقننا، به على نفوس نصرنا، وبه للظلام محونا، وبالنور نشرنا وانتشرنا؟

هذا هو الإسلام إن عرفنا.. وهذا هو السلام مع الله، إن نحن فيه دخلنا، ومع أنفسنا وأوقاتنا وإيماننا بدائم ذكر الله جددنا وقننا وأقننا.

(يجادلون في الله بغير علم، ولا هدى، ولا كتاب منير)<sup>٣٠</sup>. يغيبون الله، ويغيبون شعارات الله، ويغيبون هدي الله، ويغيبون قائم فعل الله، ويغيبون صفات الله، فلا يريدونه خالقًا، لقد انتهى من الخلق فقد خلقهم وانتهى! من الهدى فقد هداهم وانتهى! من الملك فقد ملكهم!

يبعدونه عن قائمه قائما على كل نفس، إذ ينتظرون له قيامة! لا يريدون أن يزحزحوا أنفسهم عن النار مبرزة لهم، ويدخلوا الجنة جناها دان لهم، لم تخرج منها أرضهم، ولم تتعطل عن فعلها باسمها لهم سماؤهم، السماء ذات الرجوع والأرض ذات الصدع في قيام دائب، في دوام وفي انتظام من الجنة يتردون، وإلى النار يردون، ومن النار يخرجون وإلى الجنة يحشرون.

ولكنهم ينتظرون القيامة! وينتظرون أن يدخلوا الجنة! {وجنى الجنيتين دان} ٣١، لا يصدقون، ولا يطلبون، ولا إلى أهلها، أبوابها لها بينهم يرجعون، {ولمن خاف مقام ربه جنتان} ٣٢. {واذكر ربك في نفسك} ٣٣، لقائم القيامة، ولكنهم لا يتضرعون، ولا يخافون، فهم لا يأملون ولا يرجعون، وهم لا يخشون ولا يتقون، ثم هم بعد ذلك عن الله ودينه يتحدثون، {كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون} ٣٤.

يحملون أمانة الدين الذي يزعمون إلى أولئك الذين هم في تقديرهم يجهلون، فيأمرهم بالمعروف الذي يصفون، وينهونهم عن المنكر الذي لا يستطيعون، والذي يحددون ويصفون، وديننا من وضع أنفسهم يقيمون، وكلام الله عن مواضعه يحرفون، لأنهم له لا يدركون، وبه لا يقومون، وبما أراد من حكمة لا يعملون ولا يعقلون، فكتاب الله لم يمس قلوبهم متطهرين، ثم هم أصحاب الفضل والفضيلة المتخلصون من النقص والذيلة لهم على الناس الأمر وقولهم القول الفصل!

على الناس أن يدخلوا في فقههم ويطلقوا عقولهم، فهم الأئمة لهذه الأمة، عليهم أنهم لهم ولفقههم يسجدون، وعليهم لا يستكبرون، ومنهم يسمعون، ولا يجادلون فيما يقولون حتى لا يكفرون، فالإيمان بهم وبطغاتهم، هو إيمان بالدين ونجاة للمسلمين!

هذا ما أصبح حال من نسميهم المسلمين وفقهاء المسلمين، وما آل إليه أمرهم، فهم بين ضالين، ومضلين، بين جاهلين ومجهلين، كلما تكلموا قالوا الله أعلم بمراده.. يا من لا تعلم مراد الله، كيف نتعرض لبيان كلام الله!!!

هل أبرز الله حديثه بكتابه واحتفظ بمراده دون خلقه!!!؟ نعم إنه لا يمسه إلا المطهرون، ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا، فهل تطهرتم فلمستم فتحدثتم وأحكمتم؟ وكيف تعطى الحكمة لمن هم في أئنه أمورهم عقولهم لا يحكمون، ونفوسهم يجري الشيطان منها مجرى الدم في الخطير يحكمون؟

إنهم يرددون لا إله إلا الله، ببغاوات لها لا يشهدون، وفي قلوبهم لها لا يقيمون، ثم هم عنها يتحدثون ولمعناها يبينون ويشرحون ويجادلون، وبحديثهم عن سلف ينطقون صالح أو طالح بينهما لا يميزون، فهم لا يفقهون ما يقولون.

يرددون اسم الله، وهم على موصوف الخلق بالأسماء تعنونهم يرددون، يرونه ويعرفونه لفظاً كما بلفظ عن خلق يشيرون، اسم علم دل على الذات الأقدس، كما تدل أعلامهم بأسمائهم على معلوم ذواتهم، أسماء لا تعلل، ويصرفونه إلى فرد على ما هي أفرادهم، ولا يقبلونه اسماً يجمع على ما يسمون هم جمعهم، الناس، البشر، الإنسان.

إن تأملنا لوجدنا أسماءنا معللة. ومن الذي قال إنها لا تعلل؟ إن الذي أسمى ولده جميلاً، رآه جميلاً، وإن الذي أسمى ولده سبعا، توسم فيه أو رجلاً له أن يكون قوياً أو سيّداً، فكيف لا تعلل الأسماء؟ إن الذي أطلق الناس عليه اسم المحش مثلاً رأى مسميه فيه صفة الغباء، أو رأى فيه صفة من صفات الثناء كالصبر والتحمل للمكاره، فهي تسمية على هذا الوجه أو ذاك معللة.

تأملوا الشاعر العربي، وهو يمدح أميراً يرجو رفته فيقول له:

أنت كالكلب في حفاظك للود.. وكالتيس في قراع الخطوب.<sup>٣٥</sup>

إنه لم ير في هذه الألفاظ، في زاوية الثناء ما يعيب أن يشبه الأمير به، فهي أسماء معللة، فكيف تقولون إن لفظ "الله" اسم علم تقدرونه بعيداً عن موجود الوجود به، علماً كأعلام الناس، ثم تضعون قاعدة أن الأسماء لا تعلل حتى لا تطالبوا بتفسير للفظ "الله"، تعجزون عن تقديمه؟

إن هذا من جهلهم، ولكنهم مع ذلك هم وحدهم الذين يحتكرون الحديث عن الله، إنهم حملة أمانة الدين بالأسماء، إنهم درسوا الدين في معاهدهم، وقرأوا المتون والحواشي، وحفظوا المنشور والقوافي، هم الأعلام وأصحاب العلم، وأهل العمل، هم أصحاب الفضيلة، البعيدون عن النقيصة والرديلة.

هذا حال مجتمعنا، يقوم فيه فقهاؤنا، لساناً ذرباً، وسيفاً مسلولاً مسلطاً، وعصاة ضاربة، لكل حق، ينبع من أي قلب، حتى يبقى لهم سلطانهم، وحتى يستأثرون لأنفسهم بالولاء لطغاتهم، وأهل السلطان عليهم، وحتى يفتقدتهم الحكام لبسط سلطانهم بهم، على النفوس التي يستخفون بعقول أصحابها.

(إذا خالط الفقهاء الأمراء، فاحذروهم فإنهم قد تذابوا)<sup>٣٦</sup>. نعم إن الله (ما من على امرئ بشيء أفضل من فقهه في دين)<sup>٣٧</sup>، ومن فقهه في دينه، استقام أمره وصلح حاله، فكان عنواناً لهذا الدين.

وأدعياء الفقه في عصرنا هذا ليسوا كذلك، ومن هنا قال القوم مقاتلهم المأثورة (لا تصاحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله)<sup>٣٨</sup>، هو {الرحمن فاسأل به خبيراً}<sup>٣٩</sup>، {قل إنما أعظكم بواحدة، أن تقوموا لله مثنى وفرداً ثم تنفكروا}<sup>٤٠</sup>، (المرء على دين خليله فلينظر أيكم من يخال)<sup>٤١</sup>، {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني}<sup>٤٢</sup>، هي عين بصيرته، {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلنا}<sup>٤٣</sup>. إن الاجتماع على الدليل قائم السبيل، نتيجة حتمية للجهادة الصادقة في الله.

اللهم يا من جعلت من رسولك، عبدا دائما، وسلاما قائما، وكوثرا متجددا، ومعراجا متحققا، ونورا منتشرا، جعلت به الباطل والظلام قياما مندثرا به أُمح ظلامنا وقوم قيامنا.

اللهم يا من جعلت من عبدك ورسولك كُتبا مقروءا مبينا، وجعلت به وجودا حقيقيا كريما، اللهم في عهده فأدخلنا، وبقائمه فأقننا، وبنوره فأنر عقولنا، ومن أحواضه فارو ظمأنا، وأنزل ماء الحياة على أرض قلوبنا، ومن جذوة نورك ونارك به أشعل مصباح صدورنا.

اللهم به فتولنا، لذواتنا ودورنا.. اللهم اجعلنا أسماء له، وقياما له، وحقا له، وظلالا له، ووجوها له، لنكون أسماء لك، وحقائق لك، ووجوها لك، وقياما منك، وأمرأ لك.

اللهم وقد جعلته لا إله إلا الله، فاجعلنا فيه بك لا إله إلا الله، حتى نقومه لا إله إلا الله، ونهبيء القلوب لتقوم به لا إله إلا الله، في قائمها بك، بقاءمها لك، ومتواجديها بأمرك، لإرادتك.

اللهم باعد بيننا وبين كبرياء أنفسنا، وباعد بيننا وبين المتكبرين بأنفسهم، وقنا شر الطغاة من خلقك، وارزقنا الأمن والسكينة والسلام، لأنفسنا ولأرضنا ولدورنا.

اللهم به فاجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك.

اللهم به فاهدنا حكاما ومحكومين روادا ومرودين.

اللهم به فانصرنا على أنفسنا، وانصرنا بحقنا على نفوس الظالمين، ليكونوا إخوانا لنا صالحين، تجمعنا الدنيا كما يجمعنا يوم الدين على طاعتك وذكرك.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

### مصادر التوثيق والتحقيق

- |                                                                                       |   |
|---------------------------------------------------------------------------------------|---|
| سورة يس - ٤١:٤٢                                                                       | ١ |
| سورة آل عمران - ٥٩                                                                    | ٢ |
| سورة الحديد - ٢٨                                                                      | ٣ |
| سورة البقرة - ٢٥٦                                                                     | ٤ |
| سورة هود - ٩٨                                                                         | ٥ |
| سورة الفرقان - ٥٩                                                                     | ٦ |
| سورة الفرقان - ٦٣                                                                     | ٧ |
| إشارة إلى الحديث الشريف: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم." أخرجه مسلم والبخاري. | ٨ |
| سورة الذاريات - ٢١                                                                    | ٩ |

- ١٠ سورة فصلت - ٥٣
- ١١ سورة الفتح - ١٠
- ١٢ استلهاما مما جاء في بعض الآثار: يقول تعالى: ابن آدم، خلقتك لنفسي فلا تلعب، وتكلفت برزقك فلا تنعب، ابن آدم اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فتك فأتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء. وذكرهما كذلك المناوي في فيض القدير. قائلا: "ولم نعثر بعد البحث على عزوهما للنبي صلى الله عليه وسلم فلعلهما مما روي عن أهل الكتاب."
- ١٣ حديث شريف: "لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدين، لكع ابن لكع." سنن الترمذي.
- ١٤ حديث شريف. أخرجه البيهقي. كما أخرجه الطبراني بلفظ: "ليس عدوك الذي إذا قتلك أدخلك الجنة، وإذا قتلتك كان لك نوراً، أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك."
- ١٥ سورة الرعد - ٣٣
- ١٦ سورة الطلاق - ٣
- ١٧ سورة النجم - ٣٩
- ١٨ من حديث شريف أخرجه مسلم وأحمد. "ما من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا، إلا أن الله أعاني عليه، فأسلم، فليس يأمرني إلا بخير."
- ١٩ سورة القدر - ٥
- ٢٠ سورة الفجر - ١:٤
- ٢١ سورة سبأ - ٤٦
- ٢٢ سورة المائدة - ٣٢
- ٢٣ سورة الكوثر - ٢
- ٢٤ استلهاما من {الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين} سورة الشعراء - ٢١٩
- ٢٥ سورة الشورى - ٥٢
- ٢٦ سورة الأنعام - ١٢٢
- ٢٧ "قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ إِلَّا بِإِيَّايَ.» (يو ١٤: ٦).
- ٢٨ استلهاما من تعاليم السيد المسيح وهو يدعو حواريه أن يزرعوا "الكلمة" أي كلمة الله، أي المسيح في أرض ذواتهم.
- ٢٩ شدة حرارة الصيف.
- ٣٠ استلهاما من {ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير} سورة الحج - ٨
- ٣١ سورة الرحمن - ٥٤
- ٣٢ سورة الرحمن - ٤٦
- ٣٣ سورة الأعراف - ٢٠٥
- ٣٤ سورة الصف - ٣

- ٣٥ بيت شعر للشاعر علي بن الجهم، من العصر العباسي: أَنْتَ كَالْكَلْبِ فِي حِفَظِكَ لِلْوُدِّ... دِ وَكَالتَيْسِ فِي قِرَاعِ الْخُطُوبِ أَنْتَ كَالدِّلْوِ لَا عَدِمْنَاكَ دَلْوًا... مِنْ بَجَارِ الدِّلَا كَثِيرَ الذَّنُوبِ
- ٣٦ إشارة لحديث شريف أخرجه الديلمي عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يحب الأمراء إذا خالطوا العلماء، ويمقت العلماء إذا خالطوا الأمراء؛ لأن العلماء إذا خالطوا الأمراء رغبوا في الدنيا، والأمراء إذا خالطوا العلماء رغبوا في الآخرة." أيضا، أخرج الديلمي الحديث الشريف: "عن الحسن، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (لا تزال هذه الأمة تحت يد الله وكنفه، ما لم يماري قراؤها أمراءها."
- ٣٧ من الحديث الشريف: "من يُرد الله به خيرا يُفقهه في الدين." رواه البخاري ومسلم.
- ٣٨ من الحكم العطائية.
- ٣٩ سورة الفرقان - ٥٩
- ٤٠ سورة سبأ - ٤٦
- ٤١ حديث شريف: "المرء على دين خليله فلينظر أحكم من يخال." أخرجه أبو داود، وأحمد، والترمذي.
- ٤٢ سورة يوسف - ١٠٨
- ٤٣ سورة العنكبوت - ٦٩